جلاء الشبه في الرَّدِّ على المشبهة
تأليف : أبي طالب المفضل بن سلمة
تحقيق ودراسة : د. أحمد رجب أبو سالم
الطبعة الأولى : ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م
جميع الحقوق محفوظة باتفاق وعقد©
قياس القطع : ١٧×٢٤
الرقم المعياري الدولي (ISBN) : ١-٥١٦-٢٣-٩٩٥٧-٩٧٨
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠١٩/١٢/٦٤٩٠)





دار الفتح للدراسات والنشر
رقم الهاتف : ٦٤ ٣٥ ٥١٦ ٦ (٠٠٩٦٢)
رقم الجوال : ٤٦٧ ٩٢٥ ٧٧٧ (٠٠٩٦٢)
ص.ب : ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن
البريد الإلكتروني : info@daralfath.com
الموقع الإلكتروني : www.daralfath.com

الدّراسات المنشورة لا تعبّر بالضرُورة عن وجهة نظر الناشر

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي سابق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing from the publisher.

شوارد النوادر
(١-٣)

جلاء الشبه

في الرد على المشبهة

لأبي طالب المفضل بن سلمة

المتوفى بعد ٢٩٠هـ

ويليه

المذكر والمؤنث لأبي الطيب الوشاء (ت ٣٢٥هـ)

وشرح حروف المعاني لعبد الباقي البغدادي (ت بعد ٣٩٠هـ)

تحقيق ودراسة

د. أحمد رجب أبو سالم

كلية اللغة العربية بالمنوفية

ومركز تحقيق النصوص بجامعة الأزهر

تصدير

أ.د. محمد حسين المحرصاوي

رئيس جامعة الأزهر الشريف

دار الفتح

للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير رئيس الجامعة

أ. د. مُحَمَّد حُسَيْن المَحْرَصَاوِيّ

الحمدُ للهِ على التَّوفِيق، لِسلُوكِ أسْلَم منهجٍ وأَقْوَم طَرِيق، وصلاةً وسَلامًا على نَبِيِّه الأمِيْن، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنِ اهتَدَى بِهَدْيِهِ وسارَ عَلَى نَهْجِه القَوِيم إلى يَومِ الدِّيْن.

وَبَعْدُ:

فما أَجْمَل الصُّحْبة أنْ تَلْتَقِي هذه المَرّة على مائدةِ مركزِ تحقيقِ النُّصُوص مع ثُلّة من العلماء اللُّغويين المُتَقدِّمين ـ إذِ الفَضْلُ للمُتَقَدّم كما قِيْل ـ للتأليفِ في قَضايا متعدِّدة مهمّة لخِدْمة الدِّين ولُغة القُرْآن مَعًا، مع الإحاطةِ بأنَّ هذِه الأعمال النّادِرة كانتْ شارِدةً عن أَيْدِي المُتَخصِّصين قَبْل عِقالِها وَنَشْرِها فِي هَذا المَرْكَزِ المُبارَك، وَهِي:

العَمَلُ الأَوَّل: «**جَلاءُ الشُّبَهِ فِي الرَّدِّ على المُشَبِّهة**» للعالم اللغوي المفضَّل ابن سَلَمة، وَقَدْ أَلَّفه لِخدمةِ الدِّين عِنْدَما استشعرَ خَطَرَ هذهِ الفِرْقةِ ـ المُشَبِّهة ـ عَلَى الإسْلامِ والمُسْلِمِينَ، فأَلَّفَ كِتابَهُ النَّفِيسَ لِلرَدِّ عليهم، وَصَدَّرَهُ بِقَولِهِ: «فأَوْلَى ما صرَفَ إليهِ المسلمُونَ عنايَتَهُم، وأحقُّ ما شغلُوا بِهِ أنفُسَهُمْ تصحيحُ توحِيدِ اللهِ ـ تبارَكَ اسمُهُ ـ ونفْيُ الأشباهِ عنْهُ ...»، وقد ارتكزَ فيه على اللغةِ لتفنيدِ مزاعِم هذِه الفرقة؛ لذا يُعَدُّ أثرًا لُغَويًّا نَفِيسًا يَخْدم مَذْهَب أهل السنة: الأشاعِرة ـ كما ستقف ـ ومن شايعهم.

العَمَلُ الثّانِي: «**المُذَكَّر والمؤنثُ**» لأبي الطَّيِّب الوشّاء، وقد أَلَّفَهُ حولَ ظاهِرةٍ لُغَويّةٍ حَظِيَتْ فِي اللغةِ العَرَبِيّةِ بعنايةٍ فائقةٍ من قِبَل اللغَويِّين؛ وَهِي ظاهِرةُ «التَّذْكيرِ والتَّأنِيثِ»؛ إذْ مَعْرِفةُ المُذَكَّرِ والمُؤَنَّثِ مِن تَمامِ مَعْرِفةِ النَّحْوِ والإعْرابِ، كما نَصَّ ابنُ الأنباريّ[1].

العَمَلُ الثّالِث: «**شَرْح حُرُوف المَعانِي**» لعبدِ الباقِي البَغْدادي النَّحوي صاحِب أبي عَلِيّ الفارسيّ، ويعدُّ هذا الكتاب من أوائلِ الكُتُب المؤلَّفة فِي هَذا الباب، ولَيْس بِخَفِيٍّ أهميّة حُرُوف المَعانِي فِي فَهْمِ المَعانِي واستنباطِ الأَحْكام.

ولأهميةِ هذه الأعمال مجتَمِعةً يسرُّ مركز تحقيق النصوص بالجامعة أنْ يُقَدِّم هذا السِّفر النَّفِيس ـ الذي يرى النُّورَ لأوَّل مَرّة من خِلالِه ـ لِقُرّائِه، كما لا يفوتُهُ أنْ يتقدَّم بخالِصِ الشُّكْر لعضوٍ من أعضائِه، قد تحمَّل مسؤوليّة تحقيقِهِ وإخراجِهِ على هذه الصُّورة؛ وهو د. أحمد رجب أبو سالم، فجزاهُ الله خيرَ الجَزاء على هَذا الجَهْدِ المَشْكُور.

واللهُ وَلِيُّ التَّوفيق، والهادِي إلى سَواء الطَّرِيق

أ.د. محمد حسين الحرصاوي

٢٠/١٢/٢٠١٩م

(١) انظر: المذكر والمؤنث ١/ ٥١.

١

جلاء الشبهة

في الرد على المشبهة

لأبي طالب المفضل بن سلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمدُ للهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَينا بِالتَّوحِيد، وَهَدانا بِسيدِنا مُحَمَّدٍ لِلدِّينِ السَّدِيدِ، صَلَّى الله عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى يَومِ الوَعِيد.

وَبَعْدُ:

المَولَى جل جلاله مُنَزّهٌ عَنِ الشَّبَهِ بِخَلْقِهِ فِي أَيِّ شَيءٍ، وَهَذا مَذْهَبُ أَهْلِ الحَقِّ، كَما قالَ الشَّهرستانِيُّ[1]: «مَذْهَبُ أَهْلِ الحَقِّ أَنَّ اللهَ سبحانهُ لا يَشبِهُ شَيئًا من المَخْلُوقاتِ، وَلا يُشْبِهُهُ شَيءٌ مِنْها بِوَجْهٍ مِن وُجُوهِ المُشابَهةِ والمُماثَلةِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]».

والتَّشْبِيهُ والتَّمْثِيلُ كَما قالَ الإمامُ أحمدُ بن حَنْبَل[2]: «أَنْ تَقُولَ: يَدٌ كَيَدِي، أو سَمْعٌ كَسَمْعِي، أو بَصَرٌ كَبَصَرِي، وَنَحْو ذلكَ... فَمَنْ شَبَّهَ اللهَ بخلقِهِ فقد كَفَرَ... وَمَنْ نَفَى عَنْهُ مُشابَهةَ المَخلُوقاتِ فَقَدْ هُدِيَ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ».

وَقَدِ استشعرَ العَلّامةُ المُفَضَّلُ بن سَلَمة خَطَرَ هذهِ الفِرْقةِ (المُشَبِّهة) عَلَى الإِسْلامِ والمُسْلِمِينَ، فألَّفَ كِتابَهُ النَّفِيسَ «جَلاء الشُّبَهِ» لِلرَّدِّ عليهِم، وَصَدَّرَهُ بِقَولِهِ: «فأَوْلَى ما

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام ص٩٧.

(٢) الروح لابن القيم ص٣٦٢، ٣٦٣.

صرفَ إليهِ المسلمُونَ عنايَتَهُمْ، وأحقُّ ما شغلُوا بهِ أنفُسَهُمْ تصحيحُ توحِيدِ اللهِ تبارَكَ اسمُهُ ونفْيُ الأشباهِ عنْهُ...».

وَقَدْ لَخَّصَ العَلّامةُ سِزْكِين مَضْمُونَ هذا الكتابِ بِقَولِهِ [١]: «هُوَ تَفْسِيرٌ فِقْهِيٌّ لِأَلفاظٍ وآياتٍ من القُرْآنِ، وَرَدَّ بِهِ عَلَى المُشَبِّهة».

وَلَخَّصَ النّاسِخُ مَنْهَجَهُ فِيهِ فِي خِتامِ نُسْخَتِهِ الخَطِّية بِقَولِهِ: «وَكُلُّ ما ذَكَرَهُ فيهِ مِمّا يَتَضَمَّنُ نفْيَ التَّشبيهِ عنِ القدِيمِ فهُوَ صحيحٌ مستقيمٌ، وما سِوَى ذلِكَ مِمّا اختلَفَ فيهِ أهلُ القِبْلةِ منَ الأشعَرِيّةِ والجَبْرِيّةِ والقَدَرِيّةِ والمعتزلةِ فقدْ نَحا فيهِ المفضَّلُ بنُ سلَمةَ ناحِيةَ المُعْتَزِلةِ».

لَكِنَّ الحَقَّ أنَّ المُؤلِّفَ فِي مُعْظَمِ تَأْويلاتِهِ سائِرٌ وَفْقَ مَذْهَبِ مُتَأخِّري الأَشاعِرة، وَقَدْ بَيَّنتُ ذلكَ كُلَّهُ فِي مَواضِعِهِ، مُقْتَبِسًا مِنْ كُتُبِهِم النُّصُوصَ التي تُقَرِّر ذلكَ، فَهُو يُعَدُّ إضافةً جَدِيدةً تؤيدُ المَذْهَبَ الأشعرِي الذِي ينتهجُهُ الأزهرُ الشَّريفُ الآنَ مِن الجِهةِ اللغويّة فِي زَمَنِ أَبِي الحَسَنِ الأشعَرِيّ وَقَبْلَ وَفاتِهِ.

وَيُعَدُّ خُرُوجُ هذا الكتابِ للنُّور إضافةً للمكتَبةِ العَرَبيّة مِنْ جِهَتَين:

الأُوْلَى: من النّاحِيةِ العَقَدِيّة؛ أنَّهُ رَدٌّ على فِرْقةٍ زائِغةٍ هُم المُشَبِّهة لها خَطَرُها عَلَى الإسلامِ والمُسلِمِينَ، وَفِي تَفْنِيدِ المُؤلِّف لِشُبَهِهِم عِصْمةٌ للمسلمينِ من ضَلالاتِهِم وافتراءاتِهِم.

الثّانية: من النّاحِيةِ اللغَويّة؛ أنَّه حَمَلَ بَيْنَ دَفَّتَيْهِ شَواهِد شِعْرِيّة وأمثِلة لُغَوِيّة تفردَّ بها، وَفِي هَذا ثَراءٌ للغةِ، وَلا عَجَبَ فِي ذَلِكَ؛ فَمُؤلِّفُهُ من اللغويِّنَ البارِعِينَ المُتَقَدِّمِينَ.

(١) تاريخ التراث العربي ١/ ٢٤٩.

وانطلاقًا مِنْ أنَّ غايةَ التَّحقيقِ هِيَ: «إخْراجُ النَّصِّ كَما أرادَهُ مُؤَلِّفُهُ»، أَقُولُ: ليسَ المُرادُ إخراجَهُ لفظًا فَحَسْبُ، بَلِ المُرادُ إخْراجُهُ لفظًا وَمَعنًى، لذا لَمْ أُخْضِعْ النَّصَّ فِي تَعْلِيقاتِي لِمَذْهَبٍ عَقَدِيٍّ مُعَيَّنٍ، وَأَمْدَحْ مُؤَلِّفَهُ بِأَنَّهُ قَدْ جاءَ فِيهِ بِالطِّمِّ والرِّمِّ، أو جاءَ بِالضِّحِّ والرِّيحِ كَما يَفْعَلُ البَعْضُ، بَلْ كنتُ مُنْصِفًا في تَعْلِيقاتِي، فَعَلَّقْتُ على النَّصِّ وَفْقَ ما أرادَهُ مُؤَلِّفُهُ بِقَدْرِ الاستِطاعة، فالحَقُّ مُسْتَغْنٍ عن الحِيْلةِ.

هَـذا، وَقَدْ قَدَّمْتُ بينَ يَدَي الكِتابِ مُقَدِّمةً شافِيةً عن العَلامة المُفَضَّل بن سَلَمة وآثارِهِ، ثُمَّ ثَنَّيتُ بالحَدِيثِ عَنْ كِتابِهِ «جَلاء الشُّبَهِ فِي الرَّدِّ عَلَى المُشَبِّهةِ»، ثُمَّ أَعْقَبْتُ ذَلِكَ بِالنَّصِّ المُحقَّقِ وَفْقَ المنهَجِ الأَمْثَلِ المُعْتَمَدِ لَدَى المُحَقِّقِينَ، مَتْبُوعًا بِالفَهارِس العامّة.

فالحَمْدُ للهِ عَلَى التَّتمِيم، وَمِنْهُ دائِمًا التَّوفِيقُ والتَّأييد، والإعانةُ والتَّسدِيد

سَطَرَهُ

د. أحمد رجب أبو سالم

كفر ميت أبو الكوم - تلا - منوفية جمهورية مصر العربية

١/١٢/٢٠١٩م

القسم الأول : الدراسة
المفضل بن سلمة وكتابه

الفصل الأول
المفضل بن سلمة.. حياته وآثاره

المفضل بن سلمة.. حياته وآثاره

* اسمه ونسبه[١]:

هو: المفضل بن سلمة بن عاصم، كنيته أبو طالب[٢]، النحوي، اللغوي، الكوفي.

وتكاد تجمع كتب التراجم على ذلك، غير أن بعضها[٣] زاد «الضَّبِّي»، وهذا وهمٌ منهم، فالتبس عليهم صاحبنا بـ«المفضل الضبي» صاحب «المفضليات» المشهور. وقد أغفلت كتب التراجم ذكر شيء عن نشأته.

(١) **انظر في ترجمته**: مراتب النحويين واللغويين ص١١٨، ونور القبس للمرزباني ص٣٣٩، ومعجم الشعراء له ص٢٩٧، والفهرست ص١٠٩، وتاريخ بغداد ١٣/ ١٢٤، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٥، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٤/ ٢٠٥، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء ص١٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٢، وتاريخ الإسلام ٦/ ٨٦٨ – تحقيق د/ بشار، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة ص٥٥٣، وتلخيص أخبار النحويين واللغويين لابن مكتوم صفحة (٢٥١)-نسخة دار الكتب المصرية، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٦، والمزهر ٢/ ٤١٣، وطبقات المفسرين ص٤٨، وهدية العارفين ٢/ ٤٦٨، وأسماء الكتب ص٢٢٠، وخلط في الترجمة بينه وبين ابنه، والأعلام للزركلي ٧/ ٢٧٩، ومعجم المؤلفين ١٢/ ٣١٤، ومعجم التاريخ: «التراث الإسلامي في مكتبات العالم ٥/ ٣٧٧٥، وتاريخ التراث العربي لسزكين ١/ ٢٤٥، ومقدمات التحقيق لكتبه المطبوعة.

(٢) انظر: نور القبس ص٣٣٩.

(٣) كما في: إنباه الرواة ٣/ ٣٠٥، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٥، وخزانة الأدب ٧/ ٤٦٩.

* شيوخه:

نصَّت كتب التراجم على بعض المشايخ الذين نهل المفضل من معينهم، وهم:

١. ابن الأعرابي محمد بن زياد، المتوفى سنة (٢٣١هـ)[١].

٢. ابن السكيت يعقوب بن إسحاق، المتوفى سنة (٢٤٤هـ)[٢].

٣. عمر بن شَبّة، أبو زيد البصري النُّميري، المتوفى سنة (٢٦٢هـ)[٣].

٤. سلمة بن عاصم، والده، صاحب الفراء وراويته، المتوفى بعد سنة (٢٧٠هـ)[٤].

٥. محمد بن شدّاد المِسْمَعِيّ المعتزليّ، المتوفى سنة (٢٧٨هـ)[٥].

٦. أحمد بن يحيى ثعلب، المتوفى سنة (٢٩١هـ)[٦].

٧. يعقوب بن إسحاق بن إبراهِيم بْن كامَجْرا، أَبُو يوسف المعروف والده بإسحاق بْن أبي إسرائيل، مروزي الأصل[٧].

(١) انظر: نزهة الألباء ص١٥٤، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٦، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٢، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٣، وتلخيص أخبار النحويين واللغويين ص٢٥١.

(٢) انظر: مراتب النحويين ص١١٨، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٥، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٦.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ١٣/ ١٢٤، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٥، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٣، وتلخيص أخبار النحويين واللغويين ص٢٥١.

(٤) انظر: معجم الأدباء ٥/ ٥١٤، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٣، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٦.

(٥) انظر: تاريخ بغداد ١٣/ ١٢٤، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٥، وتلخيص أخبار النحويين واللغويين ص٢٥١.

(٦) انظر: مراتب النحويين ص١١٨، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٦، والمزهر ٢/ ٤١٣.

(٧) انظر: تاريخ بغداد ١٤/ ٢٩١، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٥، ونقل عنه المفضل في كتاب «الملاهي» ص١٣.

* تلاميذه:

نصَّت كتب التراجم على بعض من تلمذ للعلامة المفضل بن سلمة، ومنهم:

١. محمد بن يحيى، أبو بكر الصُّولي، المتوفى سنة (٣٣٥هـ)[١].

قال البغدادي، والقفطي[٢]: «روى عنه محمد بن يحيى الصولي وزعم أنه سمع منه في سنة تسعين ومائتين قال وكان منزله بباب خرسان».

٢. محمد بن المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو الطيب، من كبار فقهاء الشافعية ومتقدميهم، المتوفى سنة (٣٠٨هـ)[٣].

٣. أبو موسى بن مزدان النحوي الكوفي[٤].

قال القفطي[٥]: «أخذ عن أبي طالب المفضّل، وروى عنه، وتصدّر للإفادة».

* مذهبه النحوي:

تمذهب المفضل بن سلمة بالمذهب الكوفي، شأنه في ذلك شأن أبيه، بالإضافة إلى أنَّ أغلب مشايخه الذين أخذ عنهم ينسبون إلى هذا المذهب، وقد ظهر أثر هذا المذهب عمليًّا في موضعٍ من هذا الكتاب، فأجاز نيابة حروف الجر بعضها مكان بعض، والبصريون لا يجيزون ذلك[٦].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٢، وتلخيص أخبار النحويين واللغويين ص٢٥١.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ١٢٤، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٦.

(٣) انظر في ترجمته: وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٥، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١٠٢، ومرآة الجنان ٢/ ٢٥٠.

(٤) انظر: إنباه الرواة ٤/ ١٨١، ومعجم الأدباء ٤/ ٥٢١، وبغية الوعاة ٢/ ٢٣٨.

(٥) إنباه الرواة ٤/ ١٨١.

(٦) انظر ص٨٨.

وقد صرَّح من ترجم له إلى نحو ذلك، فقال ابن النديم[١]: «لغوي عالم كوفي المذهب».

وقال ابن الأنباري[٢]: «كان لغويًّا فاضلًا كوفيَّ المذهب».

وقال القفطي أيضًا[٣]: «وكان المفضل كوفي المذهب في النحو».

وقال ياقوت[٤]: «كان لغويًا نحويًا كوفيّ المذهب».

وقال ابن خلكان[٥]: «وكان كوفي المذهب».

* مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

لمكانة العلامة المفضل بين علماء عصره لهجت الألسنة بالثناء عليه، ومن بين هذه الثناءات ما يأتي:

قال فيه المرزباني[٦]: «أبو طالب عالم بالنحو أديب».

وقال فيه البغدادي، والقفطي[٧]: «وكانَ فَهِمًا فاضِلًا».

وقال الذهبي[٨]: «لغويًّا أديبًا علامة، له تصانيف».

وقال ابن خلكان[٩]: «وهم[١٠] أهل بيت كلهم علماء نبلاء مشاهير».

(١) الفهرست ص١٠٩.

(٢) نزهة الألباء ص١٥٤.

(٣) إنباه الرواة ٣/ ٣٠٦.

(٤) معجم الأدباء ٥/ ٥١٤.

(٥) وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٥.

(٦) معجم الشعراء ص٢٩٨.

(٧) تاريخ بغداد ١٣/ ١٢٤، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٦.

(٨) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٢.

(٩) وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٦.

(١٠) أي: هو وأبوه وابنه.

وقال القفطي[١]: «وكان فهمًا فاضلًا.. واستكثر من الرّواية ونقل اللغة».

وقال القفطي والسيوطي[٢]: «كان مليح الخط، منقطعًا إلى الفتح بن خاقان».

وقال الزركلي[٣]: «لغويّ، عالم بالأدب. كان من خاصة الفتح بن خاقان وزير المتوكّل».

وقال كحالة[٤]: «أديب، لغوي، نحوي، كوفي المذهب».

ومع كلّ هذا الثناءات، لم يسلم من ذمّ البعض له وهجائِه، ومن ذلك:

قول أبي الطيب اللغوي[٥]: «وكان مخالفًا لطريقة أبيه في التواضع، وقد نظرت في كتبه فوجدته مخلِّطًا متعصبًا، ورد شيئًا كثيرًا من كتاب (العين)، أكثره غير مردود».

وقول القفطي[٦]: «كان المفضّل بن سلمة متّصلًا بإسماعيل بن بلبل الوزير، فبلّغه أبياتًا كان هجاه بها ابن الرّومي، فحفظها إسماعيل على ابن الرومي في نفسه، وكانت سبب حرمانه إياه، على كثرة صلات إسماعيل الشعراء؛ فقال ابن الرومي في المفضّل هذه الأبيات: [الخفيف]

لـو تلفّفـتَ فـي كسـاءِ الكسـائِيّ ... وَتَـلَـبَّـسْـتَ فَـرْوَةَ الفَـرّاءِ

(١) انظر: إنباه الرواة ٣/ ٣٠٦.

(٢) إنباه الرواة ٣/ ٣٠٦، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٧.

(٣) الأعلام ٧/ ٢٧٩.

(٤) معجم المؤلفين ١٢/ ٣١٤.

(٥) مراتب النحويين ص١١٨.

(٦) إنباه الرواة ٣/ ٣٠٧. وردت أيضًا في: نور القبس ص٣٣٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٦، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٤، وقد حرَّف فيه محققه هذه الأبيات، وحرف معظم ترجمته فيه، فالاعتماد على المخطوط أصح من الاعتماد على المطبوع.

وَتَخَلَّلْتَ بالخليلِ وَأَضْحَى ... سيبويه لديكَ رَهْنَ سباءِ
وتلوَّنتَ من سَوادِ أبي الأسـ ... ـود شخصًا يُكَنَى أبا السَّوداءِ
لأَبى الله أن يَعُدّك أهلُ العِلْـ ... ـمِ إلّا من جُمْلةِ الأَغْبِياءِ».

وقال أحمد بن أبي طاهر يهجو المفضّل بن سلمة بن عاصم[1]: [الكامل]

إن المفضّلَ نقصُهُ فِي نفسِهِ ... وفعالِهِ قد حطَّ فَضْل أبيهِ
ولو أَنَّ كلَّ مُفَوَّهٍ وَمُفَهَّهٍ ... يهجُوهُ ما بلغَ الَّذِي هو فيهِ
ولقد أردتُ هجاءَهُ وكفيتهُ ... باللؤمِ منه لو أَنَّهُ يكفيهِ
وَمَتَى يَقُلْ شِعْرًا علمتُ بأَنَّهُ ... من نتن رائحةٍ تَمُرُّ بفيهِ
فهو المُخَسَّسُ لا المُفَضَّل إنَّهُ ... بأبيهِ إنْ نسبُوهُ غَيْر شَبيهِ
وكأنَّ نكهتَهُ روائحُ عِرْضِهِ ... فجليسُهُ بالنَّتنِ فِي مَكْرُوهِ

وله فيه[2]: [الخفيف]

يا أبا طالبٍ طلبت بِشَأْوٍ ... أنتَ فيه كقابِضٍ للماءِ
أين بطءُ الحمِيرِ من سابقِ الخَيْـ ... ـلِ، وأرضٍ موطُوءة من سماءِ؟!
لِيَ كُفءٌ سِواكَ فارجعْ إلى قَدْ ... رِكَ ياغَثُّ لستَ من أكفائِي
كنتَ أضحوكتي فأصبحتَ من مَضْـ ... ـغِكَ للشِّعرِ ضُحِكةَ الغَوغاءِ
وتَعَدَّيت فَوقَ قَدْرِكَ لَمّا ... قلت قد عدّنِي من الأعداءِ
أَبِعِرْضٍ يَعافُهُ الكلبُ نتنًا ... لم يزل عرضةً لمس الهجاءِ
خلتُ أَنِّي أراهُ كُفْئًا لِعِرْضِي ... أو أُجازِي فِعالَهُ بجزاءِ

(١) انظر: إنباه الرواة ٣/ ٣٠٩، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٥.
(٢) انظر: إنباه الرواة ٣/ ٣١٠.

إن ذكْـري سـمّ يفِيـك وحِـيٌّ ... وهْـوَ داءٌ مـا إنْ لـه مـن دَواءِ
هَبْكَ أُدْرِجْتَ في كِسـاءِ الكِسائِـ ... ـيّ، وأُلْبِسْـتَ فَـرْوةَ الفَـرّاءِ
وبسـلح الخليل حنّكتَ في المَهْـ ... ـدِ فأصبحتَ أفصـحَ الفُصَحاءِ
لسـتَ إلا غَثّا غثيثًـا ثَقِيـلَ الرُّو ... حِ، أَعْمَـى تُعَـدُّ فِـي البُصَـراءِ

وحكى القفطي أيضًا عن أبي موسى الحامض قوله له في بعض المجالس[1]: «.. ثم التفت إلى أبي طالب المفضل بن سلمة، وقال له: وأنت أيضًا! قد كنت أظنّ أنك تفلح، وأنك تكون بعض ندماء الخلفاء، ولكن كيف أظنّ بك هذا وأبوك ما كان يحسن حرفًا واحدًا من النحو، فكيف تفلح أنت!».

وما أظن أن كل هذا الهجاء إلا من باب التنافس بين العلماء، واختلاف النزعة النحوية واللغوية هو السبب الرئيس في ذلك، وكل هذا لا ينقصُ من قدر المُفَضَّل، ولا يحط من مكانته المرموقة شيئًا.

* شعره:

أُثِر عن العلامة المفضل بن سلمة بعض الأشعار، فقال المرزباني[2]: «وله إلى عبد الله بن المعتز مكاتبات بالأشعار».

وقال القفطي[3]: «وللمفضل شعرٌ كثيرٌ».

ومما أُثر عنه من شعرٍ أنه كتب إلى يحيى بن علي المنجم يهنئه بالنيروز، فقال[4]:

(١) إنباه الرواة ٣/ ٣١٠.
(٢) معجم الشعراء ص٢٩٨.
(٣) انظر: معجم الشعراء ص٢٩٨، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٨.
(٤) معجم الشعراء ص٢٩٨، وبعضها في: طبقات النحاة واللغويين ص٥٥٣.

يا ابـن الجحاجحة الغُـرّ الميامين ... ومـن يزيـن بـه فعـل الدهاقيـنِ
ومن تجود علـى العِـلّات راحتهُ ... بنائـلٍ مـن عطـاء غيـر ممنـونِ
أسـلمْ لنـا كلَّ نيـروز يمتعنـا ... فيـك الإلـهُ بإعـزازٍ وتمكيـنِ
واشربْ عقارًا كريح المسكِ ما نُسِبَتْ ... إلى الكـروم محاماة علـى الدينِ
صفراء كالذَّهب المسبوك إن مُزِجَتْ ... أحالهـا المَـزْج درًّا غيـر مكنونِ
تجلو السرور إذا ذيقتْ وتكشِفُ ما ... يُجَنُّ من حَـزَنٍ عـن كلِّ محزُونِ
وانعـم بأحمـدَ أبقـاهُ الإلـهُ لنـا ... فهـو الأغـرُّ مـن الغُـرّ الميامينِ
وقـرّ عينًـا بعبـد الله إنَّ لـهُ ... مشـابهًا منك تعليـهِ علـى الهونِ
واسـعد بثالثهـم: يحيى، فـإنَّ له ... فعـال مقتبـل الخيـراتِ ميمـونِ
وتَمَّـمَ الله مـا ترجـو وتأملـهُ ... عليك في رابعِ السّـاداتِ: هارونِ

وكتب المفضل بن سلمة إلى عبد الله بن المعتز وقد انصرف المفضّل من الحج[1]:

أقـول بثـور واشـتياقي مُبَـرِّحٌ ... ودمعـيَ عنـه مُسـتَهِلٌّ وقاطـرُ
ألا هَـلْ إلى أرضِ العـراق ومائه ... سـبيلٌ وإخوانـي الّذينَ أُعاشِـرُ
إلى الله أشكو ما أُلاقي من الجَوَى ... ومن طُولِ وَجْـدٍ تحتويهِ الضَّمائرُ
وقد طال لَيْلِـي بَعْدَ بُعْـدِ أَحبَّتِي ... ومـا طُولُـهُ إلّا لأنّـيَ سـاهِرُ
إذا هبّـتِ الرِّيحُ الشّـمالُ هَفا لَها ... فؤادِي حَنِينًـا نَحْوهُم فهـو طائِرُ
يجدّد لـي شَـوقًا إليهـم وفرحةً ... بِقُرْبِـيَ منهـم أنْ تسـيرَ الأباعِرُ

وهي طويلة مدح فيها وأحسن.

(١) انظر: إنباه الرواة ٣/ ٣٠٩.

* وفاته:

سكتت جلُّ مصادر ترجمته عن ذكر سنة وفاته، ولمّا تصدَّت لِذِكْر سنة وفاته اختلفت في تحديدها:

فقال الذهبي[١]: «ومات بعد التسعين ومائتين».

وتابعه على ذلك البغدادي بقوله[٢]: «الْمُتَوفَّى بِبَغْداد سنة ٢٩٠ تسعين وَمِائَتَيْنِ»، ولعله أفاد في تحديد ذلك من قولهم[٣]: «وروى عنه أبو بكر الصولي، وزعم أنه سمع عنه في سنة تسعين ومائتين». وهو الأقرب.

وقال ابن قاضي شهبه[٤]: «توفي سنة ثلاثمائة».

وقال الأدنه وي[٥]: «وتوفي سنة ثمان وثلاثمائة».

والقول الثاني والثالث أستبعدهما؛ لأنهما يطيلان المدة بينه وبين الفتح بن خاقان المتوفى سنة (٢٤٧هـ)، وقد كان من عشرائه وندمائه، بالإضافة لتأخّر قائلهما.

* آثاره:

خلَّف العلامة المفضل بن سلمة للمكتبة العربية كُتُبًا جليلة نافعة، لكن عدت عليها أغلبها عوادي الزمان، قال ابن خلكان [٦]: «صاحب التصانيف المشهورة في

(١) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٢.

(٢) هدية العارفين ٢/ ٤٦٨.

(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٦.

(٤) طبقات النحاة واللغويين ص٥٥٤.

(٥) طبقات المفسرين ص٤٨.

(٦) وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٥.

فنون الأدب، ومعاني القرآن»، ودونك ذكرَها وترتيبها ترتيبًا هجائيًّا:

١. آلة الكتّاب[١].

٢. الاشتقاق[٢].

٣. الأنواء والبوارج[٣].

٤. البارع في اللغة[٤]. قال القفطي[٥]: «واستدرك على الخليل في كتاب العين، وحكاه في كتاب كبير ألفه وسماه (البارع)[٦]. ولما قرأ ابن مقلة هذا الكتاب

(١) انظر: نزهة الألباء ص١٥٥، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٦، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٧. وذكر في الفهرست ص١٠٩ باسم «ما يحتاج اليه الكاتب»، وكذا في: وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٦، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٤، وهدية العارفين ٢/ ٤٦٨، وإيضاح المكنون ٤/ ٢٧٢، والأعلام ٧/ ٢٧٩.

(٢) انظر: الفهرست ص١٠٩، ونزهة الألباء ص١٥٤، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٦، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٦، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٤، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٧، وهدية العارفين ٢/ ٤٦٨.

(٣) انظر: الفهرست ص١٠٩، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٤، وهدية العارفين ٢/ ٤٦٨.

(٤) انظر: نزهة الألباء ص١٥٤، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٤، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٤، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٧.

(٥) إنباه الرواة ٣/ ٣٠٦. وانظره أيضًا ٣/ ٩٧. وأغلب من ترجم له عدَّ الاستدراك كتابًا، والبارع كتابًا آخر، ونص القفطي هذا يوهِّم ذلك. وانظر: نزهة الألباء ص١٥٥، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٧، وكشف الظنون ٢/ ١٤٤٣.

(٦) وقد ألفه ابن درستويه ردًا عليه، قال ابن النديم: «وله رد على المفضل بن سلمة ونقض كتاب العين» الفهرست ص٩٣.

وألف محمد بن عرفة الشهير بنفطوية أيضًا ردًّا عليه، ذكره ياقوات باسم: «كتاب الرد =

على ابن دريد كان ابن دريد يقول في بعض ما ردّهُ: صدق أبو طالب، وفي بعض الردّ يقول: كذب أبو طالب، ومات أبو طالب قبل إتمام هذا الكتاب. والذي خرج منه: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء».

وقال ابن النديم أيضًا[١]: «قال لي أبو الحسن الدريدي: حضرت وقد قرأ أبو علي بن مقلة وأبو حفص كتاب المفضل بن سلمة الذي يرد فيه على الخليل على أبي بكر، فكان يقول: صدق أبو طالب في شيء إذا مر به، وكذب أبو طالب في شيء آخر، ثم رأيت هذا الكلام وقد جمعه أبو حفص في نحو المائة ورقة وترجمه بالتوسط».

ونقل عنه الصغاني بقوله[٢]: «وقال المفضل بن سلمة في (كتاب إخراج ما في كتاب العين من الغلط): لا يقال عذيط؛ ولا يشتق من العذيوط فعل.. لأنه خلقة».

٥. جلاء الشُّبَهِ في الرَّد على المُشَبِّهة[٣] **محلُّ التَّحقيق**.

٦. جماهير القبائل[٤]، نعته القفطي بقوله[٥]: «لطيف».

٧. الخط والقلم[٦].

= على المفضل بن سلمة في نقضه على الخليل» معجم الأدباء ١/ ١٧٠. وانظر: الوافي بالوفيات ٦/ ٨٦، والدر الثمين في أسماء المصنفين ص٢٤٥.

(١) الفهرست ص٩١. وانظر: إنباه الرواة ٣/ ٩٧، ومعجم الأدباء ٥/ ٣٠٢.

(٢) العباب الزاخر «ع ذ ط».

(٣) هكذا ذُكر في: نزهة الألباء ص١٥٥، وورد مختصرا بعنوان: «جلاء الشبه» فقط في: الفهرست ص١٠٩، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٦، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٤، وهدية العارفين ٢/ ٤٦٨.

(٤) الفهرست ص١٠٩، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، وهدية العارفين ٢/ ٤٦٨، والأعلام ٧/ ٢٧٩، وذكر في: نزهة الألباء ص١٥٤، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٦ بلفظ: «عمائر القبائل»، وفي طبقات النحاة واللغويين ص٥٥٤: «جمائل سير القبائل»، والأصح المثبت.

(٥) الفهرست ص١٠٩.

(٦) انظر: الفهرست ص١٠٩، ونزهة الألباء ص١٥٥، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٦، وطبقات النحاة =

٨. خلق الإنسان[١].

٩. الزرع والنبات والنخل وأنواع الشجر[٢].

١٠. شعر زيادة بن زيد، والصِّمّة القُشَيْري[٣].

١١. ضياء القلوب في معاني القرآن[٤]. قال ابن النَّديم[٥]: «نيف وعشرون جزءًا».

وقال ابن خير الإشبيلي[٦] في سنده لهذا الكتاب: «كتاب (ضياء القلوب لأبي طالب المفضل بن سلمة في تفسير القرآن)، حدثني به الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن معمر المذحجي رَحِمَهُ الله إجازة، قال: حدثني به الوزير أبو بكر محمد بن هشام المصحفي، عن أبي الحسن علي ابن إبراهيم التبريزي قراءة عليه من أوله إلى آخر سورة الأنعام، وأجاز لي سائره. قال: حدثني به أبو الحسين محمد ابن أحمد بن أبي عبيد القاسم بن إسماعيل الضبي المعروف بابن المحاملي، عن أبي بكر محمد بن الحسن بن زيد بن هارون المقرئ المفسر المعروف بالنقاش الموصلي رَحِمَهُ الله، وبهذا الإسناد روى أهل الأندلس هذا الكتاب قديمًا وحديثًا....».

= واللغويين ص٥٥٤، وهدية العارفين ٢/ ٤٦٨.

(١) انظر: الفهرست ص٩١، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٦، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٦، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٤.

(٢) الفهرست ص٩١، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٦، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٤، وهدية العارفين ٢/ ٤٦٨، والأعلام ٧/ ٢٧٩. وورد في إنباه الرواة ٣/ ٣٠٦ باسم (البلاد والزرع والنبات).

(٣) انظر: الفهرست ص٢٢٦.

(٤) انظر: الفهرست ص١٠٩، وتاريخ بغداد ١٣/ ١٢٤، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٦، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٤، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، وهدية العارفين ٢/ ٤٦٨، والأعلام ٧/ ٢٧٩.

(٥) الفهرست ص١٠٩.

(٦) فهرست ابن خير ص٥٢.

ونقل عنه القدوري بقوله[١]: «قال المفضل بن سلمة في (ضياء القلوب): تقديره: ذلك التمتع لمن لم يكن، وقد دل على المصدر الفعل في قوله: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ﴾ [البقرة:١٩٦]».

١٢. الطِّيب[٢]. وقد نقل عنه المعري بقوله[٣]: «قال الراجز، أنشده المفضل بن سلمة في (كتاب الطيب)...».

والحريري بقوله[٤]: «وذكر المفضل بن سلمة الضبي في (كتاب الطيب) أن من أسماء الزعفران الجاذي والجادي...».

والبغدادي بقوله[٥]: «وَقالَ الْمفضل بن سَلمة الضَّبِّيّ فِي (كتاب الطّيب): وَمن الطّيب الْمسك يُقال: هُوَ الْمسك والأناب واللطيمة».

١٣. الطَّيْف[٦].

١٤. العود والملاهي[٧]. وطبع بتحقيق/ غطاس عبد الملك خشبة في الهيئة

(١) التجريد ٤/ ١٧٣٢.

(٢) ذكر في الفهرست ص١٠٩، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، وهدية العارفين ٢/ ٤٦٨ باسم «المطيب»، والصواب المثبت. وذكره ابن النديم في الفهرست ص٤٤٠ باسم «العطر وأجناسه».

(٣) اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي ص٥٥٧.

(٤) درة الغواص ص٤٢.

(٥) خزانة الأدب ٧/ ٤٦٩.

(٦) انظر: الفهرست ص١٠٩، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٤، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٤، وهدية العارفين ٢/ ٤٦٨.

(٧) وبعضهم اقتصر على تسميته بـ«الملاهي». انظر: وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٦، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٦، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٤، وهدية العارفين ٢/ ٤٦٨.

المصرية العامة لكتاب ٤٨٩١م بعنوان: «الملاهي وأسمائها من قبل الموسيقى».

١٥. غاية الأرب في معاني ما يجري على ألسن العامة من كلام العرب[١]، قال الزركلي[٢]: «وهي قطعة من (الفاخر)».

١٦. الفاخر في لحن العامة[٣]. وطبع بتحقيق/ عبد العليم الطحاوي في الهيئة المصرية العامة للكتاب ٤٧٩١م[٤].

١٧. مختصر المذكر والمؤنث، طبع بتحقيق د/ رمضان عبد التواب في مجلة معهد المخطوطات العربية م٧١ ج٢-١٧٩١م.

١٨. المدخل إلى علم النحو[٥].

١٩. معاني القرآن[٦].

٢٠. المقصور والممدود[٧].

هذا ما ذكرته كتب التراجم من مؤلفات للعلامة المفضل بن سلمة، ونسأل المولى عزوجل أنْ يمُنَّ علينا ببعضها في قابل الأيام.

(١) اكتفاء القنوع ص٣٤١.

(٢) الأعلام ٧/ ٢٧٩.

(٣) انظر: إنباه الرواة ٣/ ٣٠٦، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٧.

(٤) وقد أفاد منه ابن الأنباري إفادة جمة في تأليف كتابه: الزاهر.

انظر في ذلك: مقدمة الفاخر ص١، ومقدمة مختصر الزاهر للزجاجي ص١-٢.

(٥) انظر: الفهرست ص١٠٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٦، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٧، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٤، وتلخيص أخبار النحويين واللغويين ص٢٥١، وهدية العارفين ٢/ ٤٦٨.

(٦) انظر: الفهرست ص١٠٩، ونزهة الألباء ص١٥٤، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٦، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٧، وتلخيص أخبار النحويين واللغويين ص٢٥١، وإيضاح المكنون ٤/ ٣٣٣.

(٧) انظر: الفهرست ص١٠٩، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠٦، ومعجم الأدباء ٥/ ٥١٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٦، وبغية الوعاة ٢/ ٢٩٧.

الفصل الثاني
التعريف بكتاب جلاء الشبه

التعريف بكتاب جلاء الشبه

مدارُ الحديثِ في هذا الفصل حَوْل خمسة مباحث متعلِّقة تَعَلُّقًا وَثِيقًا بِهذا الكتاب؛ تتجلَّى فيما يأتي:

* توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلِّفه، وتحقيق عنوانه:

ممّا لا شكَّ فيه أنَّ كتاب «جلاء الشُّبَه» ثابت في نسبته للعلامة المفضل بن سلمة، وقرائنُ ذلك تتجلى فيما يأتي:

١. ثبوتُ عنوان الكتاب واسم مؤلِّفه على الورقة الأولى من النسخة المعتمدة، حيث صدِّرت بـ«كتاب جلاء الشبه، تأليف أبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم».

وكذا ما ورد في ختامه، ونصه: «تمَّ كتابُ (جلاءِ الشُّبَهِ)، منْ تأليفِ المُفَضَّلِ بنِ سلَمةَ بنِ عاصِم...».

٢. نِسْبةُ الكتاب إليه في كُتُبِ التَّراجم المُخْتَصّة بذلك، وفق ما ذكر بصدد الحديث عنه ضمن «آثاره»، ما سيرد.

٣. توافق النصوص بينه وبين آثاره الأخرى، ولا سيما كتابه «الفاخر»، وقد أشرتُ إلى ذلك في ثنايا حواشي التحقيق.

فكل هذه القرآئن تقرِّر صحة نسبة هذا الكتاب إلى العلامة المفضل بن سلمة.

أمّا بالنِّسبةِ لتحقيق عُنْوان الكِتاب، فيتلخَّص فيما يأتِي:

اختلفت كتب التراجم التي أوردت عنوان هذا المؤلَّف منسوبًا للعلامة «المفضل ابن سلمة» بين إيراده مختصرًا أو كاملا؛ فورد مُختصرًا كوروده في صدر النسخة الخطية في مصادر ترجمته الآتية: (الفهرست ص١٠٩، وإنباه الرواة٣/ ٣٠٦، ومعجم الأدباء٥/ ٥١٤، ووفيات الأعيان٤/ ٢٠٤، وطبقات النحاة واللغويين ص٥٥٤، وهدية العارفين٢/ ٤٦٨).

وورد تامًّا هكذا «جلاء الشبه في الرد على المشبهة» في: (نزهة الألباء ص١٥٥، وتاريخ التراث العربي لسزكين١/ ٢٤٩).

وقد رجحتُ تَمامَهُ لأمرين: اقتداءً بوروده كاملًا في بعض كتب التراجم، ولأن في إيراده تامّا دلالة علىٰ مضمون الكتاب، الذي أنشأه مؤلفه من أجله، والذي صرح به في صدر مقدمته.

* مضمون الكتاب، ومنهج مؤلفه فيه:

المتأمل في عنوان الكتاب يدرك من أول وهلة أن العنوان دالٌّ على المضمون، وقد لخص سزكين مضمونه بقوله[1]: «هو تفسير فقهي لألفاظ وآيات من القرآن، رَدّ به على المشبّهة».

وهذا الكتاب يعدُّ إضافة نفيسة للمكتبة العربية بما ضمَّ بين دفتيه من معان لغوية حكاها في تفسير بعض الألفاظ انفرد بها، بالإضافة إلى رواية بعض الأشعار التي لم أجدها في غيره، حتى لم أجدها في دواوينها، وكذلك بعض الآثار عن التابعين والمتقدمين لم أقف عليها عند غيره، ولا عجب أن يحكي المؤلف نحو

(١) تاريخ التراث العربي ١/ ٢٤٩.

هذا، لأنه مع تقدُّمِه فكان مكثرا لرواية اللغة كما أشار القفطي بقوله[١]: «لقي ابن الأعرابي وغيره من العلماء، واستكثر من الرواية ونقل اللغة».

وقد أشار الناسخ إلى شيءٍ من عقيدته فيه بقوله: «وكلُّ ما ذَكَرَهُ فيهِ مِمّا يتَضَمَّنُ نفْيَ التَّشبيهِ عنِ القدِيمِ فهُوَ صحيحٌ مستقيمٌ، وما سِوَى ذلِكَ مِمّا اختلَفَ فيهِ أهلُ القِبْلةِ منَ الأشعَرِيّةِ والجَبْرِيّةِ والقَدَرِيّةِ والمعتزلةِ فقدْ نَحا فيهِ المفضَّلُ بنُ سلَمةَ ناحِيةَ المُعْتَزِلةِ، والصَّحيحُ فيهِ ما ذهَبَ إليهِ أَهْلُ السُّنّةِ والجماعةُ أَعْنِي الأشعرِيّةَ المُثْبِتِينَ لصِفاتِ ذاتِ اللهِ تبارك وتعالى». ولا عجب أن ينحو المفضل في بعض تأويلاته إلى مذهب المعتزلة فقد كان بعض شيوخه منهم، كما مرَّ في الحديث عن «شيوخه».

والحق أن بعض التأويلات التي ارتأى الناسخ فيها أنَّ المؤلف مال فيها لمذهب المعتزلة هي تأويلات لبعض متأخري الأشاعرة كما ستقف.

* أثره فيمن بعده:

وقفت إبان التحقيق على تأثر بعض العلماء بهذا الكتاب، ومن بين هؤلاء:

العلامة السجستاني في غريب القرآن ص١١٤، فقد نقل عنه قوله دون إشارة: «الاستِواءُ: الاستيلاءُ علَى العرشِ والتَّفَرُّدُ بهِ، ومِنْ ذلِكَ قولُهُمْ: استَوَى فلانٌ فِي الملْكِ وفِي عَمَلِهِ، أيْ: استَولى عليهِ وتفرَّدَ بهِ»[٢].

الشريف المرتضى في: أمالية١/ ٥٩٠-٥٩٢، فقد نقل عن المؤلف حديثه عن لفظة «الوجه» بنصه دون إشارة[٣]، وتجاوز النقل صفحتين.

(١) إنباه الرواة ٣/ ٣٠٦.

(٢) ص٨٣.

(٣) ص١٢٨.

* الكتب المؤلفة في موضوع هذا الكتاب:

موضوع هذا الكتاب هو الرد على «المشبِّهة»، وتأويل ما حملوه على ظاهره من ألفاظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية تأويلًا لائقًا بالمولى عزوجل، لا يتعارض مع اللغة ولا الشرع.

والمشبِّهة أو المجسمة: مصطلح إسلامي يُطلق على من يقول بأن الله جسم أو يُشبِّه الله بخلقه[١].

قال الجرجاني[٢]: «المشبِّهة: قوم شبَّهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثَّلوه بالمحدثات».

وقد ألَّف العلماء في الرد عليهم مؤلفات عديدة، بعضها وصل إلينا، وبعضها فُقِدَ وهو الغالب، ومنها:

١. الرد على المشبِّهة، لجعفر بن مبشر الثقفي المتكلم، أبي محمد البغدادي، المتوفى سنة (٤٣٢هـ)[٣].

٢. الرد على المشبِّهة، لأبي الهذيل محمد بن الهذيل بن عبيد الله البصري العلّاف، المتوفى سنة (٥٣٢هـ)[٤].

(١) انظر: الفرق بين الفرق ص٢١٤، ومقالات الإسلاميين ص٥١٨، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٠٣، والتمهيد لابن عبد البر ٧/ ١٤٥، وشرح العقيدة الطحاوية ص٩٩، ١٢٠، وأقاويل الثقات ص١١٤.

(٢) التعريفات ص٢٧٤. وانظر: دستور العلماء ٣/ ١٨٧.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٤٩.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٤.

٣. الرد على المشبّهة، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري، المتوفى سنة (٢٥٥هـ) [١]، وقد طبع بعض المسائل منه الدكتور/ حاتم الضامن[٢].

٤. الرَّد على المشبِّهة، لمحمد بن شجاع الثَّلْجي، المتوفى سنة (٢٦٦هـ)[٣].

٥. الاختلاف في اللفظ، والرد على الجهمية والمشبهة، لابن قتيبة، المتوفى سنة (٢٧٦هـ)[٤].

٦. الرَّد على المشبِّهة، للحسين بن يحيى، المتوفى سنة (٨٩٢هـ)[٥]. وطبع ضمن رسائله رسالة بعنوان: «الرد على أهل الزيغ من المشبهين» [٦].

٧. الطَّعن على المشبِّهة والحلولية، لأبي الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، المتوفى سنة (٩٦٣هـ)[٧].

٨. التَّوَكُّل على الله ذى الجلال والرَّدّ على المشبهة الضلال، للحُسَيْن بن الْقاسِم ابن على بن عبد الله العِياني اليَمانِيّ الزيدي، المتوفى سنة (٤٠٤هـ)[٨].

(١) انظر: معجم الأدباء ٤/ ٤٩٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٠.

(٢) في العراق-منشورات وزارة الثقافة والإعلام-١٩٧٩م.

(٣) انظر: طبقات الحنفية لابن أبي الوفاء القرشي ٢/ ٦٠، وتاج التراجم ١/ ٢٤٣، وهدية العارفين ٦/ ١٧، والأعلام ٦/ ١٥٧.

(٤) طبع بتحقيق/ عمر بن محمود أبو عمر، في دار الراية -ط ١-١٩٩١م، وغيرها.

(٥) انظر: هدية العارفين ١/ ١٦٣، وتاريخ التراث العربي ٣/ ٣٤٨.

(٦) في رسائل العدل والتوحيد- الجزء الثاني -رسائل الإمام يحيى بن الحسين، تحقيق د/ محمد عمارة، ط/ دار الشروق-١٩٨٨م.

(٧) انظر: المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ١/ ٤١٣.

(٨) انظر: هدية العارفين ١/ ٣٠٧.

٩. كشف فضائح المشبِّهة والحشوية، لعليّ بن أبي القاسِم مُحَمَّد التَّمِيمِي، أبي الحسن المغربي القسنطيني، المتوفى سنة (٩١٥هـ)[١].

١٠. أرجوزة في الرد على المشبِّهة، مسماة: «العمدة المنبهة عن رقدة المشبهة»، لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد، أبي حامد الأشتري، حدث بها سنة (٥٠٦هـ)[٢].

١١. الرد على المشبِّهة، للقاضي بدر الدين بن جماعة محمد بن إبراهيم الشافعي، المتوفى سنة (٧٣٣هـ)[٣].... وغيرها.

* وصف النُّسخة المعتمدة في تحقيق الكتاب:

لم يَنْتَه إليَّ من هذا الأثر الجليل فيما أعلم من خلال استعراضي لفهارس مخطوطات مكتبات العالم إلا نسخة واحدة تستقل بها مكتبة «داماد إبراهيم باشا» بتركيا[٤]، برقم (٢٧٢) ضمن مجموع، وهذا المجموع يشتمل على ثلاثة كتب:

الأول: تأويلات الأحاديث المتشابهة لابن فورك كما في فهرس المكتبة وليس له وإنما نسبه خطأ، وورد اسمه في آخره هكذا «كتاب تأويل الأخبار المشكلة» دون ذكر اسم المؤلف، ويستقل فيه من اللوحة (١-٦٧).

الثاني: معارف الأخيار في تأويل الأخبار، وشك الناسخ في نسبته فقال:

(١) انظر: هدية العارفين ١/ ٦٩٥.

(٢) انظر: الوافي بالوفيات ٣/ ١٩١، ولسان الميزان ٥/ ٢٤٨.

(٣) انظر: كشف الظنون ١/ ٨٣٩.

(٤) انظر: دفتر كتبخانة داماد إبراهيم باشا ص١٩، وتاريخ التراث العربي ١/ ٢٤٩، ومعجم التاريخ -التراث الإسلامي في مكتبات العالم ٥/ ٣٧٧٥.

«ومصنفه أحد الإمامين: القاضي أبو بكر الباقلاني، أوالقاضي أبو بكر بن فورك»، ويستقل فيه من اللوحة (٦٨-٩٦).

الثالث: جلاء الشُّبه، للمفضل بن سلمة بن عاصم، ويستقل فيه من اللوحة (٩٧-١٢٤).

وهي نسخة نفيسه مصحَّحه ومقابلة بنسخة أخرى، كما ورد بحواشيها، ومضبوطة بالشَّكل في بعض المواضع الملبسة، وناسخها: مُصْطَفَى بنُ الحاجِّ عبدِ المؤمنِ الجرّاح، سنة (١١٠٨هـ)[1].

وهي مع ذلك قد اعتراها بعض التحريفات والتصحيفات من الناسخ، ووفقت بفضل الله إلى تصويبها.

* منهج التحقيق:

تبعت في تحقيق هذا الأثر المنهج الأمثل المتعارف عليه لدى المحققين الأثبات، والذي يُسلم إلى إخراج النص في الصورة المثلى التي يرتضيها مؤلفه، وهذا المنهج يتجلى فيما يأتي:

١. قُمْتُ بنسخ نسخة الأصل نسخًا صحيحًا.

٢. قابلتُ بين نسخة الأصل، وبين نقول المؤلف من مصادره.

٣. حَرَّرْتُ النصَّ وفق القواعد الإملائية الحديثة، دون التَّقيد بما كُتب به المخطوط.

٤. أصلحتُ التصحيف والتحريف الوارد في النص، وبينت ذلك في موضعه.

(١) الشكر موصول لأخي الحبيب د/ محمد حديد على تفضّله عليَّ بصورة من هذه النسخة عندما طلبتها منه، فله منّي كل شكرٍ وتقدير، ومن الله عزوجل المثوبة والعرفان.

٥. قُمْتُ بتخريج الشواهد الواردة في الكتاب: من الآيات القرآنية، الأحاديث النبوية الشريفة، والأمثال، والأشعار، كلٌّ بحسب مظانه.

٦. وَثَّقْتُ أقوالَ العُلماءِ الواردةَ في الكتاب من مظانها.

٧. ترجمت للأعلام الواردة في الكتاب ترجمة موجزة.

٨. ربطت بين هذا الكتاب وكتب المؤلف الأخرى، ولا سيما «الفاخر».

٩. فَسَّرْتُ الألفاظ الغريبة الواردة في المتن من كتب غريب الحديث وكتب المعاجم المختصّة بذلك.

١٠. ضَبَطْتُ النَّصَّ في أغلبه، لا سيما مواضع الإلباس؛ ليسهل على القارئ مُطالعتُهُ.

١١. عَرَّفتُ بالأماكن والقبائل الواردة في الكتاب.

١٢. علَّقتُ على ما يحتاج لتعليقٍ في النَّصِّ المحقق، دون إسرافٍ أو تقتيرٍ.

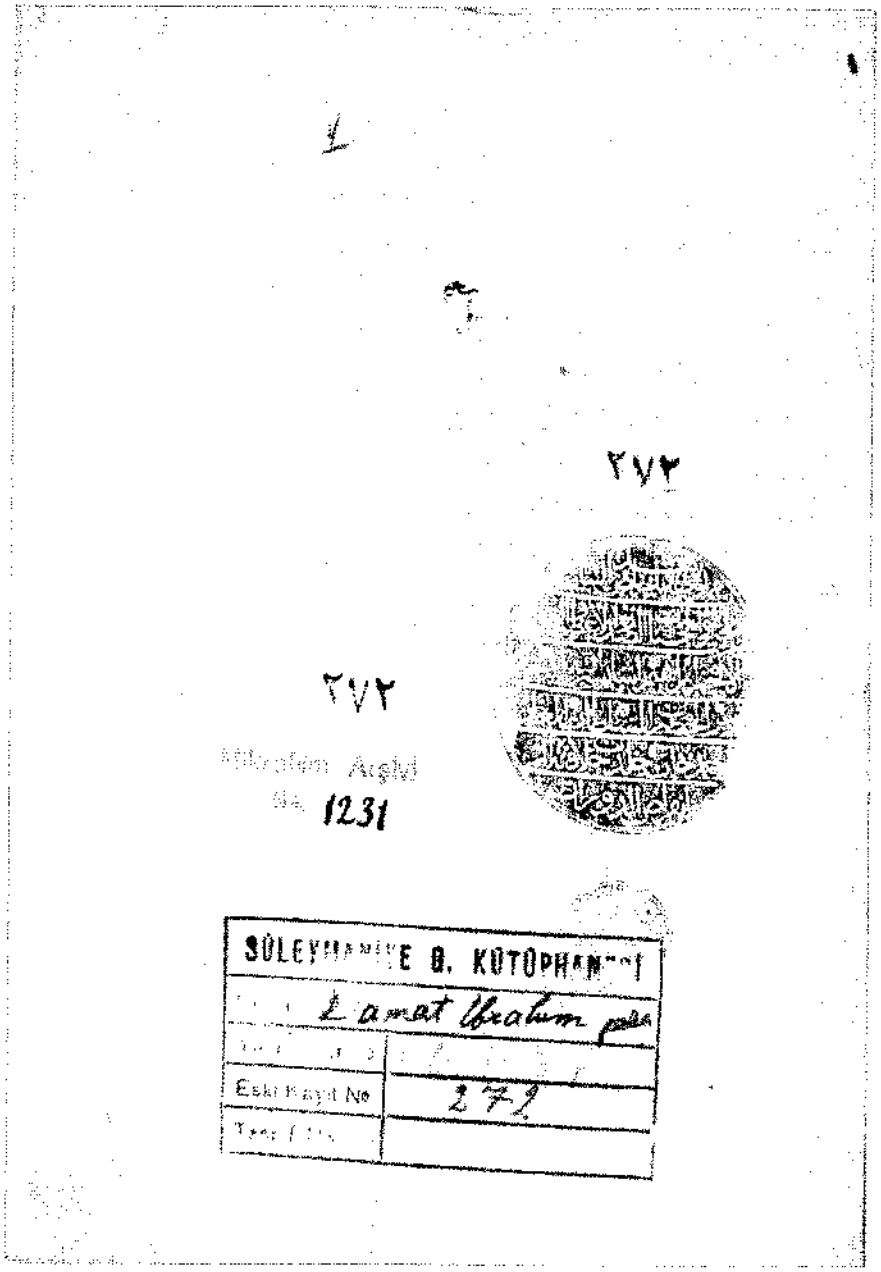
١٣. استعنت بكتب اللغة والعقيدة التي توضح مراد المؤلف، دون تطويع مذهب المؤلف العقدي لطائفةٍ بعينها، كما يفعل البعض.

١٤. وضعتُ الحاصرتين ([]) المجردتين من رقم الحاشية؛ للدلالة على أن ما بينهما زيادة من المحقِّق.

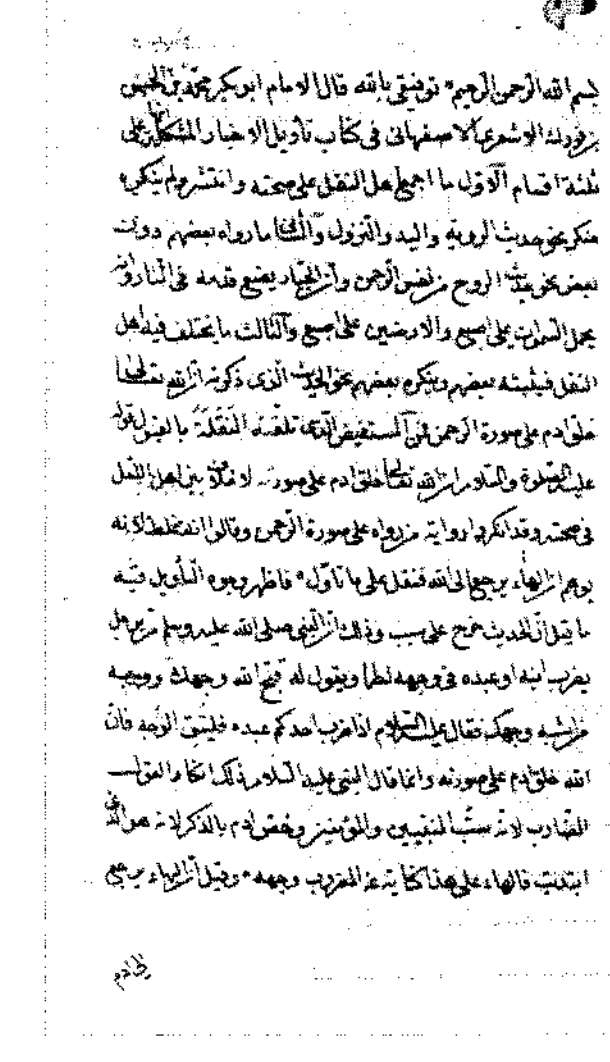
١٥. قدمتُ بين يدي النص المحقَّق مقدمةً شافية تناولتْ تفصيل الحديث عن العلامة المؤلف وكتابه.

١٦. أردفتُ النَّصَّ المحقَّقَ بفهارس فنيةٍ، تعين القارئ على نشدان بغيته في يُسْرٍ وسُهولةٍ.

صور النسخة الخطية الفريدة
المعتمدة في التحقيق



صفحة غلاف المجموع



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق وإياه نستعين قال الامام ابو بكر محمد بن الحسين
بن فورك الاشعري الاصفهاني في كتاب تأويل الاخبار المشكلة على
ثلثة اقسام الاول ما اجمع اهل النقل على صحته واشتهر ولم ينكره
منكر نحو حديث الرؤية واليد والنزول والكلام ما رواه بعضهم دون
بعض نحو حديث الروح من بعض الرحمن وانزل الجبار بضبع قدمه في النار وانه
يحمل السموات على اصبع والارضين على اصبع والثالث ما يختلف فيه اهل
النقل فيثبته بعضهم وينكره بعضهم نحو الحديث الذي ذكرتم ان الله تعالى
خلق آدم على صورة الرحمن فان المستفيض انه تعالى خلق آدم على صورته فالمنقول بالنقل
عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى خلق آدم على صورته لا فلا يثبت اهل النقل
في صحته وقد انكروا رواية من رواه على صورة الرحمن وقالوا انه غلط لان
ضمير الهاء يرجع الى الله فنقول على ما تأول فاظهر وجوه التأويل فيه
ما قيل ان الحديث خرج على سبب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على
رجل يضرب ابنه او عبده في وجهه لطما ويقول له قبح الله وجهك ووجه
من اشبه وجهك فقال عليه السلام لا تضرب احدكم عبده فليتق الوجه فان
الله خلق آدم على صورته وانما قال النبي عليه السلام ذلك انكارا لقول
الضارب لانه سب النبيين والمؤمنين وخص آدم بالذكر لانه هو الذي
ابتدئ بالهاء على هذا كما يدعو المضروب وجهه وقيل ان الهاء يرجع

الورقة الأولى من المجموع

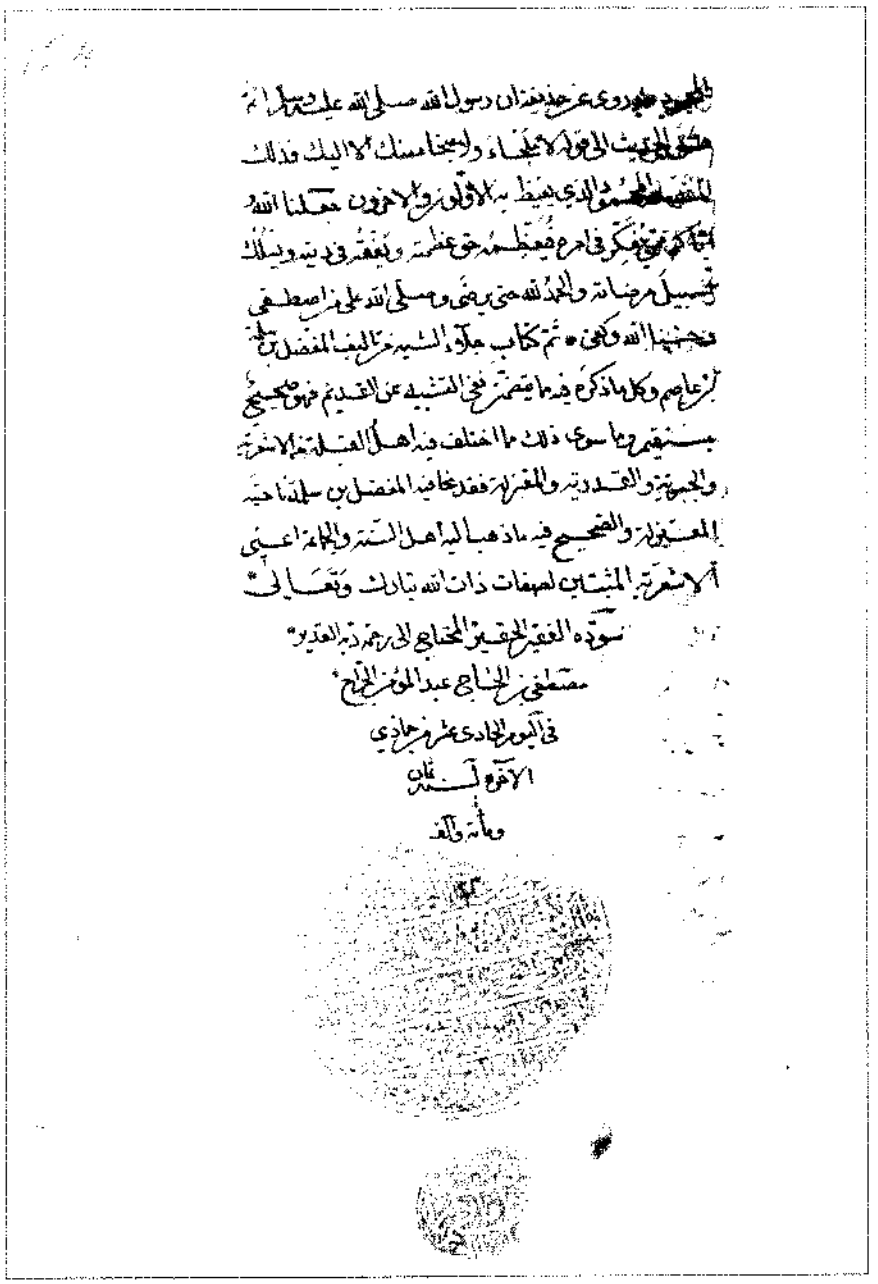
٩٧

كتاب جملة الشرائع تأليف أبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم

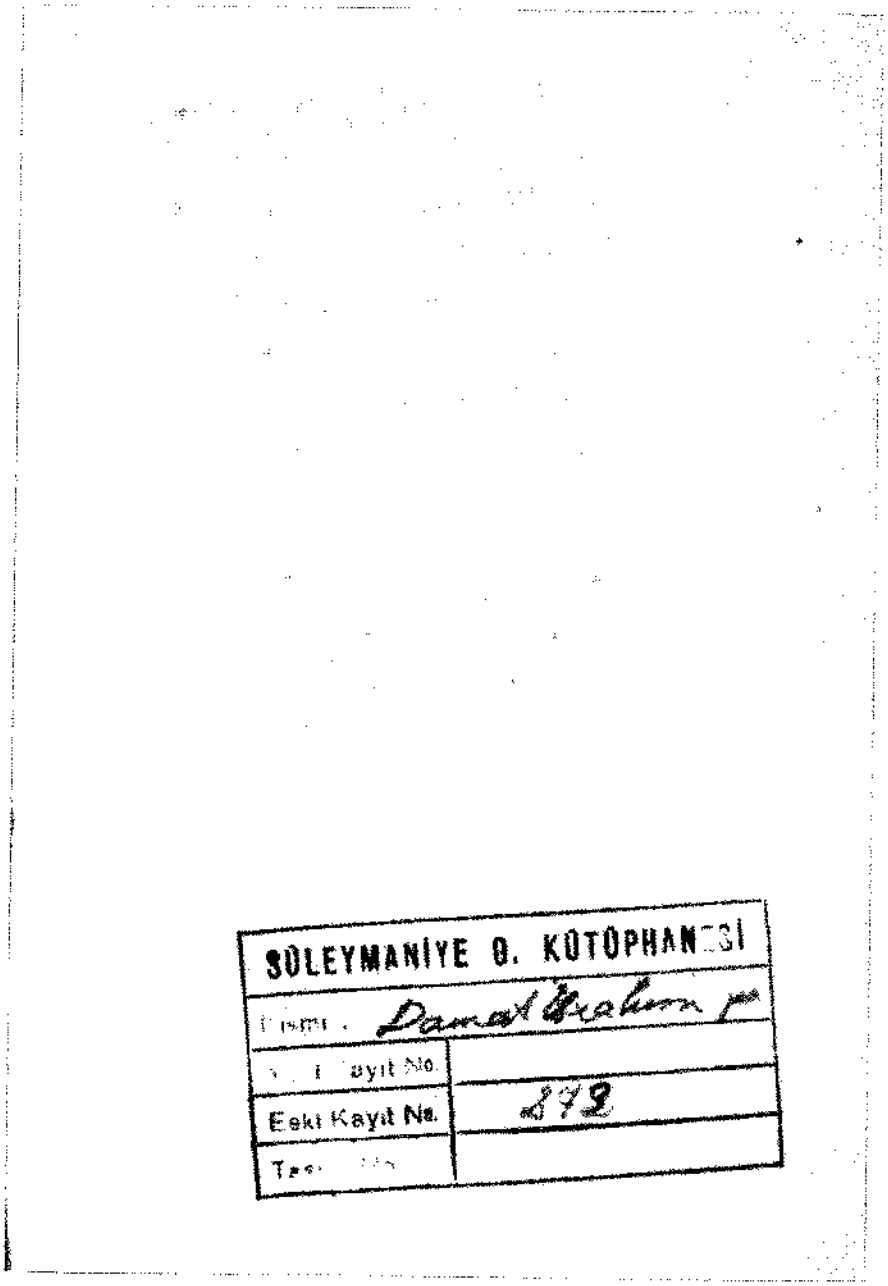
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فضل اصفياءه خلقه، ونعم اجتباء عباده، فجعل الدنيا دار مستقرهم، واصل منشائهم، وجعل الآخرة دار مستقرهم، وجزاء اعمالهم، ثم غرهم فيه بما جعل في فطرهم من الغرة بالبقاء بعد الموت فكم فقد احد ثم محدث غرة مبان لم ير جميع معاشا ليدوم عليه، وانما المنة لديهم بعثة الرسل اليهم لينبههم على امره، ويقفهم على حد اوامره، ويهديهم الى المحجة التي عنها اليها، ويحذرهم السبل التي نهاهم عنها، ليهلك من هلك بينة، ويحيى من حي عن بينة، والله سميع عليم، وكان خاتم الرسل لديهم، وموجب الحجة البالغة عليهم، محمدا صلى الله عليه وسلم بعثه الله متمما لامره، ومبينا لدينه، وقائما بحجه، وهاديا الى سبله، ومحذرا من الكفر به، وخاطبهم بلسان عربي مبين ليبين فرضه، الذي اختاره لهم وحاهم به، ليبين لهم ما انزل اليه، فيفهموا عنه، ويحذرهم ما نهى عنه، فينتهوا راجعا فيما جهلوه من التأويل الى المحكم، وجعل ذلك العربي فصيحا واضحا واسعا يتعرفون فيه فيستعملون اللفظ الواحد في الاشياء المختلفة، ويعبرون الاسم الواحد بالاسماء الكثيرة ويشيرون الى الشيء اشارة، ويستعيرون الصفات استعارة ليبين فيفهم بعضهم عن بعض ما يشاء ليبين، ويتألف الصغير منهم عن الكبير ما يحتاج، وعلى حسب مذاهبهم في كلامهم خاطبهم الله تعالى ليكون الحجة لهم فيما يخاطبون به، ولاكد الحجة عليهم فيما دعوا

الورقة الأولى من المخطوط



الورقة الأخيرة من المخطوط



الورقة الأخيرة من المجموع

القسم الثاني
النص المحقق

[٩٧/ب]

/ كِتابُ جَلاءِ الشُّبَه

تَأْلِيفُ

أَبِي طالِبٍ المُفَضَّلِ بْنِ سَلَمةَ بْنِ عاصِمٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي شملَ إِنْعامُهُ خَلْقَهُ، وعمَّ إحسانُهُ عِبادَهُ، فجعلَ الدُّنيا دارَ مَبْدَئِهِمْ، وأصلَ مَنْشَئِهِمْ، وجعلَ الآخرةَ دارَ مستقرِّهِم، وجزاءَ أعمالِهِم، ثُمَّ عرَّفَهُمْ نَفْسَهُ بما جعلَ فِي فِطْرَتِهِمْ منَ المعرفةِ بأنَّ مَنْ كانَ بعدَ أنْ لمْ يكُنْ فقدْ أحدَثَهُ مُحْدِثٌ غيرَهُ مُباينٌ لهُ منْ جميعِ معانِيهِ ليدُلَّهُمْ عليهِ، وأكَّدَ المِنَّةَ لدَيهِمْ ببعثةِ الرُّسلِ إليهِمْ؛ ليُنَبِّهُوهُمْ علَى أمرِهِ، وَيَقِفُوهُمْ[1] علَى جلالةِ قَدْرِهِ، ويَهْدُوهُمْ إلَى المحَجّةِ الَّتِي دعاهُمْ إليها، وَيُحَذِّرُوهُمْ السُّبُلَ الَّتِي نهاهُمْ عنْها، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وكانَ خاتَمُ النِّعمةِ لَدَيهِم، وموجِبُ الحُجّةِ البالغةِ عليهِم: محمدًا ﷺ، بعثَهُ اللهُ تعالَى مُتَمِّمًا لِأَمْرِهِ، ومُبَيِّنًا لِدِينِهِ، وقائمًا بِحُجَجِهِ، وَهادِيًا إلَى سُبُلِهِ، ومُحَذِّرًا منَ الكُفْرِ بِهِ، وخاطَبَهُمْ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ؛ لِسانِ قومِهِ، الَّذِي اختارَهُمْ لهُ، وحَباهُمْ بِهِ؛ لِيُبَيِّنَ لهُمْ ما أُمِرُوا بِهِ، فيفْهَمُوا منْهُ، ويُحَذِّرَهُمْ ما نُهُوا عنْهُ، فَيَنْتَهُوا راجِعًا فيما جهِلَهُ منَ التَّأويلِ[2].. اللَّهُمَّ، وجعلَ لِسانَ العَرَبِ فَصِيحًا وَلُغَتَهُمْ واسِعةً يتصَرَّفُونَ فيها، فَيَستَعْمِلُونَ اللَّفظَ الواحِدَ فِي الأشياءِ المختلِفةِ، ويُسَمُّونَ الاسمَ الواحدَ بالأسماءِ الكثيرةِ[3]، ويُشِيرُونَ إلَى الشَّيءِ إشارةً، ويَستعِيرُونَ الصِّفاتِ استعارةً

(١) أي: يُطلعوهم، ففي تاج العروس «ط ل ع»: «وقَفَ فُلانًا علَى ذَنْبِه.. إذا أَطْلعه عليه، وأَعْلَمهُ بِهِ.».

(٢) كذا في الأصل، والعبارة مشكلة.

(٣) وهو ما يُسمَّى في اللغة بظاهرة الترادف، وهو دلالة عدة ألفاظ على معنى واحد، قال =

لِيُبَيِّنَ، فيفَهَمَ بعضُهُمْ عنْ بعضٍ ما يُشِيرُ إليهِ، ويَتَلقَّنُ الصَّغيرُ منهُمْ عنِ الكبيرِ ما يُوحِي بهِ.

وعلَى حسبِ مذاهبِهِمْ فِي كلامِهِمْ خاطَبَهُمُ اللهُ تعالَى؛ ليكونَ أبلغَ لمعرفَتِهِمْ فيما يُخاطَبُونَ بهِ، وأَوْكَدَ للحُجّةِ عليهِمْ فيما دُعُوا / إليهِ ونُهُوا عنْهُ، ثُمَّ بيَّنَ عنْ ذكْرِ [١٩٨] جلالةِ عظمَتِهِ وارتفاعِ شأنِهِ فيما أَنْزَلَ علَى نبيِّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ليُعظِّمَهُ عِبادُهُ علَى حسبِ حقِّهِ تعالَى، ويعبدُوهُ حقَّ عِبادَتِهِ؛ بأَنْ يصفُوهُ بِما وصفَ بهِ نفسَهُ، ويُنَزِّهُوهُ عنِ الشَّبَهِ بِخَلْقِهِ، فقالَ تعالَى فيما أنزَلَ علَى نبيِّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ منَ الحُجّةِ بينَهُ وبينَ عبادِهِ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وقالَ تعالَى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقالَ تعالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، وقالَ تعالَى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ارتفاعًا عنْ شُبَهِ الآدَمِيِّينَ، وجَلالًا عنْ صفاتِ المخلوقِينَ تعالَى اللهُ عمّا يقولُ الظّالمُونَ،

= الجرجاني: «المترادف ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة، وهو ضد المشترك» التعريفات ص٢٥٣.

وقال المناوي «الترادف: الاتحاد في المفهوم، أو توالي الألفاظ الدالة على مسمى واحد» التوقيف على مهمات التعاريف ص١٦٩. وقد أثبت جل العلماء هذه الظاهر ما عدا بعض العلما، ومنهم: ثعلب، وابن درستويه، والعسكري، والراغب الأصفهاني، وغيرهم. انظر: التعريفات ص٧٧، ومعجم مقاليد العلوم ص٦٥، ودستور العلماء ١/ ١٩٧، وظاهرة الترادف بين الواقع اللغوي وآراء الدارسين، د/ عايد جدوع، مجلة القاسمية- كلية الآداب- ٢٠١٠ م.

فأَوْلَى ما صرَفَ إليهِ المسلمُونَ عنايَتَهُمْ، وأحقُّ ما شغلُواْ بهِ أنفُسَهُمْ تصحيحُ توحِيدِ اللهِ تبارَكَ اسمُهُ ونفْيُ الأشباهِ عنْهُ، فقدْ بُلُوا بطائِفَتَينِ جائِرَتَينِ عنْ قصْدِ السَّبيلِ، جائرَتَينِ عنْ نَهْجِ الدِّينِ:

طائفةٍ منَ المَلاحِدةِ المُتَستِّرةِ بالإسلامِ[1]، حتَّى لَوْ قَدرُوا لَأَنالُوا الإسلامَ وأهلَهُ خَيالاتِهِمْ؛ لأَنَّهُمْ يتأوَّلُونَ القرآنَ بغَيرِ تأويلِهِ، إزالةً للمسلمِينَ عنْ حَقِّ تَنْزِيلِهِ، ويَرْوُونَ لَهُمْ أَحادِيثَ كاذبةً مُتَناقِضةً مُتَباينةً، وَيَعْدِلُونَ عَنْ تَأْوِيلِ الأَحادِيثِ الصَّحِيْحةِ إلَى غَيْرِ الحقِّ، ويُفَسِّرُونَها بِضِدِّ الصَّوابِ، يُحاوِلُونَ بِذَلِكَ تَبْدِيلَ الكِتابِ وَتَغْيِيرَ السُّنَّةِ.

وَطائِفةٍ جُهّالٍ؛ لَمْ يَنْظُرُواْ فِي أُصُولِ الدِّينِ، ولا عُنُوا بشيءٍ منَ التَّأويلِ[2]، فَهُمْ

(١) لعله يقصد بذلك الفرق التي نعتها عبد القاهر بن طاهر البغدادي بقوله: «... أهل الأهواء الضالة من: القدرية، والخوارج، والروافض، والنجارية، والجهمية، والمجسمة» الفرق بين الفرق ص٧. أو ما في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٢٣٠: «منه (فلان من أهل الأهواء) لمن زاغ عن الشرع من أهل القبلة؛ كالجبرية والقدرية والحشوية والخوارج والروافض ومن سار سيرتهم».

أو يقصدُ المؤلف بهم -وهو الأرجح- طوائفَ الباطنية الذين يصدق عليهم هذا الوصف، وهؤلاء يجمعهم القول بالظاهر والباطن، وأن لكل ظاهر باطنا، وهذا الباطن لا يعلمه إلا طائفة خاصة، يعنون أنفسهم، وهم بهذه التأويلات الفاسدة يعيثون في الدين فسادا من خلال التلاعب بحقائقه ونصوصه، وقد خصهم الإمام الغزالي بكتاب مستقل، سمّاه: «فضائح الباطنية». وانظر عنهم أيضًا: مذاهب الإسلام د/ عبد الرحمن بدوي.

(٢) لعله يقصد بذلك طائفة المشبهة، وهم من يشبهون الله عزوجل بالمخلوقات، قال الأمدي: «وأما المشبهة فقد اتفقوا على تشبيه الإله -تعالى- بالمخلوقات، وتمثيله بالحادثات...» أبكار الأفكار ٥/ ٩٣.

وأشار إليهم الزركشي أيضًا بقوله: «النوع السابع والثلاثون: «في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات)، وقد اختلف الناس في الوارد منها في الآيات والأحاديث على =

عَمُونَ عنْ تَفْسِيرِ القُرْآنِ وَمَعانِيهِ، حَدَّثَتْهُمْ أنفُسُهُمْ بالرِّياسةِ، وليسَ هُمْ لَها بأَهْلٍ، فسَمّوا أنفسَهُمْ بها، وَوَجَدُوا جُهّالًا يتبعُونَهُمْ علَى ذلِكَ؛ لأنَّ الباطِلَ أَخَفُّ محمَلًا مِنَ الحقِّ/ ، والجهلَ أَلْيَقُ بالجُهّالِ منَ العِلْمِ، فَأَفْتَوا فِي القُرْآنِ بِلَفْظِهِ، وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى معناهُ، بَلْ لَمْ يَفْهَمُوهُ، فهلَكُوا، وأَهْلَكُوا مَنْ تَبِعَهُمْ، وقدْ أخبرَ النَّبيُّ ﷺ بما يلقَى المسلمُونَ منَ الجُهّالِ فقالَ[1]: «إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ النّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العُلَماءَ حَتَّى إِذا لَمْ يَتْرُكْ عالِمًا، اِتَّخَذَ النّاسُ رُؤُسًا جُهّالًا، فَسُئِلُوا[2]، فَأَفْتَوا بِغَيرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». [٩٩ب]

وجاءَ عنْهُ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي الحَضِّ علَى معرفةِ تَأْوِيلِ القُرْآنِ؛ خَوفًا علَى الأُمّةِ منَ الإقدامِ علَى حمْلِهِ علَى ظاهِرِ اللَّفظِ دونَ علمِ التَّأويلِ[3]، ما فيهِ كفايةٌ لِمَنْ عَقَلَ،

= ثلاث فرق: أحدها: أنه لا مدخل للتأويل فيها بل تُجْرى على ظاهرها ولا تؤول شيئًا منها، وهم المشبهة... والأول باطل...» البرهان في علوم القرآن ٢/ ٧٨.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥٠- باب الحِرْصِ على الحديث، حديث رقم (١٠٠)، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٨-باب رَفْعِ العِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الجَهْلِ والفِتَنِ في آخِرِ الزَّمانِ، حديث رقم (٢٦٧٣).

(٢) في الأصل: فيسألوا، والصواب المثبت.

(٣) في الإحكام عن أصول الأحكام للآمدي ٣/ ٥٣-٥٤: «أَمّا التَّأْوِيلُ فَفِي اللُّغةِ مَأْخُوذٌ مِنْ: آلَ يَئُولُ، أَيْ رَجَعَ... وَأَمّا فِي اصْطِلاحِ المُتَشَرِّعةِ قالَ الْغَزالِيُّ: التَّأْوِيلُ عِبارةٌ عَنِ احْتِمالٍ يُعَضِّدُهُ دَلِيلٌ يَصِيرُ بِهِ أَغْلَبَ عَلَى الظَّنِّ مِنَ الْمَعْنَى الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الظّاهِرُ، وَهُوَ غَيْرُ صَحِيحٍ.... وَأَمّا التَّأْوِيلُ الْمَقْبُولُ الصَّحِيحُ فَهُوَ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى غَيْرِ مَدْلُولِهِ الظّاهِرِ مِنْهُ مَعَ احْتِمالِهِ لَهُ بِدَلِيلٍ يُعَضِّدُهُ». وانظر: التعريفات ص٧٢، والمستصفى ص١٩٦، وتشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي ٢/ ٨٢٠، والإيضاح لقوانين الاصطلاح لابن الجوزي ص١١١، والتوقفيف على مهمات التعاريف ص١٥٦، ودستور العلماء ١/ ١٨٠، والكليات ص٢٦١.

ووعْظٌ لِمَنِ اتَّعَظَ؛ فمِنْ ذلِكَ: ما رواهُ حَمّادُ بنُ سلمةَ[١]، عنْ عَلِيِّ بنِ زيدٍ، عنِ الحَسَنِ يرفَعُهُ إلَى النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ[٢]: «ما نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ آيةٌ إلّا لَها ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ وَمُطَّلَعٌ[٣]».

وَتَأْوِيلُ ذَلِكَ عندَ أَهْلِ العِلْمِ أنَّ الظَّهْرَ لَفْظُ القُرْآنِ، والبَطْنَ تَأْوِيلُهُ، والمُطَّلَعَ: المَأتِي الَّذِي يُعْلَمُ منْهُ علْمُ القرآنِ[٤].

(١) هو: حَمّاد بن سَلمة بن دِينار مولى ربيعة بن مالك، الإمام الْمَشْهُور، إمام الحَدِيث، وَشَيخ أهل الْبَصْرة فِي الْعَرَبيّة، وَسُئِلَ يُونُس: أَيّما أسن، أَنْت أَو حَمّاد؟ فَقالَ: حَمّاد، وَمِنْه تعلمت الْعَرَبيّة. وَقالَ الجرْمِي: ما رَأَيْت أفْصح مِنْهُ.

انظر في ترجمته: طبقات النحويين واللغويين ص٥١، وبغية الوعاة ١/ ٥٤٨.

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص٩٧، وغريب الحديث أبي عبيد ٢/ ١٢، وابن المبارك في الزهد ص٢٣، والمحاسبي في فهم القرآن ص٣٢٨، والثعلبي في: الكشف والبيان ٢/ ٢٥٧، والمستغفري في فضائل القرآن ص٢٧٦، والهندي في كنز العمال ١/ ٢٧٥، وأردفه بقوله: «أبو عبيد في (فضائله)، وأبو نصر السجزي في (الإبانة) عن الحسن مرسلا».

(٣) في مرقاة المفاتيح ١/ ٤٥٣: «بتشديد الطاء، وفتح اللام».

(٤) انظر: غريب الحديث أبي عبيد ٢/ ١٢-١٣، والمجموع المغيث ٢/ ٣٩٢، والفائق في غريب الحديث ٢/ ٣٨١، والنهاية لابن الأثير ٣/ ١٦٦، والقاموس المحيط ص٩٦١، والتاج «ظ هـ ر». وتأمل بقية الأقوال في ذلك في: النكت والعيون للماوردي ١/ ٤١، والبرهان للزركشي ٢/ ١٦٩.

وذكر الناسخ في الحاشية تفسيرا لذلك عن عمر بن عبد الرحمن القزويني، ونصه: «قالَ صاحبُ (كشفِ الكشّافِ): المذكورُ بوساطةِ الألفاظِ وتأليفاتِها وصفًا وإفادةً وجعلَها طرقًا إلَى استنباطِ الأحكامِ الخمسةِ وهوَ الظَّهْرُ. وروحُ الألفاظِ، أعنِي الكلامَ المعتَلِي عنِ المدارِكِ الآليّةِ المُدْرَكَ بجَوهَرِ الرُّوحِ القدسيِّ هُوَ البطْنُ، وإليهِ الإشارةُ بقولِ أميرِ المؤمنِينَ عليٍّ -كرَّمَ اللهُ وجهَهُ- فِي جوابِ مَنْ سألَهُ: هَلْ أَسَرَّ إليكُمْ =

ورُوِيَ عنْ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ أنَّهُ قالَ[١]: «إنَّ هَذا القُرْآنَ ذَلُولٌ، لَهُ وُجُوهٌ، فاحْمِلُوهُ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِهِ»[٢].

وكذلِكَ رُوِيَ عنْ عليِّ بنِ أبي طالبٍ أنَّهُ قالَ[٣]: «لا يَعْلَمُ الرَّجُلُ العِلْمَ كُلَّهُ حَتَّى يَبْحَثَ عَنْ حُرُوفِ القُرْآنِ وَنَظائِرِهِ».

= رَسُولُ اللهِ ﷺ شيئًا كَتَمَهُ عنْ غيرِكُمْ؟، فقالَ: لا، إلّا أنْ يؤتِيَ الله - تعالَى- عبدًا فِقْهًا فِي كتابِهِ. والحَدُّ: إمّا بينَ الظَّهْرِ والبطْنِ، بهِ يُرْتَقَى منْهُ إليهِ، وهُوَ المدركُ بالجمعيّةِ منَ الجمعيّةِ. وإمّا بينَ البطنِ والمطلَعِ، وهوَ مكانُ الاطِّلاعِ منَ الكلامِ النَّفْسِيِّ إلَى الاسمِ المتكلِّمِ المشارِ إليهِ بقولِ الصّادقِ رَضِيَ الله عَنْهُ: لَقَدْ تَجَلَّى الله - تعالَى- لعبادِهِ فِي كلامِهِ ولكنْ لا يُبْصِرُونَ، والحدُّ بينَهُما يُرتَقَى بهِ منَ البطْنِ إليهِ عندَ إدراكِ الرابطةِ بينَ الاسمِ والصِّفةِ واستهلاكِ صفةِ العبدِ تحتَ تجلِّياتِ أنوارِ صفةِ المتكلِّمِ - تعالَى شأنُهُ -. وقِيلَ: الظَّهْرُ: التَّفسيرُ، والبَطْنُ: التَّأويلُ، والحَدُّ: ما يَتَناهَى إليهِ المفهومُ منْ معنَى الكلامِ. والمُطّلَعُ: ما يُصْعَدُ إليهِ منْهُ فيُطَّلَعُ علَى شهودِ الملكِ العلّامِ، والله تعالَى أعلَمُ».

(١) أخرجه الدارقطني بسنده عن ابن عباس في سننه ٤/ ١٤٤، وابن حجر في: إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة ٧/ ٦٥٤. قال الألباني: «ضعيف جِدًّا» السلسلة الضعيفة ٣/ ١٢٧.

(٢) فسَّره الزركشي بقوله: «قوله: (ذلول) يحتمل وجهين: أحدهما أنه مطيع لحامليه ينطق بألسنتهم. الثاني أنه موضح لمعانيه حتى لا تقصر عنه أفهام المجتهدين. وقوله: (ذوو وجوه) يحتمل معنيين: أحدهما: أن من ألفاظه ما يحتمل وجوها من التأويل. والثاني: أنه قد جمع وجوهًا من الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب والتحليل والتحريم. وقوله (فاحملوه على أحسن وجوهه) يحتمل أيضًا وجهين: أحدهما: الحمل على أحسن معانيه. والثاني: أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص، والعفو دون الانتقام، وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله» البرهان ٣/ ١٦٣. وانظر: النكت والعيون ١/ ٣٥، ومرقاة المفاتيح ١/ ٤٤٧، والإتقان ٢/ ٤٧٥.

(٣) لم أقف عليه.

ورُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ مرَّ بِقاصٍّ[١] فقالَ[٢]: «هَلْ تَعْلَمُ النّاسِخَ مِنَ المَنْسُوخِ؟ قالَ: لا، قالَ: هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ»[٣].

وكذلِكَ رُوِيَ عنْ ابنِ عبّاسٍ، ورُوِيَ عنْ أَبِي الدَّرداءِ أَنَّهُ قالَ[٤]: «إِنَّكَ لا تَفْقَهُ كُلَّ الفِقْهِ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا».

فَمَنْ أَعْظَمُ جَهْلًا وأكثرُ وِزْرًا مِمَّنْ أقدَمَ علَى القرآنِ يُفسِّرُهُ بِرَأْيِهِ، ويتَأَوَّلُهُ أقْبَحَ تَأْوِيلِهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ ما بُلِيَ بِهِ المسلمُونَ منْ هؤلاءِ المُعانِدِينَ عنِ الحقِّ، الجائرِينَ عنِ القَصْدِ، تَشْبِيهُهُمُ اللهَ بخلْقِهِ، وَوَصْفُهُمْ إيّاهُ بِصَفةِ عِبادِهِ؛ لِما سَمِعُوا فِي القرآنِ منْ ذِكْرِ: يدِهِ[٥]، ويمِينِهِ[٦]، وعينِهِ[٧]، وقبضَتِهِ[٨]، وَأَشْباهِ ذَلِكَ مِمّا جَهِلُوا معناهُ؛

(١) أي: برجلٍ يقصُّ كلامًا.

(٢) ورد في: المعجم الكبير ١٠/ ٢٥٩، ومصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٢٩٠، وسنن البيهقي الكبرى ١٠/ ١١٧، والناسخ والمنسوخ للنحاس ص٤٩، وللمقري ص١٨، ولابن حزم ص٥، وغريب الحديث للحربي ٣/ ١٠٤٤، والمصفى من علم الناسخ والمنسوخ ص١٣.

(٣) قال الزركشي: «قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ، وقد قال علي بن أبي طالب لقاضٍ....» البرهان ٢/ ٢٩.

(٤) أخرجه ابن سعد في طبقاته ٢/ ٣٥٧، وعبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٢٥٥، وابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ١٤٢، ومعمر بن راشد في الجامع ١١/ ٢٥٥، والترمذي في نوادر الأصول ١/ ١٣٦، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢١١.

(٥) في قوله عزوجل: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله عزوجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].. وغيرهما.

(٦) في قوله عزوجل: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وغيره.

(٧) فِي قَوْله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقوله عزوجل: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

(٨) في قوله عزوجل: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

(٩٩) لأَنَّهُمْ لَمْ يُعْنَوُا / بِمُساءَلةِ العُلَماءِ عَنْهُ، ولا اهتَمُّوا بِمَعْرِفةِ الحَقِّ مِنْهُ، فَحَمَلُوهُ عَلَى ظاهِرِه، واحتجُّوا فِي ذلِكَ بأحادِيثَ باطلة، تُنْكِرُها العقولُ، وتَشْهَدُ علَى بُطْلانِها السُّنَّةُ، ويُبَيِّنُ كَذِبَها الأحاديثُ الصَّحيحةُ عنِ النَّبيِّ ﷺ؛ فمِنْ ذلِكَ: ما رواهُ أبُو معاوِيةَ الضَّريرُ[١]، عنْ عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ مُرّةَ[٢]، عنْ أبيهِ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ[٣]: «إِنِّي سَأَلْتُ اليَهُودَ عَنْ مُوسَى فَحَدَّثُونِي حتَّى كَذَبُوا عَلَيهِ، وَسَأَلْتُ النَّصارَى عَنْ عِيسَى فَحَدَّثُونِي حَتَّى كَذَبُوا عَلَيهِ، وَسَتُرْوَى عَنِّي أَحادِيثُ، فاعْرِضُوها عَلَى كِتابِ اللهِ، فَما وافَقَ[٤] مِنْها القُرْآنَ فَهُوَ مِنِّي، وَأَنا قُلْتُهُ، وَما لَمْ يُوافِقِ القُرْآنَ فَلَيسَ مِنِّي، وَلَمْ أَقُلْهُ».

(١) هو: محمد بن خازم السعدي التميمي، أبو معاوية الضرير، من أهل الكوفة، يروي عن الشيباني، وابن أبي خالد. روى عنه أحمد ويحيى وأهل العراق، وكان حافظًا متقنًا، ولد سنة ثلاث عشرة ومائة، ومات في سنة خمس وتسعين ومائة.
انظر في ترجمته: التاريخ الكبير ١/٧٤١، والثقات ٧/ ٤٤١، ومولد العلماء ووفياتهم ص٢٦٧.

(٢) هو: عبد الله بن عمرو بن مرة المرادي ثم الجملي الكوفي، روى عن أبيه، ومحمد بن سوقة، وعاصم بن بهدلة وغيرهم، وعنه: حفص بن غياث، ووكيع، وأبو نعيم، وإسحاق ابن منصور السلولي وغيرهم. قال أبو حاتم: لا بأس به، وقال الحاكم: هو من ثقات الكوفيين ممن يجمع حديثه.
انظر في ترجمته: الثقات ٧/ ٤٩، والكاشف ١/ ٥٨٠، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٩٧.

(٣) أخرجه الروياني في مسنده ٢/ ٣٥٥، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٣١٦، والهندي في كنز العمال ١/ ١١١. قال السخاوي: «.. جاء من طرق لا تخلو من مقال» المقاصد الحسنة ص٨٣.

(٤) في الأصل: أوفق، والصواب المثبت.

ورُوِيَ عنْ عبدِ الرَّزّاقِ، عنِ سُفيانَ[١]، عَنْ[٢] عاصِم بنِ كُلَيبٍ[٣]، عنْ أبيهِ قالَ: قالَ ابنُ عبّاسٍ[٤]: «إذا حَدَّثْتُكُمْ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ فَلَمْ تَجِدُوا مِصْداقَهُ فِي كِتابِ اللهِ، وَلَمْ يَكُنْ حَسَنًا فِي أَخْلاقِ المُسْلِمِينَ فَأَنا بِهِ كاذِبٌ».

ورَوَى صالِحُ بنُ مُوسَى[٥]، عَنْ عبدِ العزيزِ بنِ رفيعٍ[٦]، عنْ أبِي صالِحٍ، عنْ

(١) أي: الثوري رَضِيَ الله عَنْهُ.

(٢) في الأصل: ابن، وهو تحريف.

(٣) هو: عاصم بن كليب بن شهاب الجرمي الكوفي، يروي عن أبيه، وأبي بردة بن أبي موسى، وعبد الرحمن بن الأسود بن يزيد وعدة، وعنه: شعبة، والسفيانان، وزائدة، وبشر بن المفضل، وابن فضيل، وعلي بن عاصم، وكان فضلًا عبّادًا، وثقه ابن معين وغيره، توفي سنة سبع وثلاثين ومائة.

انظر في ترجمته: الطبقات لابن خياط ص١٦٥، وتاريخ الإسلام ٨/ ٤٥٧، والكاشف ١/ ٥٢١، وتهذيب التهذيب ٥/ ٤٩.

(٤) أخرجه البلخي في: قبول الأخبار ومعرفة الرجال ١/ ٧٩، والهروي في ذم الكلام وأهله ٢/ ٧٧.

(٥) هو: صالح بن موسى بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله الطلحي الكوفي، روى عن: أبيه، وعمه معاوية بن إسحاق، وشريك بن أبي نمر، والأعمش، ومنصور وهشام بن عروة وغيرهم، وعنه: زيد بن الحباب، وأبو توبة الربيع بن نافع، وسعيد بن منصور، وقتيبة وسويد بن سعيد وجماعة. قال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: لا يكتب حديثه ضعيف.

انظر في ترجمته: تهذيب الكمال ١٣/ ٩٥، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣٥٤، ولسان الميزان ٧/ ٢٤٦، ومن تكلم فيه الدارقطني لابن زريق ٢/ ٦٥.

(٦) هو: عبد العزيز بن رفيع، أبو عبد الله الأسدي الطائفي نزيل الكوفة، روى عن: ابن عباس، وابن عمر، وشريح القاضي، وأنس بن مالك، وعبيد بن عمير، وزيد بن وهب وجماعة، كان أحد الثقات المسندين، وتوفي سنة ثلاثين ومائة. =

أبِي هُرَيرةَ عنِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ أنَّهُ قالَ[١]: «سَيَأْتِيكُمْ عَنِّي أَحادِيثُ مُخْتَلِفةٌ، فَما جاءَكُمْ مُوافِقًا لِكِتابِ اللهِ تَعالَى وَلِسُنَّتِي فَهُوَ مِنِّي، وَما جاءَكُمْ مُخالِفًا لِكِتابِ اللهِ تَعالَى وَلِسُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي».

ورُوِيَ عنْ سعيدِ بنِ المسيّبِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ[٢]: «إِذا بَلَغَكُمْ عَنِّي حَدِيثٌ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُكُمْ، وَتُنْكِرُهُ قُلُوبُكُمْ، فَأَنا أَبْعَدُكُمْ مِنْهُ، وَإِذا بَلَغَكُمْ عَنِّي حَدِيثٌ تَلِينُ لَهُ جُلُودُكُمْ، وَتَعْرِفُهُ قُلُوبُكُمْ، فَأَنا أَوْلاكُمْ بِهِ».

ورُوِيَ عنْ محمَّدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ[٣] أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ[٤]: «[ما] حُدِّثْتُمْ عَنِّي

= انظر في ترجمته: الثقات ٥/ ١٢٣، والجرح والتعديل ٥/ ٣٨١، الوافي بالوفيات ١٨/ ٢٩٢.

(١) أخرجه الدار قطني في سننه ٤/ ٢٠٨، وأردفه بقوله: «صالح بن موسى ضعيف لا يحتج بحديثه». والهروي في ذم الكلام وأهله ٤/ ٥٦.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده عن أسيد في مسنده ٣/ ٤٩٧، وأخرجه ابن حبان عن حميد في صحيحه ١/ ٢٦٤، وأخرجه الطحاوي عن أبي حميد أو أبي أسيد في شرح مشكل الآثار ١٥/ ٣٤٤.

(٣) هو: محمد بن جبير بن مطعم ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف، أبو سعيد القرشي النوفلي المدني أخو نافع، روى عن أبيه، وعمر بن الخطاب، وابن عباس، ومعاوية، روى عنه: بنوه، وكان من علماء قريش وأشرافها. قال ابن سعد: كان ثقةً قليل الحديث، وقال الواقدي: توفي بالمدينة في خلافة عمر بن عبد العزيز، وقيل: في خلافة سليمان بن عبد الملك.
انظر في ترجمته: الطبقات لابن خياط ص٢٤١، والثقات ٥/ ٣٥٥، ومشاهير علماء الأمصار ص٧٢، وتاريخ الإسلام ٦/ ٤٦٦.

(٤) أخرجه ابن عدي في: الكامل في ضعفاء الرجال ٣/ ٣٢٠، والخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية ص٤٣٠، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٦٢، والسيوطي في مفتاح السنة ص٢٥، وأتبعه بقوله: «قال البيهقي: وهذا منقطع».

مِمّا تُنْكِرُونَ فَلا تُصَدِّقُوا بِهِ، فَإِنِّي لا أَقُولُ المُنْكَرَ، وَما حُدِّثْتُمْ عَنِّي مِمّا تَعْرِفُونَ فَصَدِّقُوا بِهِ».

ورُوِيَ عنِ الحارِثِ[1] عنْ أبيهِ قالَ: مَرَرْتُ بِالمَسْجِدِ فَإِذا النّاسُ قَدْ وَقَعُوا فِي الأَحادِيثِ، فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، فَقُلْتُ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَلا تَرَى / أَنَّ النّاسَ قَدْ وَقَعُوا فِي الأَحادِيثِ؟ قالَ: أَوَ قَدْ فَعَلُوا؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قالَ: أَما إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ[2]: «أَلا إِنَّها سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، قالَ: قُلْتُ: فَما المَخْرَجُ مِنْها يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: كِتابُ اللهِ؛ كِتابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ ما قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ ما بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ ما بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبّارٍ قَصَمَهُ الله، وَمَنِ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيرِهِ أَضَلَّهُ الله، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّراطُ المُسْتَقِيمُ؛ الَّذِي لا تَزِيغُ[3] بِهِ الأَهْواءُ، وَلا يَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَماءُ، وَلا يُخْلِقُ عَنْ رَدٍّ، وَلا تَنْقَضِي عَجائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الجِنُّ حِينَ سَمِعَتْهُ أَنْ [٩٩ب/٢]

(١) في الأصل: ابن حرب، والتصويب من مصادر تخريجه.

والحارث هو: الإمام أبو زهير الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد الهمداني الكوفي، صاحب علي وابن مسعود، كان فقيها كثير العلم على لين في حديثه، حدث عنه: الشعبي، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن مرة، وأبو إسحاق السبيعي وغيرهم، وقال أبو زرعة: لا يحتج بحديثه. وقال أبو حاتم: ليس بقوي ولا ممن يحتج بحديثه، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال في موضع آخر: ليس به بأس، توفي سنة خمس وستين بالكوفة.

انظر في ترجمته: مولد العلمماء وفياتهم ص١٨١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٢، وتهذيب التهذيب ٢/ ١٢٦.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٢٦، والدارقطني في العلل الواردة في الأحاديث النبوية ٣/ ١٤١، والثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ١٦٢، والهندي في كنز العمال ١/ ١٠١، والسيوطي في الدر المنثور ٨/ ٤٧٨.

(٣) في الأصل: ترتفع، والصواب المثبت. والقصد: لا يقدر أهل الأهواء على تبديله وإمالته.

قالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن:١]، مَنْ قالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعا إِلَيهِ أَوِ اعْتَصَمَ بِهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ».

ورُوِيَ عنِ ابْنِ عبّاسٍ قالَ: جاءَ أَعْرابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي مِنْ غَرائِبِ العِلْمِ، قالَ[1]: «ما صَنَعْتَ فِي رَأْسِ العِلْمِ حَتَّى تَسْأَلَ عَنْ غَرائِبِهِ؟ قالَ لَهُ الرَّجُلُ: ما رَأْسُ العِلْمِ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: رَأْسُ العِلْمِ مَعْرِفَةُ اللهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، فَقالَ الأَعْرابِيُّ: وَما مَعْرِفَةُ اللهِ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ؟ قالَ: أَنْ تَعْرِفَهُ بِلا مِثْلٍ وَلا شَبَهٍ، وَلا نِدٍّ، وَأَنَّهُ واحِدٌ أَحَدٌ، ظاهِرٌ باطِنٌ، أَوَّلٌ آخِرٌ، لا كُفْؤَ لَهُ وَلا نَظِيرَ، فَذَلِكَ حَقُّ مَعْرِفَتِهِ».

ورُوِيَ عنِ ابْنِ عبّاسٍ قالَ[2]: «لا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ، وَلَكِنْ تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِهِ، فَإِنَّهُ لا يُعْرَفُ بِالأَشْباهِ وَلَكِنْ بِتَصْدِيقِهِ، فَإِنَّ اليَهُودَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ صِفَةِ اللهِ وَنَعْتِهِ، فَلَمْ يُحِرْ[3] إِلَيهِ شَيْئًا، انْتِظارًا أَنْ يُرْسِلَ اللهُ الكَرِيمُ عَلَيهِمْ عَذابًا، فَأَوْحَى اللهُ تَعالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]».

ورُوِيَ عنْهُ أيضًا قالَ[4]: «مَنْ وَصَفَ اللهَ بِحَدٍّ فَقَدْ كَفَرَ بِاللهِ؛ لأَنَّهُ تَعالَى يَقُولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]»[5].

(١) أخرجه الربيع في مسنده ص٣١١، ووكيع في الزهد ص٢٣٧، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٤، قال العراقي: «وهو ضعيف جدا» إحياء علوم الدين ١/ ٦٥.

(٢) أخرجه الربيع في مسنده ص٣١٢. وورد في: الإيضاح في أصول الدين ص١٨٣.

(٣) أي: لم يُقَدِّم ردًّا أو جوابًا، ويقرر ذلك ما ورد في النهاية لابن الأثير ١/ ٤٥٨: «وَمِنْهُ حَدِيثُ سَطيح (فَلَمْ يُحِرْ جَوابًا) أَيْ: لَمْ يَرْجِع وَلَمْ يَرُدّ». وانظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ١/ ٦٠٣، والتاج «ح و ر».

(٤) نُسب هذا القول لنعيم بن حماد الخزاعي أيضًا في: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٩، والعلو للعلي الغفار ص١٧٢، وأقاويل الثقات ص٢٣٨.

(٥) في درء التعارض ٢/ ٣٢: «لا يصفه الواصفون ولا يحده أحد-، تعالى الله عما تقول =

ورُوِيَ عنْهُ أيضًا فِي قولِهِ تعالَى [١]: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨] قالَ: «لَكُمُ العَذابُ مِمّا تَصِفُونَ / رَبَّكُمْ، وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدادًا وَأَشْباهًا».

ورَوَى عُبَيدُ اللهِ بنُ مُوسَى، عنْ أبِي هلالٍ الرّاسِبِيّ [٢] قالَ [٣]: «شَهِدْتُ الحسَنَ وَسَأَلَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ رواحةَ المَدَنِيّ [٤] قالَ: يا أَبا سَعِيدٍ، أَعَرفْتَ رَبَّكَ؟ قالَ: نَعَمْ، بِغَيرِ مِثالٍ وَلا صُورةٍ».

وَرُوِيَ عنْ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ [٥]: «يُوشِكُ الشِّرْكُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ رَبْعٍ إِلَى رَبْعٍ، وَمِنْ قَبِيلةٍ إِلَى قَبِيلةٍ» قِيلَ: يا رسُولَ اللهِ، وَما ذاكَ؟ قالَ: «قَومٌ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدُ، يَحُدُّونَ اللهَ حَدًّا بِالصِّفةِ»، فلا هُمْ بهذِهِ الأحاديثِ يَأْخُذُونَ، ولا عنْ هذِهِ الأحاديثِ المُنْكَرةِ عنْ رسولِ اللهِ يُحْجِمُونَ [٦].

= الجهميه والمشبهة».

وفي الروح لابن القيم ص٢٦٣: «فمن شبه الله بخلقه فقد كفر... ومن نفى عنه مشابهة المخلوقات فقد هدى إلى صراط مستقيم».

(١) انظر: تنوير المقباس ص٢٧٠.

(٢) في الأصل: الراسني، وهو تصحيف، والتصويب من مصدر تخريجه.

وفي الأنساب ٣/ ٢٥: «الراسبي -بكسر السين والباء الموحدة - منسوب إلى بني راسب؛ وهي قبيلة نزلت البصرة... وأبو هلال محمد بن سليم الراسبي السامي من أهل البصرة مولى سامة بن لؤي، ولم يكن من بني راسب إنما كان نازلا فيهم فنُسب إليهم... ويروي أبو هلال عن قتادة وطبقته». وانظر في ترجمته أيضًا: الطبقات لخليفة بن خياط ص٢٢٢، والمجروحين لابن حبان ٢/ ٢٨٣، والأنساب المتفقة في الخط المتماثله في النقط والضبط ص٥٩، ومعجم الشيوخ للسبكي ص٣٣٠.

(٣) أخرجه الربيع في مسنده ص٣٢١.

(٤) في الأصل: الفُدْراني، والتصويب من مصدر تخريجه.

(٥) أخرجه الربيع في مسنده ص٣١٢.

(٦) أي: يمتنعون عن الإقدام عليها.

وما زالَتِ الأئِمّةُ مِن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ يَنْهَونَ عنْ كثيرٍ منَ الحدِيثِ الَّذِي رُوِيَ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ، ويسأَلُونَ مَنْ رَوَى ذلِكَ عنِ البَيِّنةِ علَى ما رَوَى؛ مخافةَ الغَلَطِ والنِّسْيانِ منَ الثِّقاتِ، وحذَرَ الكذِبِ والافتِعالِ منَ المنافقِينَ المُتَسَتِّرِينَ بالإِسْلامِ، فلا يقبلُونَ إلّا حديثًا مشهورًا يوافِقُ الكتابَ والسُّنّةَ [1]؛ لأنَّ تَثْبِيتَهُمُ الحديثَ عنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ دِينٌ يشهدُونَ بهِ علَى اللهِ وعلَى رسولِهِ، وقدْ وقَفَ بعضُ أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ علَى أَنَّهُمْ كانُوا يَنْتَهُونَ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ يقولُ الشَّيءَ علَى الإنكارِ لَهُ فيسمَعُ آخرَ الحدِيثِ ولا يسمَعُ أوَّلَهُ، فَيَرْوِي ما يسمَعُ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ وهُوَ لا يعرِفُ مَعْنَى الحَدِيث؛ وذلِكَ لِتَعَلُّقِ قلوبِهِمْ بما يَسْمَعُونَ رَجاءَ أَنْ يَنْفَعَهُمُ اللهُ تعالَى بهِ.

فَمِمّا أُنْكِرَ علَى مَنْ رواهُ منْ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ:

ما رُوِي عنْ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها أَنَّهُ بلغَها عنْ أبِي ذَرٍّ أَنَّهُ يَرْوِي عنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قالَ [2]: «الطِّيرةُ فِي المرأةِ، والفَرَسِ، والدّارِ»، فَأَرْسَلَتْ إليهِ، ما شيءٌ ترويهِ عنْ خَلِيلِي فِي الطِّيرةِ فِي / المرأةِ والفَرَسِ والدّارِ؟ فقالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنايَ وَوَعاهُ قَلْبِي، قالَتْ [3]: ما صَدَقْتَ وَلا كَذَبْتَ، قالَ: كيفَ يا أُمَّهْ؟ قالَتْ: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ لا يَبْدَأُ بحديثٍ يُحَدِّثُ بهِ جلساءَهُ فيدخُلُ رجُلٌ وهُوَ فِي بعْضِهِ إلّا رَدَّهُ كراهةَ أنْ يَذْهَبَ بهِ مَنْقُوصًا، فَحَدَّثَ عنْ سَفاهةِ الجاهلِيّةِ فِي الطِّيرةِ، فدخَلْتَ وأنا

(١) انظر: النكت على ابن الصلاح ص٩٢، والمختصر في علم الأثر للكافيجي ص١٥٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٤٦، وابن عبد البر في التمهيد ٩/ ٢٨٨، والزركشي في الإجابة لما استدركت عائشة ص١١٥، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٢/ ٢٥٥، والعراقي في طرح التثريب ٨/ ١١٤.

(٣) في الأصل: قال، والصواب المثبت.

أنظُرُ إليكَ منْ وراءِ الحجابِ، وقعَدْتَ فِي طَرَفِ القَوْمِ، ولمْ يَفْطِنْ بكَ فَيَرُدَّ حديثَهُ، فانْتَهَى حديثُهُ عنهُمْ إلَى قولِهِ ﷺ: «إنَّ الطِّيرةَ فِي المرأةِ والفرَسِ والدّارِ» وإنَّما حكاهُ عنهُمْ، فلوْ كنْتَ ذا لُبٍّ عَرَفْتَ أنَّها ليسَتْ منْهُ، وقالَ عَلَيْهِ السَّلامُ [١]: «لا طِيَرةَ، ولا هامَ، ولا صَفرَ[٢]»، قالَ: صَدَقْتِ يا أُمَّهْ، [أنتِ] أَعْلَمُ منِّي، ولا أعودُ أنْ أروِيَ هذا.

وكذلِكَ ما رُوِيَ عنْ أبِي حسّانَ الأعرَجِ[٣] قالَ: دخلَ رجُلانِ علَى عائشةَ رَضِيَ الله عَنْها فحدَّثاها عنْ أبِي هريرةَ رَضِيَ الله عَنْهُ أنَّهُ حدَّثَ عنِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ أنَّهُ قالَ[٤]: «الشُّؤْمُ فِي المَرْأةِ، والدّارِ، والفَرَسِ»، قالتْ عائشةُ رَضِيَ الله عَنْها: مَنْ حَدَّثَ بِهَذا عَنْ أَبِي القاسِمِ فَقَدْ كَذَبَ[٥] عَلَيهِ، إنَّما قالَ رسولُ اللهِ ﷺ [٦]: «يَقُولُونَ:

(١) أخرجه البخاري بهذا اللفظ في صحيحه ٥/ ٢١٥٨، باب الْجُذامِ - حديث رقم (٥٣٨٠).

(٢) قال النووي: «(ولاصفر) فيه تأويلان: أحدهما: المراد تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر؛ وهو النسيء الذي كانوا يفعلونه، وبهذا قال مالك وأبو عبيدة. والثاني: أن الصفر دواب في البطن وهي دُودٌ، وكانوا يعتقدون أن في البطن دابة تهيج عند الجوع، وربما قتلت صاحبها، وكانت العرب تراها أعدى من الجرب، وهذا التفسير هو الصحيح، وبه قال مطرف، وابن وهب، وابن حبيب، وأبو عبيد، وخلائق من العلماء» شرح صحيح مسلم ١٤/ ٢١٤.

(٣) هو: أبو حسان الأعرج الأجرد، البصري، مشهورٌ بكنيته، واسمه: مسلم بن عبد الله، صدوقٌ، وسمي الأحرد؛ لأنه كان يمشي على عقبيه، روى عن: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، وعائشة، روى عنه: قتادة، وعاصم الأحول، قتل سنة ثلاثين ومائة.

انظر في ترجمته: التاريخ الكبير ٧/ ٢٥٨، والثقات ٥/ ٣٩٣، والجرح والتعديل ٨/ ٢٠١.

(٤) هكذا في رواية البخاري في صحيحه ٥/ ١٩٥٩-حديث رقم (٤٨٠٥).

(٥) أي: غلط.

(٦) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ٤/ ٣٤٣.

الشُّؤْمُ فِي المَرْأةِ، والفَرَسِ، والدّارِ»، وقالَ الله تَعالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

ورَوَى رافِعُ بنُ خَدِيجٍ(١)، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ نهَى عنْ كِراءِ المَزارِعِ(٢)، فأنكَرَ عليهِ ذلِكَ زيدٌ، قالَ: يَغْفِرُ الله لرافِعٍ، أنا واللهِ أعلَمُ بالحدِيثِ منْهُ، إنَّما أتَى رجُلانِ قدِ اقتَتَلا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ(٣):«إنْ كانَ هَذا شَأْنُكُمْ فَلا تُكْرُوا المَزارِعَ»(٤).

ورَوَى عِكْرِمةُ بنُ خالِدٍ(٥)،.....

(١) هو: رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد بن جشم الأنصاري النجاري الخزرجي، يكنى: أبا عبد الله، شهد أحدا والخندق، واستصغر يوم بدر، ويقال: أصابه سهم يوم أحد فنزع وبقي السهم إلى أن مات سنة أربع وسبعين.
انظر في ترجمته: المعارف ص٣٠٦، والاستيعاب ٢/ ٤٧٩، ومعجم الصحابة للبغوي ٢/ ٣٤٨، والإصابة ٢/ ٤٣٦، والوافي بالوفيات ١٤/ ٤٦.

(٢) قال العيني: «النهي الذي قد سمعه رافع لم يكن من النبي ﷺ على وجه التحريم، وإنما كان لكراهيته وقوع الشَّر بينهم» عمدة القاري ١٢/ ١٧٠. وانظر: شرح مشكل الآثار ٧/ ١١٥، وإكمال المعلم للقاضي عياض ٥/ ٢٠٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/ ٨٢٢، والنسائي في سننه الكبرى ٣/ ١٠٦، وأحمد في مسنده ٥/ ١٨٢، والطبراني في المعجم الكبير ٥/ ١٢٥.

(٤) الكراء: أجرة ما يعطى مقابل شيء. قال ابن رسلان: «المزارع: جمع مزرعة؛ وهي الموضع الذي يزرع فيه، أي: لا تكروا الأراضي لمن يتخذها مزارع بزرع يؤخذ منه أو بغيره إذا أدى ذلك إلى المنازعة والمقاتلة» شرح سنن أبي داود ١٤/ ١٩٠-١٩١.

(٥) هو: عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، روى عن: أبيه، وابن عمر، وأبي الطفيل، ومالك بن أوس، وعنه: قتادة وأيوب والأوزاعي، قال ابن معين وأبو زرعة والنسائي: ثقة، مات سنة خمس عشرة ومائة. =

عنْ أبي بكرِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ[١] قالَ: بَلَغَ مروانَ أنَّ أبا هُرَيرةَ يُحَدِّثُ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ أنَّهُ قالَ[٢]: «مَنْ أَصْبَحَ جُنُبًا فِي شَهْرِ رَمَضانَ فَلا يَصُمْ يَومَئِذٍ»، فأرسَلَ إلَى عائشةَ / يسألُها عنْ ذلِكَ فانطَلَقْتُ معَ الرَّسولِ، فسألَها فقالَتْ: [١٠١/أ] كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُصْبِحُ فِينا جُنُبًا مِنْ غيرِ احتلامٍ ثُمَّ يُصْبِحُ صائمًا، فرَجَعَ إلَى مَروانَ فحَدَّثَهُ، فقالَ: الْقَ أبا هُرَيرةَ فحَدِّثْهُ، فقالَ: إنَّهُ لَجارِي وإنِّي لأَكْرَهُ أنْ أستقبلَهُ بما يَكْرهُهُ، فقالَ: أَعْزِمُ علَيكَ لَتَأْتِيَنَّهُ، فقالَ: يا أبا هُرَيرةَ، واللهِ إنِّي كُنْتُ لأَكْرَهُ أنْ أستقبِلَكَ بما تكْرَهُ، ولكنَّ الأميرَ عَزَمَ عليَّ، قالَ: فحدِّثْهُ، فقالَ أبُو هُرَيرةَ: حَدَّثَنِيهُ الفَضْلُ[٣].

ورَوَى محمودُ بنُ لبيدٍ[٤].....

= انظر في ترجمته: الثقات ٥/ ٢٣١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٢٥، والكاشف ٢/ ٣٢، وتهذيب التهذيب ٧/ ٢٣٠.

(١) هو: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، اسمه كنيته، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وهو أخو عمر وعثمان وعكرمة ومحمد بني عبد الرحمن بن الحارث، وكان أبو بكر من سادات قريش، وكان فقيها عابدًا يصوم الدهر كله، وكان يعرف براهب قريش، روى عنه أهل المدينة، مات سنة أربع أو خمس وتسعين بعد ما عمي.
انظر في ترجمته: الثقات ٥/ ٥٦٠، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص٥٩، وتاريخ الإسلام ٦/ ٥١٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٢١٦، والعلل ومعرفة الرجال ٢/ ٣٨٥، و الطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ٢٩٣.

(٣) أي: الفضل بن العباس رَضِيَ الله عَنْهُ.

(٤) هو: محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأوسي الأنصاري الأشهلي، أبو نعيم المدني، قيل له صحبة، وقيل: روى عن النبي ﷺأحاديث ولم تصح له رؤية ولا سماع منه، وتوفي بالمدينة سنة ست وتسعين، وكان ثقة. =

قالَ: حدَّثَنِي أهلُ جُرَش[١] أنَّ عبدَ اللهِ بنَ جعفرٍ حدَّثَهُمْ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ لصاحِبِ هذا الوجَعِ يَعْنِي الجذامَ[٢]: «اِتَّقُوهُ كما يُتَّقَى السَّبعُ، إذا هبَطَ وادِيًا فاهبطُواْ غيرَهُ»، فحدَّثْتُهُ بذلِكَ، فقالَ: كذبُوا واللهِ، ما حدَّثْتُهُمْ بهذا، ولقَدْ رأيتُ عمرَ بنَ الخطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وإنَّهُ ليدعُو بالإناءِ فيهِ الماءُ فيُعطِيهِ مُعَيْقِيبًا[٣]، وكانَ رجلاً قدْ أسرَعَ فيهِ هذا الدّاءُ فيشرَبُ منْهُ، ثُمَّ يَتناوَلُهُ عمرُ منْ يدِهِ، فيَضَعُ عُمَرُ فَمَهُ[٤] موضِعَ فَمِهِ، فعَرفْتُ أنَّهُ إنَّما صَنَعَ ذلِكَ فِرارًا منْ أنْ يَدْخُلَ نفسَهُ شيءٌ منَ العَدْوَى، وكانَ يطلُبُ لَهُ الطِّبَّ منْ كلِّ مَنْ سمِعَ لَهُ بطِبٍّ[٥].

= انظر في ترجمته: التاريخ الكبير ٧/ ٤٠٢، والثقات ٣/ ٣٩٧، والجرح والتعديل ٨/ ٢٨٩، والإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة ٢/ ١٧٣، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٥٩.

(١) هي: بلد باليمن، ففي معجم البلدان ٢/ ١٢٦: «جرش -بالضم ثم الفتح، وشين معجمة- من مخاليف اليمن من جهة مكة». وانظر: الأنساب ٢/ ٤٤، ومعجم ما استعجم ٤/ ١١٣٠.

(٢) أخرجه ابن سعد في طبقاته ٤/ ١١٧، وابن جرير في تهذيب الآثار ٣/ ٢٨، وابن عبد البر في التمهيد ١/ ٥٣، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٠/ ٤٠.

(٣) هو: معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي، أسلم بمكة قديمًا وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وقدم على رسول الله ﷺ وهو بخيبر فشهدها، وكان خازنًا لعمر بن الخطاب على بيت المال، ثم كان على خاتم عثمان بن عفان، ومات في خلافته، وقيل: عاش إلى بعد الأربعين. انظر في ترجمته: الاستيعاب ٤/ ١٤٧٨، والإصابة ٦/ ١٩٣، والبداية والنهاية ٥/ ٣٥٥، وصفة الصفوة ٥/ ٣٨.

(٤) في الأصل: «فيَتسعُ عمرُ بفَمِهِ»، والصواب المثبت كما في: الطبقات الكبرى ٤/ ١١٧، وتهذيب الآثار ٣/ ٢٨، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٩٢.

(٥) في الطبقات الكبرى ٤/ ١١٧: «وكان يطلب له الطب من كل من سمع له بطب حتى قدم عليه رجلان من أهل اليمن، فقال: هل عندكما من طب لهذا الرجل الصالح؟ فإن هذا =

ومِمّا يُصَحِّحُ ذلِكَ ما رواهُ الدَّسْتُوائِيُّ(١)، عنْ أبِي يَحْيَى بنِ [أَبِي](٢) كثيرٍ، عنْ ابنِ المسيّبِ، عنْ سَعْدٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ، وما رواهُ حمّادُ بنُ سلمةَ وابنُ جُرَيجٍ، عنِ الزُّبيرِ، عَنْ أبِي زُرْعةَ، عَنْ أبِي هُريرةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، وما رواهُ ابنُ شُبْرُمةَ(٣)، عنْ جابرٍ، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ(٤): «لا عَدْوَى، ولا هامةَ، ولا صَفَرَ».

= الوجع قد أسرع فيه، فقالا: أما شيء يذهبه فإنا لا نقدر عليه، ولكنا سنداويه دواء يقفه فلا يزيد، قال عمر: عاقبة عظيمة أن يقف فلا يزيد، فقالا له: هل تنبت أرضك الحنظل، قال: نعم، قالا: فاجمع لنا منه فأمر من جمع لهما منه مكتلين عظيمين، فعمدا إلى كل حنظلة فشقاها بثنتين ثم أضجعا معيقيبا، ثم أخذ كل رجل منهما بإحدى قدميه، ثم جعلا يدلكان قدميه بالحنظلة حتى إذا امحقت أخذا أخرى حتى رأينا معيقيبا يتنخم أخضر مراء، ثم أرسلاه فقالا لعمر: لا يزيد وجعه بعد هذا أبدا، قال: فوالله ما زال معيقيب متماسكًا لا يزيد وجعه حتى مات».

(١) في الأصل: الدستواني، والمثبت أشهر، وهو: هشام بن أبي عبد الله الدستوائي الربعي، من بكر بن وائل من أهل البصرة، كنيته أبو بكر، سمع قتادة، ويحيى بن أبي كثير، وأبا الزبير وطائفة، وروى عنه شعبة ويحيى القطان، مات سنة ثلاث أو أربع وخمسين ومائة.
ودستواء: موضع بالأهواز كان يبيع الثياب التي تجلب منها فنسب إليها
انظر في ترجمته: التاريخ الكبير ٨/ ١٩٨، والثقات ٧/ ٥٦٩، وطبقات الحفاظ ص٩٠.

(٢) تتمة يقتضيها المقام. وهو: يحيى بن أبي كثير أبو نصر اليمامي، كناه عبيد بن يعيش، رأى أنس بن مالك، وأبا سلمة، وعبد الله بن أبي قتادة، روى عنه أيوب وهشام الدستوائي، مات سنة ثنتين وثلاثين ومائة، وقيل: سنة تسع وعشرين ومائة.
انظر في ترجمته: التاريخ الكبير ٨/ ٣٠١، والكاشف ٢/ ٣٧٣، وتهذيب التهذيب ١١/ ٢٣٥.

(٣) هو: عبد الله بن شبرمة أبو شبرمة الكوفي قاضيها، يروي عن: أنس وأبي الطفيل والشعبي وطائفة، وعنه: شعبة والسفيانان وابن المبارك وخلق، مات سنة أربع وأربعين.
انظر في ترجمته: لسان الميزان ٧/ ٤٩٦، وتقريب التهذيب ص٣٠٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢١٧١-حديث رقم (٥٤٢٥)، ومسلم في صحيحه =

ورُوِيَ عَنْ يَحْيَى بنِ عبدِ الرَّحمنِ[١]، عنِ ابنِ عمرَ أَنَّهُ قالَ[٢]: وقفَ رسولُ اللهِ ﷺ علَى أَهْلِ القليبِ[٣]، فقالَ: «يا أهلَ القليبِ، هلْ وجدْتُمْ ما وَعَدَ ربُّكُمْ حقًّا؟، فإنِّي وجدْتُ ما وعدَنِي ربِّي حقًّا، قالُوا: يا رسولَ اللهِ، هلْ يسمعُونَ؟ قالَ: إنَّهُمْ يسمعُونَ ما تسمعُونَ». فقالَتْ عائشةُ: / غُفِرَ لأَبِي عبدِ الرَّحمنِ إنَّهُ ذَهَلَ[٤]، إنَّما قالَ رسولُ اللهِ ﷺ[٥]: «إنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ» إنَّ اللهَ تعالَى يقولُ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

= ٤/ ١٧٤٣-حديث رقم (٢٢٢٠)، وابن حبان في صحيحه ١٣/ ٤٨٧، ٤٨٩.

(١) هو: يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، أبو محمد، ويقال: أبو بكر المدني، روى عن أبيه، وأسامة بن زيد، وحسان بن ثابت، وابن عمر، وابن الزبير، وأبي سعيد، وعائشة وآخرين، قال ابن سعد: كان ممن أدرك عليا وعثمان وزيد بن ثابت وكان ثقة كثير الحديث. قال العجلي: مدني تابعي ثقة، وقال النسائي والدارقطني: ثقة، مات سنة أربع ومائة.

انظر في ترجمته: الثقات ٥/ ٥٢٣، والجرح والتعديل ٩/ ١٦٥، وتهذيب التهذيب ١١/ ٢١٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ١٣١، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ١٦٠، والزركشي في الإجابة لما استدركت عائشة ص١٠٩. وقال ابن كثير: «والصحيح عند العلماء رواية عبد الله بن عمر؛ لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة» تفسير ٣/ ٤٣٩. وانظر: فتح الباري ٣/ ٢٣٤، وعمدة القاري ١٧/ ٩٣.

(٣) أي: قليب بدر؛ ومنهم: أبو جهل، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، والوليد بن المغيرة. انظر: العجاب في بيان الأسباب ١/ ٢٢٩.

(٤) أي: نَسِيَ. ففي شمس العلوم ٤/ ٢٣٠٦: «ذَهَلَ عن الشيء: إذا نسيه وشُغِلَ عنه ذهولاً».

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٤٦٢-حديث رقم (٣٧٥٩)، ومسلم في صحيحه ٢/ ٦٤٣-حديث رقم (٩٣٢).

وتأويلُ قولِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ: «إِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ»: أَنَّهُمْ لمْ يَخْرُجُوا منَ الدُّنْيا حتَّى عَلِمُوا ما يصِيرُونَ إليهِ، وذلِكَ قولُ اللهِ تعالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، وهَذا كثيرٌ.

ومِمّا حَدَّثَ بِهِ بعضُ أَصْحابِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ وَطُلِبَ منْهُ تصحِيح ذَلِكَ:

ما رُوِيَ عنْ أبي سعيدٍ الخُدريِّ قالَ[1]: سَلَّمَ أبُو موسَى علَى عمرَ فِي خلافَتِهِ فقالَ: السَّلامُ عليكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فلَمْ يُجِبْهُ أحَدٌ، فقالَ عمرُ: واحِدةٌ، ثُمَّ قالَ: السَّلامُ عليكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فلمْ يُجِبْهُ أحَدٌ، فقالَ عمرُ: اثنَتانِ، ثُمَّ قالَ: السَّلامُ عليكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فلمْ يُجِبْهُ أحدٌ، فانصرَفَ أبُو موسَى، فأرسَلَ عُمَرُ فِي أَثَرِهِ، فقالَ لهُ عمرُ: ما الَّذِي صَنَعْتَ؟ قالَ أبُو موسَى: السُّنَّةَ، فأنكَرَ ذلِكَ عُمَرُ، وقالَ: لَتَأتِيَنِّي علَى هذا بِبُرْهانٍ، أوْ لأفعَلَنَّ بكَ، قالَ: فانْطَلَقَ أبُو موسَى فَزِعًا حتَّى أتَى مجلِسَ الأنصارِ، فانْتَهَى إلَى خَلْقٍ أنا فيهِمْ، فقامَ عليهِمْ وقالَ: يا معشَرَ الأَنْصارِ: أَلَسْتُمْ أَعْلَمَ النّاسِ بحدِيثِ رسولِ اللهِ ﷺ؟، إنِّي أتيتُ عمرَ فسلَّمْتُ عليهِ فلَمْ يَأْذَنْ لِي، فَرَجَعْتُ، فسأَلَنِي، فقلْتُ: السُّنَّةُ، فقالَ: لَتَأتِيَنِّي علَى هذا بِبُرْهانٍ أوْ لأَفْعَلَنَّ بكَ، فأقْبَلَ القَوْمُ يُمازِحُونَهُ، وَنَظَرْتُ، وإذا هوَ مُنْتَقِعٌ وجْهُهُ[2]، فقلتُ: ما أصابَكَ منْ عمرَ فأنا شرِيكُكَ؟، فرجَعَ إلَى عمرَ فقالَ: ألَمْ أَقُلْ لكَ؟ قالَ مَنْ قالَهُ؟ قالَ: أبُو سعيدٍ، قالَ: ما كنْتُ سَمِعْتُ هذا، فقامَ أبُو سعيدٍ فشهدَ، فقالَ عُمَرُ: إنّا لمْ نَتهمكَ، ولكنَّ الحديثَ شَدِيدٌ.

ولذلِكَ نَهَى أبُو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ، والأئمّةُ منْ أصحابِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ عَنِ[3] الأحادِيثِ الشّاذّةِ الَّتِي لا تُعْرَفُ، وعنْ تأويلِ أحادِيثِ رسولِ اللهِ ﷺ

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٥٣، وابن عبد البر في الاستذكار ٨/ ٤٧٥. وأخرجه مسلم مختصرا في صحيحه ٣/ ١٦٩٥- حديث رقم (٢١٥٣).

(٢) أي: تَغَيَّرَ منْ هَمٍّ أو فَزَعٍ. انظر: اللسان والتاج «ن ق ع».

(٣) في الأصل: من، والصواب المثبت.

[١٠٣] علَى أقبَحِ وجوهِها، وأمرُوا بِما اجتَمَعَ علَيهِ منَ الأحادِيثِ ووافَقَ الكتابَ والسُّنّةَ/، وبِأنْ تُتأوَّلَ أحاديثُ رسُولِ اللهِ ﷺ علَى أحسَنِ وجوهِها؛ فمِنْ ذلِكَ: ما رُوِيَ عنْ نافع بن[١] عُمَرَ الجُمَحِيِّ[٢]، قالَ: سمعْتُ ابنَ أبِي مُلَيْكةَ[٣] يقولُ: جمَعَ أبُو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النّاسَ بَعْدَ مَوْتِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ فقالَ[٤]: «أيُّها النّاسُ، إنَّكُمْ تُحَدِّثُونَ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ أحادِيثَ تختلِفُونَ فيها، وَمَنْ بَعْدَكُمْ أشَدُّ اختلافًا، فإذا سُئِلْتُمْ عنْها فلا تُحَدِّثُوا بِها[٥]، وقُولُوا: فيكُمْ كتابُ اللهِ، فاستحِلُّوا حلالَهُ، وحرِّمُوا حَرامَهُ.

(١) في الأصل: عن، والصواب المثبت. وهو: نافع بن عمر بن عبد الله بن جميل القرشي الجحمي المكي الحافظ، روى عن ابن أبي مليكة، وعمرو بن دينار، وسعيد بن أبي هند، وعنه: القطان، وسعيد بن أبي مريم، وداود الضبي، قال أبو حاتم: هو ثقة يحتج بحديثه، مات سنة تسع وستين.

انظر في ترجمته: التعديل والجرح ٢/ ٧٦٩، وذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ص٣٧٤، والكاشف ٢/ ٣١٥.

(٢) في الأصل: الحمجي، وهو تصحيف. وفي الأنساب ٢/ ٨٥: «الجمحي -بضم الجيم وفتح الميم وفي آخرها الحاء المهملة- هذه النسبة إلى بني جمح». وانظر في ترجمته: تهذيب الكمال ٢١/ ٢٩٨، ومغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار ٢/ ٣٧٢.

(٣) هو: عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان، الإمام الحجة الحافظ أبو بكر وأبو محمد القرشي التيمي المكي القاضي الأحول المؤذن، ولد في خلافة علي أو قبلها، وحدث عن: عائشة أم المؤمنين، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو السهمي، وابن عمر، وابن الزبير، وعن عثمان بن عفان وهو مرسل، وثقه أبو زرعة وأبو حاتم، مات سنة سبع عشرة ومائة.

انظر في ترجمته: التاريخ الكبير ٥/ ١٣٧، والثقات ٥/ ٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٨٩.

(٤) أخرجه الذهبي في تذكرة الحفاظ ١/ ٣، وأردفه بقوله: «فهذا المرسل يدلك أن مراد الصديق التَّثبت في الأخبار والتحري لا سدّ باب الرواية».

(٥) في الأصل: عنها، والصواب المثبت.

ورَوَى مَعْمَرٌ، عنِ الزُّهْرِيِّ قالَ: قالَ أَبُو هُرَيرةَ: لمّا ولِّيَ عمرُ بنُ الخطّابِ قالَ[١]: «أَقِلُّوا الرِّوايةَ عنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلّا فيما يُعْمَلُ بهِ. قالَ أَبُو هُرَيرةَ: أما لوْ كنْتُ أُحَدِّثُكُمْ بهذِهِ الأحادِيثِ وعمرُ حَيٌّ لأَلْقَيْتُ[٢] الحديثَ خلْفَ ظَهْرِي».

ورُوِيَ عنِ السّائبِ قالَ[٣]: «بعَثَ عثمانُ بنُ عفّانَ إلَى أَبِي هُرَيرةَ، ما هذا الحدِيثُ؟ قَدْ مَلأْتَ الأرضَ حَدِيثًا، فواللهِ لَتَكُفَّنَّ أوْ لَأَلْحِقَنَّكَ بجبالِ دوسٍ، قالَ: وبعَثَ إلَى كعبٍ، ما هذا الحديثُ؟ لتكُفَّنَّ أوْ لألحقنَّكَ بجبالِ القِرَدةِ».

ورُوِيَ عنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ[٤]: «إذا حَدَّثْتُمْ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ بحديثٍ فَظُنُّوا بهِ الَّذِي هوَ أَهْدَى، والَّذِي هوَ أَهْنَى، والَّذِي هوَ أَبْقَى».

ورُوِيَ عنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قالَ[٥]: «إذا حُدِّثْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَظُنُّوا بهِ الَّذِي هوَ أَبْقَى وَأَهْدَى».

فإذا كانَتِ الأئمّةُ منْ أصحابِ رسُولِ اللهِ ﷺ لا تقبَلُ منْ أصحابِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ الأحادِيثَ عنْهُ إلّا بالثَّبتِ وإقامةِ البرهانِ؛ لما لا يأْمَنُونَ مِنْ دُخُولِ السَّهْوِ والغَلَطِ

(١) أخرجه معمر بن راشد في الجامع ١١/ ٢٦٢، وعبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٢٦٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٧/ ٣٤٤.

(٢) أي: تركته ولم آخذ به. وفي مظان تخريجه السابقة: لألفيت. وفي البداية والنهاية ٨/ ١٠٧: «لأيقنت».

(٣) أخرجه الرامهرمزي في: المحدث الفاضل ص٥٥٤.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ١٣٠، والدارمي في سننه ١/ ١٥٤، والبيهقي في معرفة السنن والآثار ٦/ ٥٢٣، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٢٤٧.

(٥) أخرجه الدارمي في سننه ١/ ١٥٤، وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٧٠.

والنِّسيانِ والتَّكذيبِ منَ المنافقِينَ، فَما [١] أتَى عنْ غَيْرِهِمْ منْ حديثٍ شاذٍّ يَرُدُّهُ الكتابُ ويَدفَعُهُ السُّنّةُ أوْلَى بالرَّدِّ وأحقُّ بالتَّكْذِيبِ.

وَلَوْ أنَّ هَؤلاءِ الجُهّالَ كانُوا إذا تلَوا الآيةَ لا يَعْرِفُونَ تَأويلَها وأُسْمِعُوا الحديثَ فلَمْ يَعْرِفُوا وَجْهَهُ، أتَوا العلماءَ / فسألُوهُمْ عنْ ذلِكَ؛ لأصابُوا رُشْدَهُمْ، ووُفِّقُوا للصَّوابِ فِي طَلِبتِهِمْ[٢]، فإنَّ العِلْمَ ليسَ يُوجَدُ منْ قِبَلِ نَقَلةِ الحديثِ؛ لأنَّ أكثرَهُمْ لا يَفْهَمُونَ ما يروُونَ[٣]، وإنَّما يُعْلَمُ الحقُّ منْ قِبَلِ العلماءِ الَّذِينَ قدْ نظرُوا فِي الفِقْهِ وبحثُوا عنِ التَّأويلِ، ولذلِكَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ فيما رواهُ الأَعْمَشُ، عنْ مُصْعَبٍ عَنْ أَبِيهِ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[٤]: «[فَضْلُ] العِلْمِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعالَى مِنْ فَضْلِ العِبادةِ، وَخَيرُ دِينِكُمُ الوَرَعُ».

(١) في الأصل: كاما، والصواب المثبت.

(٢) في الأصل: صلبتهم، والصواب المثبت، أي: مطلوبهم. ففي مختار الصحاح «ط ل ب»: «وَ(الطَّلِبةُ) -بِكَسْرِ اللاّمِ-: الشَّيْءُ المَطْلُوبُ».

(٣) يقصد: أن بعضهم كان همَّه الرواية فلا يتصرف فيها، ولا يتجاوزها لغيرها، وقد أشار ابن قتيبة إلى هذا الصِّنف بقوله: «... وهم مع هذا أجهل الناس بما يحملون وأبخس الناس حظا فيما يطلبون... قد قنعوا من العلم برسمه، ومن الحديث باسمه، ورضوا بأن يقولوا: فلان عارف بالطرق وراوية للحديث، وزهدوا في أن يقال: عالم بما كتب، أو عامل بما علم، قالوا: وما ظنكم برجل منهم يحمل عنه العلم وتضرب إليه أعناق المطي خمسين سنة أو نحوها، سئل في ملأ من الناس عن فأرة وقعت في بئر، فقال: البئر: جبار... وكلَّما كان المحدث أموق كان عندهم أنفق، وإذا كان كثير اللحن والتصحيف كانوا به أوثق، وإذا ساء خلقه وكثر غضبه واشتد حدة وعسرة في الحديث تهافتوا عليه..» تأويل مختلف الحديث ص١٠-١١. وانظر: ضحى الإسلام لأحمد أمين ١/ ٥١٧.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٧٠، والشاسي في مسنده ١/ ١٣٧، والبيهقي في الزهد الكبير ص٣٠٩، والمقدسي في الأحاديث المختارة ٣/ ٢٦٤.

ورُوِيَ عنْ أبي الدَّرداءِ قالَ: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ[١]: «إنَّ فَضْلَ العالِمِ عَلَى العابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيلةَ البَدْرِ عَلَى سائِرِ الكَواكِبِ».

ورُوِيَ عنْ عبدِ اللهِ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ[٢]: «نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقالَتِي فَحَفِظَها، فَإِنَّهُ رُبَّ حامِلِ فِقْهٍ غَيرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ».

وعنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ[٣]: «رَحِمَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقالَتِي فَبَلَّغَها غَيرَهُ، فَإِنَّه رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى[٤] مِنْ سامِعٍ».

ورُوِيَ عَنْ [إبْراهِيم بن][٥] عبدِ الرَّحمَنِ العذريِّ[٦]

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود في سننه ٣/ ٣١٧، وتمامه فيه: «عن داوُدَ بن جَمِيلٍ عن كَثِيرِ بن قَيْسٍ قال: كنت جالِسًا مع أبي الدَّرْداءِ في مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجاءَهُ رَجُلٌ فقال: يا أَبا الدَّرْداءِ إني جِئْتُكَ من مدينة الرَّسُول ﷺ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عن رسول الله ﷺ ما جِئْتُ لِحاجةٍ، قال: فَإِنِّي سمعت رَسُولَ الله ﷺ يقول: من سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فيه عِلْمًا سَلَكَ الله بِهِ طَرِيقًا من طُرُقِ الجَنّةِ، وَإِنَّ المَلائِكةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَها رِضًا لِطالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ له من في السماوات وَمَنْ في الأرض والحِيتانُ في جَوْفِ الماءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعالِمِ على العابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلةَ البَدْرِ على سائِرِ الكَواكِبِ وَإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِياءِ، وَإِنَّ الأَنْبِياءَ لم يُوَرِّثُوا دِينارًا ولا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وافِرٍ». وأخرجه أيضًا: الترمذي في سننه ٥/ ٤٨، وابن ماجه في سننه ١/ ٨١، وأحمد في مسنده ٥/ ١٩٦.

(٢) أخرجه الشافعي في مسنده ص٢٤٠، والبيهقي في معرفة السنن ١/ ٦٦، ورواه الطبراني عن النعمان بن بشير في المعجم الكبير ٢/ ٤١.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٩/ ١٩٨، وابن أبي شيبة في مسنده ١/ ٢٠٠، والشاشي في مسنده ١/ ٣١٤، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٧٤، ودلائل النبوة ٦/ ٥٤٠.

(٤) في الأصل: أوهى، وهو تحريف.

(٥) تتمة يقتضيها المقام، وانظر: الثقات لابن حبان ٤/ ١٠، وأسد الغابة ١/ ٦٧.

(٦) في الأصل: العدوي، وهو تحريف. =

قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ[١]: «يَحْمِلُ هَذا العِلْمَ مِنْ هَذِهِ الْأُمّةِ عُدُولُهُ؛ يَنْفُونَ عَنْهُ: تَحْرِيفَ الغالِينَ، وانْتِحالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الجاهِلِينَ[٢]» [٣]. ولكنَّهُمْ تجَنَّبُوا العُلَماءَ فلمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الحكْمةِ، وَأَعْجَبَتْهُمْ رِوايَتُهُمْ للحدِيثِ فتَسَكَّعُوا[٤] فِي الحَيْرةِ، فَهُمْ كما قالَ الشّاعرُ[٥]:

= **والعذري هو**: إبراهيم بن عبد الرحمن العذري، تابعي، أرسل حديثا فذكره ابن مندة وغيره في الصحابة، يروي المراسيل، روى عنه: معان بن رفاعة. قال الذهبي: «تابعي مُقِلّ ما علمته واهيا».

انظر في ترجمته: الثقات ٤/ ١٠، وميزان الاعتدال ١/ ١٦٦، وأسد الغابة ١/ ٦٧، والإصابة ١/ ٢٢٥.

(١) أخرجه، والطبري في مسند الشاميين ١/ ٣٤٤، والبيهقي في دلائل النبوة ١/ ٤٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٤٠، والمتقي في كنز العمال ١٠/ ٧٦.

(٢) فسَّره القاري بقوله: «(تحريف الغالين) أي: المبتدعة الذين يتجاوزون في كتاب الله وسنة رسوله عن المعنى المراد، فينحرفون عن جهته من غلا يغلو: إذا جاوز الحد؛ كأقوال القدرية والجبرية والمشبِّهة. (وانتحال المبطلين) الإنتحال: إدعاء قول أو شعر ويكون قائله غيَّره بانتسابه إلى نفسه.....(وتأويل الجاهلين)، أي: معنى القرآن والحديث إلى ما ليس بصواب» مرقاة المفاتيح ١/ ٤٦٣.

(٣) قال النووي: «وهذا إخبار منه ﷺ بصيانة العلم وحفظه، وعدالة ناقليه، وأن الله -تعالى- يوفق له في كل عصر خلقًا من العدول؛ يحملونه، وينفون عنه التحريف وما بعده فلا يضيع، وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر... وهذا من أعلام النبوة، ولا يضر مع هذا كون بعض الفساق يعرفُ شيئًا من العلم، فإن الحديث إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه، لا أن غيرهم لا يعرف شيئًا منه» تهذيب الأسماء ١/ ٤٥. وانظر: فيض القدير ٦/ ٣٩٦.

(٤) تسكعوا: تحيروا، والتسكع: التمادي في الباطل.

انظر: النهاية لابن الأثير ٢/ ٣٨٤، وشمس العلوم ٥/ ٣١٤٧، واللسان «س ك ع».

(٥) من الطويل، لمروان بن أبي حفصة في شعره ص٣٧، يَهْجُو قَوْمًا يَروون الشّعرَ بِأَنَّهُم لا =

رُواتُكَ لِلْأَشْعارِ لا عِلْمَ عِنْدَهُمُ ... بِجَيِّدِها إِلّا كَعِلْمِ الأَباعِرِ

لَعَمْرُكَ ما يَدْرِي البَعِيرُ إِذا غَدا ... بِأَوْساقِهِ أَوْ راحَ ما فِي الغَرائِرِ

ويُرْوَى[1]:

..... لا عِلْمَ عِنْدَهُمُ ... بِمُتْقَنِها.....

ويُرْوَى[2]:

..... ... بِمُونِقِها.....

أيْ: بِمُعْجِبِها.

وقدْ جَمَعْتُ فِي هذا الكتابِ الحُرُوفَ الَّتِي جَهِلَ هؤلاءِ القومُ تأويلَها؛ منْ كِتابِ اللهِ تعالَى ومنْ أحادِيثِ نبيِّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ؛ لقلّةِ معرِفَتِهِمْ بكلامِ العرَبِ، وَنَزارةِ[3] فهْمِهِمْ لِمَعانِي[4] القرآنِ، إذْ[5] كانُوا لمْ يتفقَّهُوا فِي الدِّينِ، ولمْ يُعنَوا بمعرِفةِ التَّأويلِ.

= عِلْم لَهُم بِهِ عَلَى كثْرةِ روايَتِهم لَه، وروايته: «زَوامِلُ للأشعارِ»، والعقد الفريد ٢/ ٢٩٤، والدر الفريد وبيت القصيد ٦/ ٣٦٧. ونسب للحطيئة في: الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ١٢٣، والأول أصح. والأباعر جمع: بعير. والوسق: الحمل، والغرائز: جمع غرارة؛ وهي كيس كبير من الصوف أو الشّعر توضع فيه الحبوب.

(١) كما في الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ١٢٣.

(٢) لم أقف عليه، وله روايات أخرى غير هذه؛ فروي: بمثقلها، كما في صيد الخاطر ص١٨٢، و: بمودعها، كما في: الإبانة في اللغة ٢/ ٣٨٢. و: يَفِيدُونَهُ، كما في حسن التنبيه لما ورد في التشبيه ١٠/ ٤٥٧.

(٣) أي: قِلّة، ففي الإبانة في اللغة ٤/ ٤٥٧: «ونزار مشتق من النزارة؛ وهي القلة». وانظر: العين: ٧/ ٣٥٩، والجمهرة ٢/ ٧١١، والزاهر لابن الأنباري ٢/ ١٢٥.

(٤) في الأصل: بمعاني، والصواب المثبت.

(٥) في الأصل: إذا، والصواب المثبت.

وفسَّرْتُ ألفاظَ تلكَ الحُرُوفِ علَى كَمْ ينقَسِمُ[١] منْ كلامِ / العرَبِ، وما فيها مِنْ شَواهِدِ أَشْعارِها، وَسَوائِرِ أمثالِها.

وإنَّما جعلتُ الشِّعْرَ شاهدًا علَى القرآنِ؛ لأنَّهُ دِيوانُ العَرَبِ[٢]، والقُرآنُ عَرَبِيٌّ لا يخرُجُ عنْ هذا الدِّيوانِ[٣].

وقدْ رُوِيَ عنْ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ قالَ: كنتُ أسمَعُ منْ ابنِ عبّاسٍ يُسْأَلُ عنِ القرآنِ فيقولُ[٤]: «أَلَمْ تسمَعْ إلَى قولِ الشّاعرِ».

ورُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ أنَّهُ قالَ[٥]: «إذا أعياكُمْ شَيءٌ منْ غَريبِ القرآنِ فاطلُبُوهُ فِي الشِّعْرِ؛ فإنَّ القرآنَ عرَبِيٌّ[٦]، والشِّعْرَ ديوانُ العرَبِ».

(١) أي: ينقسم كل لفظ منها.

(٢) في الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ١٥٥: «قال أبو جعفر النحاس... معنى الدِّيوان: الأصلُ الذِي يرجعُ إليه ويعملُ بما فيهِ». وانظر: صبح الأعشى ١/ ١٢٣.

(٣) ويقرّر ذلك ما في: فضائل القرآن لأبي عبيد ص٣٤٣: «حَدَّثَنا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ، أَنَّهُ كانَ يُسْأَلُ عَنِ القُرْآنِ، فَيُنْشِدُ فِيهِ الشِّعْرَ. قالَ أَبُو عُبَيْدٍ: يَعْنِي أَنَّهُ كانَ يَسْتَشْهِدُ بِهِ عَلَى التَّفْسِيرِ».
وما في: الجامع لأخلاق الراوي والسامع ٢/ ١٩٧: «في الشعر الحكم النادرة، والأمثال السائرة، وشواهد التفسير، ودلائل التأويل، فهو ديوان العرب، والمقيد للغاتها، ووجوه خطابها». وانظر: ديوان الأدب ١/ ٧٣، والبرهان للزركشي ١/ ٢٩٤.

(٤) رواه عنه: ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٦٢، والطبري في تفسيره ٣٠/ ١٢١، والثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ١٦١.

(٥) رواه عنه: ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٦٢.

(٦) قال الشاطبي: «القرآن عربي والسنة عربية لا بمعنى أن القرآن يشتمل على ألفاظ أعجمية في الأصل، أو لا يشتمل؛ لأن هذا من علم النحو واللغة، بل بمعنى أنه في ألفاظه ومعانيه وأساليبه عربي، بحيث إذا حقّق هذا التحقيق سلك به في الاستنباط منه والاستدلال به =

وبيَّنْتُ أيَّ تِلْكَ المَعانِي أَوْلَى بالقُرآنِ وأشْبَه بِصِفاتِ اللهِ تَعالَى، وَأَقَمْتُ عَلَيْها البَراهِينَ الواضِحةَ منَ القرآنِ، ومِنْ أَحادِيثِ النَّبيِّ الصَّحِيحةِ المُجْتَمَعِ عليها؛ لِمُشاكَلَتِها للكتابِ والسُّنّةِ.

وكذلِكَ فعلْتُ فِي الأَحادِيثِ؛ لِيَقِفَ مَنْ نظَرَ فيهِ علَى قَصْدِ السَّبيلِ، وَصِحّةِ التَّأْوِيلِ؛ فيتَجَلَّى عَنْهُ ظُلْمةُ الشُّبْهةِ، وتنكَشِفُ عنْ قَلْبِهِ فَتْرةُ[1] الخَيرِ، وباللهِ التَّوفيقُ، وهُوَ حَسْبُنا وَنِعْمَ الوَكِيلُ.

فَمِمّا حمَلُوهُ علَى ظاهرِ اللَّفظِ وتأَوَّلُوهُ بغيرِ الحقِّ[2]:

= مسلك كلام العرب في تقرير معانيها، ومنازعها في أنواع مخاطباتها خاصة» الموافقات ١/ ٤٤.

(١) أي: فترة انقطاعه عن الخير.

(٢) انظر: أبكار الأفكار ١/ ٤٦١.

[الاستِواءُ][1]

قَوْلُهُ تعالَى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت: ١١]، وقولُهُ تعالَى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، وقولُهُ تَعالَى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧].

فالاستِواءُ: الانتِصابُ، وضِدُّهُ: الاعوِجاجُ[2].

والاستِواءُ: الاعتِدالُ، ومنْهُ قولُهُمْ: استَوَى كذا وكذا؛ إذا اعتَدَلا[3]، ومنْهُ قولُ بعضِ شُعَراءِ تَمِيمٍ[4]:

فاسْتَوَى ظالِمُ العَشِيرةِ والمَظْـ ـلُومُ عَنْ حَفظةٍ بِدَعْوَى إِتِّلافِ

والاستِواءُ: تَمامُ الشَّبابِ وانتهاؤُهُ[5]، ومنْهُ قولُ اللهِ تعالَى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ

(١) تحرَّ في تفصيل الحديث عنه: التوحيد لأبي منصور الماتريدي ص٧٢، ووجوه القرآن للحيري ص٤٤، وتصحيح الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص١١٦، والوجوه والنظائر للدمغاني ١/ ١٤٥، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص١٥٢، والكليات ص١٠٩.

(٢) انظر: ديوان الأدب ٣/ ٤٦٢، والحجة في بيان المحجة ٢/ ٢٧٤، والكليات ص١٠٩.

(٣) انظر: الإبانة في اللغة ٣/ ٥٦١، والمفردات في غريب القرآن ص٢٥١، وشمس العلوم ٥/ ٣٢٨٢.

(٤) من الخفيف، وورد بلا نسبة في: دفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص١٢١، ودفع شبه من شبّه وتمرد لتقي الدين الحصني ص٩.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٥، والتفسير البسيط ٢/ ٢٩٥، وشمس العلوم ٥/ ٣٢٨٣، =

﴿وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص: ١٤]، وأنشَدَ الفرّاءُ[١] فِي صفةِ عيسَى عَلَيْهِ السَّلامُ[٢]:

قالَ لَهـا: مِـنْ تَحْتِها وَما اسْـتَوَى
هُزِّي إِلَيكِ الجِـذْعَ يُجْنِيكِ الجَنَى

والاستِواءُ: القَصْدُ للشَّيءِ والإقبالُ عَلَيهِ[٣]، وقالَ الشّاعرُ[٤]:

إِذا اسْـتَوَيتُ عَلَى أَمْرٍ مَضَيتُ لَهُ وَحْدِي وَأَقْصَيتُ عَنِّي العاجِزَ الوَكلا

والاستِواءُ: الاستيلاءُ علَى العرشِ والتَّفَرُّدُ بِهِ[٥]، ومِنْ ذلِكَ قولُهُم: استَوَى فلانٌ فِي المُلْكِ وفِي عَمَلِهِ، أي: استَوْلَى[٦] عليهِ وتفرَّدَ بِهِ[٧]، ومنْهُ قولُ / الشّاعرِ[٨]: [١٠٣/ب]

إِذا مـا غَزا قَوْمًـا أَبـاحَ حَرِيمَهُمْ وَأَضْحَى عَلَى ما مُلِّكُوهُ قَدِ اسْتَوَى

= ودفع شبه التشبيه لابن الجوزي ص١٢١.

(١) في معاني القرآن ١/ ١٦١، ٢/ ١٨٧.

(٢) من الرجز، وورد الثاني منهما بلا نسبة في: تفسير الطبري ١٦/ ١٩٢، والتهذيب، واللسان، والتاج «ج ن ي»، والتفسير البسيط ١٤/ ٤٧٥، وحجة القراءات ص٣٦٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/ ١٩٢، وتصحيح الوجوه والنظائر ص١١٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري ١/ ١٩٢.

(٥) انظر: تصحيح الوجوه والنظائر ص١١٧، وأقاويل الثقات لمرعي الكرمي ص١٢٤.
وهو مذهب متأخري الأشاعرة. انظر: تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص٤٣-٤٥.

(٦) في الأصل: استوى، والصواب المثبت؛ لأنه قال في بداية الكلام: «والاستِواءُ: الاستيلاءُ»، وما يأتي بعده تفسير له.

(٧) نقله عنه السجستاني دون نسبة في غريب القرآن ص١١٤.

(٨) من الطويل، وورد بلا نسبة في: دفع شبه التشبيه ص١٢١، ودفع شبه من شبّه وتمرد ص٩.

والاستواءُ: العُلُوُّ[١]، حكَى أبُو عُبيدةَ[٢]: «استَوَى فلانٌ علَى الجبَلِ: إذا علا عليه».

فَقولُ اللهِ تعالَى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [فصلت: ١١]، أيْ: قصَدَ لها؛ لأنَّهُ تعالَى خلَقَ الأرضَ، ثُمَّ خلقَ السَّماءَ[٣]، وذلِكَ قولُهُ: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۞ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [فصلت: ٩ ١١]، أيْ: قصَدَ لها ليَخْلُقَها.

وقولُهُ تعالَى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ [الحديد: ٤]، فقَدْ تأوَّلَهُ العلماءُ تأويلَينِ، كلاهُما صحيحٌ فِي العَقْلِ مُشْبِهٌ لعظمةِ اللهِ ـ تعالَى ـ؛ فقالَ بعضُهُمْ: معنَى استَوَى: استَوْلَى عليهِ[٤]، وقهَرَهُ بعزَّتِهِ، وتفرَّدَ بهِ[٥].

(١) انظر: تفسير الماتريدي ٧/ ٢٦٨، والتوحيد له ص٧٢، ونزهة الأعين النواظر ص١٥٤.

(٢) مجاز القرآن ١/ ٢٧٣،٢/ ١٥، ٥٧-بمعناه، وحكاه عنه السجستاني في: غريب القرآن ص١١٥.

(٣) انظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص٥٠، والغريبين للهروي ٣/ ٩٥٧.

(٤) في الإيضاح في أصول الدين ص٢٩٩: «وذهبت المعتزلة والأشعرية إلى أن لفظة (الاستواء) لا يحمل على ظاهره؛ لأنه يؤدي إلى إثبات الجهة، ويسأل عنه بأين للدلالة على الجهة والمكان، وتأولوه بالاستيلاء، وقد كانت طائفة من الأشعرية يثبتون لفظه، ويمتنعون من تأويله..».

(٥) انظر: معاني الزجاج ٣/ ٣٥٠، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص٥٠، ولم يرتض هذا التأويل، والإبانة للأشعري ص١٠٨-وتعقب فيه هذا القول-، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي القيسي ١/ ٢٠٨، والتفسير البسيط ٢/ ٢٩٨، وأبكار الأفكار ١/ ٤٦٢، وعمدة الحفاظ ٢/ ٢٤٠.

وقالَ بعضُهُمْ: معناهُ: علا عليهِ[١].

ومعْنَى العُلُوِّ والاستعلاءِ فِي صِفةِ اللهِ تعالَى متقارِبانِ؛ لأنَّهُ يَعْلُو قاهِرًا، ومُدَبِّرًا للأمورِ، وَمُسْتَولِيًا علَى خَلْقِهِ.

ومِمّا يُصَحِّحُ ذلكَ فِي المعنَيَينِ:

ما رُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ فِي قولِهِ تعالَى[٢]: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، قالَ: استَوَى لَهُ: أَمْرُهُ وقُدْرَتُهُ فوقَ بَرِيَّتِهِ[٣].

أوْ قالَ: خَلْقهُ[٤].

وما رُوِيَ عن ابنِ عمرَ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أيْ: استَوَى أمرُهُ وقدرتُهُ[٥] فَوْقَ بريَّتِهِ.

(١) وهو قول مجاهد وثعلب في: الأربعين في صفات رب العالمين للذهبي ص٣٦ -٣٧، وأبي عبيدة في: مجاز القرآن ١/ ٢٧٣، وقال الطبري: «أوْلى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: علا عليهن وارتفع، فدبرهنّ بقدرته، وخلقهنّ سبع سموات. والعجبُ ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾؛ الذي هو بمعنى العلو والارتفاع، هربًا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه -إذا تأوله بمعناه المفهم كذلك- أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها - إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر...» جامع البيان ١/ ١٩٢. وانظر: أبكار الأفكار ١/ ٤٦٣.

(٢) نُسب إليه نقض الإمام أبي سعيد على المريسي ١/ ٤٥٠، وورد بلا نسبة في: مسند الربيع ص٣٣٣.

(٣) انظر: تنوير المقباس ص٢٠٥. وروي نحوه عن ابن عمر في: مسند الربيع ص٣٣٣.

(٤) انظر: تنوير المقباس ص٣٢٤.

(٥) في الأصل: وقدته، والصواب المثبت.

ورُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ فِي آيةِ ذِكْرِ العَرْشِ قالَ[١]: «ارتَفَعَ ذِكْرُهُ وثناؤُهُ ومَجْدُهُ عمّا يقولُ المُرْتَدُّونَ: إنَّ لهُ أمْثالًا وأَنْدادًا».

وعنِ الحَسَنِ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [فصلت: ١١]، قالَ: بنَى اللهُ السَّماءَ الدُّنيا ثُمَّ استوَى أَمْرُهُ وَقُدْرَتُهُ.

وقالَ[٢]: «﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، وهوَ استواؤُهُ علَى أَمْرِهِ وقدرَتِهِ ولُطْفِهِ فوقَ خَلْقِهِ ولا يُوصَفُ[٣] ربُّنا بشيءٍ منْ صفاتِ المَخْلُوقِينَ، ولا يقعُ عليهِ كما يقَعُ علَى بنِي آدَمَ».

وقولُهُ: ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ فَإِنَّهُ عالٍ علَى عرشِهِ وعلَى جميعِ خلْقِهِ، وهوَ بكُلِّ مكانٍ، ولا يخلُو منْهُ مكانٌ.

وقيلَ لِسُفْيانِ بنِ عُيَيْنَةَ: قُلْ: إنَّ اللهَ علَى العرشِ وعِلْمَهُ فِي الأرضِ، فقالَ: لا أقولُ هكذا، ولكنَّهُ علَى العرشِ، وهوَ بكُلِّ مكانٍ[٤]، ثُمَّ تَلا: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] /.

وسُئِلَ هُشَيْمٌ[٥]

(١) بمعناه في: تنوير المقباس ١/ ٥.

(٢) أي: الحسن، وورد قوله بلفظه في: مسند الربيع ص٣٣٤.

(٣) في الأصل: لاصف، وهو تحريف.

(٤) قال الرازي: «المسلمون يقولون: إنه تعالى بكل مكان، ويريدون به التدبير والحفظ والحراسة» مفاتيح الغيب ٥/ ٨٢.

(٥) هو: هُشَيْم بن بَشِير بن القاسم بن دينار السلمي، أبو معاوية ابن أبي خازم الواسطي، ثقة ثبت، كثير التدليس والإرسال الخفي، مات سنة ثلاث وثمانين وقد قارب الثمانين.
انظر في ترجمته: تقريب التهذيب ص٥٧٤.

عنْ قولِهِ تعالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [طه: ٥] فقالَ[١]: «كانَ أصحابُنا يَقُولُونَ: قهرَ العَرْشَ»[٢].

وقدْ جاءَ فِي ذلِكَ تأويلانِ آخرانِ يقبلُهُما العقلُ، ويستويانِ فِي التَّأويلِ، ويَليقانِ بصفةِ اللهِ تعالَى:

أحدُهُما: ما رُوِيَ عنِ ابْنِ عبّاسٍ أنَّهُ كانَ يقرَأُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، ويقولُ: قاهِرًا، ثُمَّ يستأنِفُ فَيَقُولُ: اسْتَوَى لَهُ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأرضِ وَما بينَهُما وما تَحْتَ الثَّرَى[٣].

والتَّأويلُ الآخَرُ: ما قالَهُ الفرّاءُ[٤] علَى تَأْويلِهِ الأوَّلِ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [فصلت: ١١]، أيْ: قصَدَ، فَمَعْنَى ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: إلَى العرشِ قصدَ، و(علَى) بمعنَى (إلَى)، والصِّلاتُ يقومُ بعضُها مَقامَ بعضٍ، فمِنْ ذلِكَ قولُ اللهِ تعالَى: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، أيْ: معَ اللهِ[٥].

(١) انظر قوله في: مسند الربيع ص٣٣٤.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر للدمغاني ١/ ١٤٦.

(٣) نقله عنه الداني بقوله: «وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه كان يقف على قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، ثم يستأنف ما بعد ذلك» المكتفى في الوقف والابتدا ص٣٧٨-٣٧٩.

وعقَّب السمين على قول ابن عباس بقوله: «وهذا لا يَصِحُّ عنه» الدر المصون ٨/ ١٣.

(٤) معاني القرآن ١/ ٢٥-بتصرف.

(٥) انظر: معاني القرآن ١/ ٢١٨.

وعقَّب على ذلك الآمدي بقوله: «وفيه نظر؛ فإن الاستواء وإن أطلق بمعنى القصد عند صلته بـ(إلى) فلا يلزم مثله عند صلته بـ(على)، ولهذا يُحسن أن يقال: فلان قاصد =

وهوَ كثِيرٌ فِي القرآنِ والشِّعْرِ؛ فمِنْ ذلِكَ قولُ الشّاعِرِ[١]:

إذا رَضِيَـتْ عَلَـيَّ بَنُـو قُشَـيرٍ لَعَمْـرُ اللهِ أَعْجَبَنِـي رِضاهـا

أيْ: عَنِّي[٢].

قالَ الفرّاءُ[٣]: «علَى العرْشِ وإِلَى العرْشِ، بمنزِلةِ قولِكَ: نزلْتُ علَى فلانٍ، وإِلَى فلانٍ، وعنْدَ فلانٍ، فتَجِدُ المعنَى واحِدًا»[٤].

= إليك، ولا يقال: قاصد عليك» أبكار الأفكار ١/ ٤٦٤.

(١) من الوافر، للقُحيف العُقيلي في شعْره ص٢٥٢، ونسب إليه في: النوادر لأبي زيد ص٤٨١، ومجاز القرآن ٢/ ٨٤، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٦١٠، واللمحة في شرح الملحة ١/ ٢٣٠، والمقاصد النحوية ٣/ ١٢٢٦، وشرح أبيات المغني ٢/ ٣٩٣.

(٢) قال ابن جني: «أراد: عنّي. ووجهه: أنها إذا رضيت عنه أحبته وأقبلت عليه، فلذلك استعمل (على) بمعنى (عن)، وكان أبو علي يستحسن قول الكسائي في هذا» الخصائص ٢/ ٣١٣. وانظر: الإيضاح في أصول الدين ص٣٣٢.

ومذهب نيابة حروف الخفض بعضها عن بعض هو مذهب الكوفيين، قال ابن هشام: «مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض» مغني اللبيب ص١٥٠. وانظر: التذييل والتكميل ١١/ ١٨٢.

(٣) لم أقف عليه في معانيه، ولا في: لغات القرآن له.

(٤) نحو ذلك نقله الأخفش عن يونس في معانيه ١/ ٥١.

العَرْشُ[١]

وأمّا «العرْشُ» فلَهُ مَعانٍ، أنا أذكُرُها وَأُبَيِّنُ المعنَى الصَّحيحَ الَّذِي يلِيقُ بصفةِ عرْشِ اللهِ تعالَى، فإنَّ العرْشَ: السَّريرُ، ومنْهُ قولُهُ تعالَى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يوسف: ١٠٠]، أيْ: علَى السَّريرِ[٢].

والعرْشُ: الكُرْسِيُّ[٣].

والعرْشُ: طَيُّ البِئْرِ بالحجارةِ وبالخشَبِ[٤].

والعرْشُ: خشَبٌ يوضَعُ علَى رأْسِ البِئْرِ يقومُ عليهِ السّاقِي[٥].

والعَرشُ: السَّقْفُ، ومنْهُ قولُ اللهِ تعالَى: ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، أيْ: خاليةٌ علَى أنَّ لها سُقُوفًا[٦].

(١) تحرَّ في تفصيل الحديث عنه: العين ١/ ٢٤٩، والجمهرة ٢/ ٧٢٨، والعشرات في غريب اللغة لأبي عمر الزاهد ص١٣١، والزينة للرازي ٢/ ١٥٣، والمنجد في اللغة ص١٠٥، والصحاح ٣/ ١٠١٠، ووجوه القرآن للحيري ص٣١٤، والوجوه والنظائر للدمغاني ٢/ ٩٠، والمقاييس ٤/ ٢٦٤، وشمس العلوم ٧/ ٤٤٤٦، والدر المصون ٥/ ٣٤٠، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ٣/ ٥٠.

(٢) وهو قول ابن عباس والمفسرون وأهل اللغة. انظر: التفسير البسيط ١٢/ ٢٤٩.

(٣) وهو قول الحسن. انظر: النكت والعيون ١/ ٣٢٤.

(٤) انظر: الدر المصون ٥/ ٣٤١.

(٥) انظر: البئر لابن الأعرابي ص٦٧، وشمس العلوم ٧/ ٤٤٤٦.

(٦) انظر: الوجوه والنظائر للدمغاني ٢/ ٩٠.

والعرْشُ والعرِيشُ: كلُّ ما يُستظَلُّ بهِ[١].

والعرْشُ: ما عُرِّشَ منَ الشَّجرِ فجُعِلَ كالسُّقُوفِ[٢]، ومنْهُ قولُ اللهِ تعالَى: ﴿جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١].

والعرْشُ: البناءُ المبْنِيُّ، ومنْهُ قولُ اللهِ تعالَى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، فيُقالُ: يَبْنُونَ[٣]، ويُقالُ: يَتَّخِذُونَ منَ الشَّجَرِ، وقالَ الأسْوَدُ بنُ يَعْفُرَ[٤] فِي البناءِ[٥]:

وَغانِيَةٍ قَطَّعْتُ باقِي وَصْلِها ... بِحَرفٍ[٦] كَعَرْشِ الهاجِرِيِّ المُطَيَّنِ

/ و«الهاجِرِيُّ»: البناءُ عندَ العرَبِ[٧]. [١٠٤ب]

(١) انظر: العين ١/ ٢٤٩، وشمس العلوم ٧/ ٤٤٤٦، والنهاية لابن الأثير ٣/ ٢٠٧.

(٢) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص٣٢٩.

(٣) أي: يبنون البيوت والمساكن، وهو قول مجاهد، وأبي عبيدة، وابن قتيبة.
انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٢٧، وغريب القرآن لابن قتيبة ص١٧٢، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٧٣، والكشف والبيان للثعلبي ٤/ ٢٧٣.

(٤) هو: الأسود بن يعفر النهشلي الدارميّ التميمي، أبو نهشل، وأبو الجرّاح: شاعر جاهلي، من سادات تميم. من أهل العراق. كان فصيحا جوادا. نادم النعمان بن المنذر. ولما أسنّ كف بصره.
انظر في ترجمته: طبقات فحول الشعراء ١/ ١٤٣، والاشتقاق لابن دريد ص٢٤٣، والشعر والشعراء ١/ ٢٥٥، والمؤتلف والمختلف للآمدي ص١٨، والأعلام ١/ ٣٣٠.

(٥) من الطويل، في ديوانه ص٦٤، وروايته فيه:
وغانيةٍ قطعتُ أسبابَ وصلِها ... بحرفٍ كقوس الهاجريِّ المضيَّنِ

(٦) في الأصل: بمنحرفٍ، والصواب المثبت؛ ليستقيم الوزن، وهو وارد هكذا أيضًا بجانب الديوان في: منتهى الطلب من أشعار العرب ١/ ٣٧.

(٧) انظر: الإبانة في اللغة ٤/ ٧٤٢، وشمس العلوم ١٠/ ٦٨٧٤.

والعرشُ [يُطْلَقُ] علَى العِزِّ والسُّلطانِ والأمْرِ والمُلكِ وأشباهِ ذلِكَ[١]، قالَ زُهَيرُ بنُ أبي سُلْمَى[٢]:

تَدارَكْتُما الأَحْلافَ قَدْ ثُلَّ عَرْشُها وذُبْيانَ إِذْ زَلَّتْ بِأَقْدامِها النَّعْلُ

أيْ: هُدِمَ عزُّها وأمْرُها.

ومِنْهُ كلامُ العربِ المشهورُ[٣]: «أَثَلَ اللهُ عرْشَ فلانٍ»، أيْ: أهلَكَ سُلْطانَهُ وعزَّتَهُ وقدرَتَهُ[٤].

وَمِنْهُ قَوْلُ عمرَ بنِ الخطّابِ[٥]: «لولا أنَّ اللهَ تغمَّدَنِي بِرَحْمةٍ لَهُدَّ عَرْشُ عُمَرَ».

وَمِنْهُ قَوْلُ أميّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ[٦]:

سُبْحانَ مَنْ خَشَعَتْ لِعِزّةِ عَرْشِهِ سَبْعٌ وَسَبْعٌ بَيْنَها الآياتُ:

(١) وذلك باعتبار العلو. انظر: المفردات ص٣٢٩، وعمدة الحفاظ ٣/ ٥٠.

(٢) من الطويل في ديوانه بشرح ثعلب ص١٠٩. والأحلاف: عبس وفزارة، وقيل: غطفان وعبس.

(٣) انظر: الأضداد لابن الأنباري ص٣٨٧، والتقفية في اللغة ص٦٢٧، والمستقصى في أمثال العرب ٢/ ٣٤، وجمهرة الأمثال ص٢٩٠، ومجمع الأمثال ١/ ١٥٣.

(٤) انظر: إصلاح المنطق ص٢٦٦، والعشرات في غريب اللغة ص١٣١.

(٥) انظر قوله في: تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٨٣، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٤٦.

(٦) من الكامل، ولم أقف عليه في ديوانه في طبعتيه.

وأمية هو: أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف، قدم دمشق قبل الإسلام، وكان مطلعًا على الكتب القديمة، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، وأقام في الطائف إلى أن مات. انظر في ترجمته: طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٥٩، والشعر والشعراء ١/ ٤٥٩، والأغاني ٤/ ١٢٧، والأعلام ٢/ ٢٢.

قَمَرٌ، وَشَمْسٌ، والسَّحابُ رَواكِدُ والرِّيحُ، والأَنْوارُ، والظُّلُماتُ

وخشُوعُ هَذِهِ إنَّما يكونُ لسلطانِ اللهِ ومُلْكِهِ لا لكُرْسِيِّهِ تعالَى جَدُّهُ، فَتَأويلُ قَوْلِهِ تعالَى: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، أيْ: علَى العزِّ والمُلْكِ والسُّلطانِ استولَى، وَيُبَيِّنُ ذلِكَ ما تقدَّمَ منَ الأحاديثِ عنِ الأئمّةِ فِي هذهِ الآيةِ وما أشبهَها[١]، وكلُّ ما ذكَرْنا فِي العرشِ والاستواءِ عنْ معنَى الاستيلاءِ، والعُلُوِّ، والقَصْدِ[٢].

وما رُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ فِي القَطْعِ[٣] عندَ قولِهِ: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ واستئنافِ ﴿ٱسْتَوَىٰ ۞ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أشبَهُ بوصفِ عظمةِ اللهِ تعالَى مِنَ الكُفْرِ الَّذِي يَتَأَوَّلُهُ مَنْ يُشَبِّهُ اللهَ بِخَلْقِهِ، فإنَّهُمْ يتأوَّلُونَ أنَّهُ تبارَكَ وتعالَى يستَوِي علَى كُرْسِيِّهِ كما يستَوِي الرَّجُلُ علَى سَرِيرِهِ[٤]، ويَذْهَبُونَ فِي ذلِكَ إلَى أحاديثَ مفتعلةٍ أيْ مُفْتَراةٍ باطِلةٍ مأخوذةٍ منَ اليهودِ؛ مِنْها:

(١) قال الرازي: «واستوى جاء بمعنى استولى نقلاً واستعمالاً..» مفاتيح الغيب ٢٥/ ١٤٨. وانظر: أصول الدين للبغدادي ص١٢٢.

(٢) انظر: التوحيد للماتريدي ص٧٣، ومشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص٣٨٩، والاقتصاد في الاعتقاد ص٣٨، وغاية المرام للآمدي ص١٤٢.

(٣) انظر: المكتفى في الوقف والابتدا ص٣٧٨-٣٧٩.

(٤) نسب ابن فورك هذا القول لابن خزيمة وتعقبه بقوله: «ثمَّ ذكر صاحب التصنيف بابا تَرْجمهُ باستوائه على العَرْش وأوهم معنى التَّمْكِين والاستقرار، وَذَلِكَ مِنْهُ خطأ؛ لِأَن استواءه على الْعَرْش سُبْحانَهُ لَيْسَ على معنى التَّمْكِين والاستقرار، بل هُوَ على معنى العُلُوّ بالقهر والتَّدْبِير وارتفاع الدرجة بِالصّفةِ على الوَجْه الَّذِي يَقْتَضِي مباينة الخلق» مشكل الحديث وبيانه ص٣٨٩، ورد هذا المذهب القاضي عبد الجبار في: شرح الأصول الخمسة ص٢٢٦-٢٢٧. وانظر: التوحيد ١/ ٢٣٣، ٢٤٢، وابن تيمية في: مجموع الفتاوى ٥/ ١٤٤، والرسالة التدمرية ص١٠-١١، وبيان تلبيس الجهمية ٢/ ٣٣٦، وابن القيم في: الصواعق المرسلة ص١٩٥.

ما رُوِيَ عنْ أبِي هُرَيرةَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ[١]: «لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَخَّرْتُ صَلاةَ العِشاءِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيلِ أَوْ شَطْرِهِ، فَإِذا كانَ ذَلِكَ نَزَلَ اللهُ إِلَى السَّماءِ الدُّنْيا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ داعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟، فَإِذا طَلَعَ الفَجْرُ رَجَعَ إِلَى مَكانِهِ مِنْ غَدِهِ».

وما رواهُ شُعْبةُ عنْ واصِلٍ[٢] قالَ: سمِعْتُ أبا وائلٍ قالَ[٣]: «كانَ الأشعَثُ وجُوَيْبِرٌ وكَعْبٌ[٤] جُلُوسًا، فوضَعَ الأشعَثُ إحدَى رجلَيهِ علَى الأُخْرَى/ ، فقالَ لَهُ [١٠٤] كعبٌ: ضَعْها فإنَّها لا تصلُحُ لِبَشَرٍ».

وما رُوِيَ عنْ أبِي بُرَيدةَ عنِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ[٥]: «أَتانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقالَ: إِنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ فِي الجَنَّةِ وادِيًا مِنْ كَثِيبٍ أَبْيَضَ، فَإِذا كانَ يَومُ الجُمُعةِ نَزَلَ عَنْ

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ١٢٠، وعبد الرزاق في مصنفه ١/ ٥٥٥، وعنه المتقى الهندي في: كنز العمال ٧/ ١٦٤.

(٢) في الأصل: فاصل، وهو تحريف، والصواب المثبت كما في: شرح معاني الآثار ٤/ ٢٧٧.
وواصل هو: واصل بن حيان الأحدب الأسدي الكوفي، روى عن أبي وائل وشريح القاضي، والمعرور بن سويد، وإبراهيم النخعي وغيرهم، وعنه: أبو إسحاق الشيباني، وعبد الملك بن سعيد بن أبجر، وجرير بن حازم وآخرون، قال ابن معين وأبو داود والنسائي: ثقة، مات سنة عشرين ومائة، وقيل: مات سنة تسع وعشرين ومائة.
انظر في ترجمته: الثقات ٧/ ٥٥٨، وتهذيب التهذيب ١١/ ٩١.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٢٠٤، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٤/ ٢٧٩، وأردفه بقوله: «فَكانَ مَعْنَى هذا عِنْدَنا -واللهُ أَعْلَمُ- أنها لاَ تَصْلُحُ لِبَشَرٍ؛ لنهي رسول الله ﷺ عنها؛ لِأَنَّهُ لاَ يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يُخالِفَ رَسُولَ اللهِ ﷺ».

(٤) أي: كَعْبِ بن عُجْرةَ.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في العرش ص٩٥، والطبراني في الأحاديث الطوال ص٢٦٤، والدارمي في الرد على الجهمية ص٩١.

كُرْسِيِّهِ، وَنَزَلَ مَعَهُ النَّبِيُّونَ والصِّدِّيقُونَ عَلَى ذَلِكَ الكَثِيبِ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ، ثُمَّ يَرْتَفِعُ عَلَى كُرْسِيِّهِ».

وما رواهُ عَنْ عَطاءٍ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ[1]: «لا تَضْرِبُوا الوَجْهَ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورةِ وَجْهِهِ»[2]. وهذا الكُفْرُ هوَ الَّذِي لا يَقُولُهُ إلّا اليَهُودُ، فأمّا ما رُوِيَ عنه وجاء فِيهِ «عَلَى صُورَتِهِ»، فلَهُ تَأْوِيلٌ سَنَذْكُرُهُ فِي مَوضِعِهِ إنْ شاءَ الله.

وهذِهِ منَ الأحاديثِ الَّتِي حَذَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ قبولِها؛ لأنَّها مُضادَّةٌ للقرآنِ، مُخالِفةٌ للسُّنّةِ، مُباينةٌ للحقِّ، وقدْ أكذَبَ اللهُ المُشَبِّهةَ للهِ بخلقِهِ، الواصِفةَ بالانتِقالِ والزَّوالِ منْ مكانٍ إلَى مكانٍ والصُّورةِ والمثالِ فِي كتابِهِ النّاطِقِ الَّذِي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت: ٤٢]، وأبانَ كَذِبَ هذِهِ الأحاديثِ المُفْتَعَلةِ المأخوذةِ عنِ اليَهُودِ، بِما رُوِيَ منَ الأحاديثِ الصَّحيحةِ الموافِقةِ للكتابِ والسُّنّةِ عنِ النَّبيِّ ﷺ، وعنِ الأئِمّةِ الفاضِلِينَ الَّذِينَ يُؤْخَذُ عَنْهُمْ عِلْمُ التَّأويلِ، وإليهِمْ يُرْجَعُ فِي أحكامِ الدِّينِ.

فَمِمّا أكذَبَ اللهُ تعالَى بِهِ قولَهُمْ قَوْلُهُ تعالَى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٣] وقولُهُ: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٤/ ٢٤٧، والذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٤/ ١١٧.

(٢) قال ابن حجر: «واختلف في الضمير على من يعود، فالأكثر على أنه يعود على المضروب لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه، ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها، وقال القرطبي: أعاد بعضهم الضمير على الله متمسكًا بما ورد في بعض طرقه (أن الله خلق آدم على صورة الرحمن)، قال: وكأن من رواه أورده بالمعنى متمسكًا بما توهمه فغلط في ذلك....» فتح الباري ٥/ ١٨٣.

إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ ﴾ [المجادلة: ٧] إلى قولِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧]، وقولُهُ تعالَى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ [الحديد: ٣].. الآية، وقولُهُ تعالَى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤].. الآية، وقولُهُ: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٧]، وقولُهُ تعالَى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦]، وقولُهُ تعالَى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

ومِمّا جاءَ فِي الأحاديثِ الصّادقةِ المُبْطِلةِ لما يدَّعِيهِ المُشَبِّهةُ:

ما رواهُ عيسَى بنُ زيدٍ، عَنْ إبراهيمَ / النّخعِيِّ قالَ[1]: مَرَّ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ [١٠٥ر] بخَلْقٍ ورجُلٌ يُحَدِّثُهُمْ عنِ التَّوراةِ، فقامَ عندَهُمْ فسكَتَ المُذَكِّرُ، فقالَ عبدُ اللهِ: ما يُحَدِّثُكُمْ صاحبُكُمْ هذا؟ قالُوا: حَدَّثَنا عنِ التَّوراةِ وعنْ ربِّنا، فقالَ: أَعَنْ ربِّكُمْ؟! ماذا؟ ألا إنَّهُ لا يُخْبِرُ عنِ اللهِ إلّا بالتَّحقيقِ إيمانًا بالغيبِ، لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ، وَلا يُحِيطُ بِهِ عِلْمٌ، قالُوا: حدّثنا أنَّ اللهَ تعالَى لمّا خلَقَ السَّماواتِ والأرضَ صَعِدَ إلَى السَّماءِ منْ بيتِ المقدِسِ، فوضَعَ قدَمَهُ علَى الصَّخْرةِ، وأنَّهُ ينزِلُ إلَى السَّماءِ الدُّنْيا فِي ليلةِ النِّصْفِ منْ شعبانَ، فقالَ ابنُ مسعودٍ: إنّا للهِ وَإنّا إلَيهِ راجِعُونَ، أَكُفْرٌ بعدَ إيمانٍ؟! ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩]، ألا قلتُمْ ما قالَ إبراهيمُ: ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٦]، ألا إنَّ ربَّكُمْ ليسَ بِنازِلٍ[2]، فاتَّهِمُوا اليهودَ علَى دينِكُمْ، فإنَّهُمْ سَيُضِلُّونَ منْ هذِهِ الأُمّةِ أقوامًا كما أضَلُّوا بُولسَ وهُمْ أصحابُ عيسَى، ألا إنَّ ربَّكُمْ ليسَ بِنازِلٍ؛ فاتَّقُوا أنْ تُشْرِكُوا باللهِ بعدَ نبيِّكُمْ، ألا إنَّ الشِّركَ بِضْعٌ وسَبْعُونَ بابًا، ألا إنَّ الشِّرْكَ أخْفَى منْ دبيبِ النَّملِ فِي ليلةٍ ظَلْماءَ علَى صخْرةٍ سوداءَ، ألا إنَّ مَنْ وَصَفَ اللهَ بِنازِلٍ فقدْ كفَرَ وأنكَرَ، ألا فلا تُصَدِّقُوا اليهودَ

(١) ورد مختصرا في: مسند الربيع ص٣٣٧-٣٣٨.

(٢) في الأصل: بزائل، وكذا اللفظ الذي يليه، والتصويب من الحاشية.

علَى التَّوراةِ؛ فإنَّهُ ليسَ فِي التَّوراةِ تكذيبٌ لِقُرْآنِكُمْ، فما صدَّقَهُ قرآنُكُمْ فصدِّقُوهُ، وما خالَفَهُ فكذِّبُوهُ؛ فإنَّهُ سيكونُ رجالٌ منْ هذِهِ الأمّةِ يتَّخِذُهُمُ النّاسُ رُؤُوسًا وقادةً، يتحَوَّلُونَ عنِ الإيمانِ كما يتحَوَّلُ الرَّجُلُ منْ دارٍ إلَى دارٍ، يصِفُونَ اللهَ تعالَى بالحدُودِ، فَسُبْحانَ اللهِ عَمّا يَصِفُونَ.

ورُوِيَ عَنْ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ[1]: جاءَ يَهُودِيٌّ إلَى النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ فقالَ يا محمَّدُ: [صِفْ] لَنا رَبَّكَ؟ فأنزَلَ اللهُ تعالَى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢]، قالَ: فكيفَ هُوَ؟ فأنزَلَ اللهُ تعالَى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ [الحشر: ٢٣].. الآية، قالَ: فأيُّ شيءٍ هوَ؟ فأنزَلَ اللهُ تعالَى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٤] / .. السُّورةَ.

ورُوِيَ عنْ عائشةَ قالَتْ[2]: دخَلَ علَيَّ النَّبيُّ عَلَيْهِ السَّلامُ فأكَبَّ باكِيًا وبكيتُ لبُكائِهِ، فلمّا رفَعَ رأسَهُ قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، أَأُنْزِلَ عَذابٌ؟ قالَ: «لا، وَلَكِنَّ اليَهُودَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَصَفُوا اللهَ بِصُورةِ الإنْسانِ، فَأَتانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، مَنْ رَأَى اللهَ فَوَصَفَهُ؟! فَخَرَرْتُ للهِ ساجِدًا إعْظامًا لَهُ مِمّا وَصَفُوهُ بِهِ».

ورُوِيَ عنْ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّهُ قالَ: سيرجِعُ أقوامٌ منْ هذِهِ الأُمّةِ عندَ اقترابِ السّاعةِ كُفّارًا، فقالَ رجُلٌ: يا أميرَ المؤمنِينَ، كُفْرُهُمْ بِمَ هُوَ؟ بالإحْداثِ، أمْ بالإنْكارِ؟ قالَ: لا، ولكِنْ بالإنكارِ، يُنْكِرُونَ خالِقَهُمْ فيصِفُونَهُ بالصُّورةِ والأعضاءِ، أولئِكَ قومٌ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرةِ ولهُمْ عذابٌ أليمٌ.

(١) لم أقف عليه.

(٢) لم أقف عليه.

ورُوِيَ عنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ [عَن أبيهِ][1] أنَّهُ سألَ كعبًا ذاتَ يَوْمٍ فقالَ[2]: خَوِّفْنا، قالَ: وكانَ عُمَرُ كثيرًا ما يقولُ ذلِكَ، قالَ كعْبٌ: أُخَوِّفُكَ يا أميرَ المؤمنِينَ بنارٍ بالمَشْرِقِ، وجَماجِمِ أقوامٍ بالمغرِبِ تفُورُ منْها، ثُمَّ قالَ عمرُ: يا كعْبُ، خَوِّفْنا، فقالَ كعْبٌ: اِعْمَلْ يا أميرَ المؤمنِينَ وأنتَ ترَى أنْ لوْ جئْتَ بعملِ سبعينَ نبيًّا لَجاءتْ عَلَيكَ تاراتٌ تخافُ أنْ لا تَنْجُوَ منْها لهَوْلِ المَطْلَعِ، ثُمَّ قالَ عمرُ: يا كعْبُ، وما تستطِيعُ أنْ تَصِفَ منْ عظمةِ ربِّكَ؟ فقالَ كعْبٌ: لا أستطِيعُ أنْ أصِفَ منْ عظمةِ اللهِ إلّا ما ذكرَهُ الله تعالَى فِي كتابِهِ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، وأنَّهُ خالِقٌ قاهِرٌ قادِرٌ علَى أمْرِهِ، فقالَ عمرُ: ما قَولُهُ: الظّاهِرُ الباطِنُ؟ فقالَ كعْبٌ: الظّاهِرُ: الَّذِي ليسَ ما ظهَرَ منَ الأشياءِ بأقرَبَ منْهُ ممّا بطنَ منَ الأشياءِ، والباطِنُ: الَّذِي ليسَ ما بطنَ منَ الأشياءِ بأَبْعَدَ منهُ ممّا ظهَرَ منَ الأشياءِ، كما أنَّهُ ليسَ ما علا منَ الأشياءِ بأَعْلَمَ مِنْهُ مِمّا خَفِيَ منَ الأشياءِ وما سفلَ منها، قالَ كعْبٌ: وإنَّ رِجالًا مِنْ هَذِهِ الأُمّةِ سَيهلكُونَ فِي أمْرِ الرَّبِّ، إنّا نجِدُ هذِهِ الأُمّةَ سيضِلُّونَ عنْ دينِهِمْ بالتَّحرِيفِ، أيْ: بتحرِيفِ التَّأويلِ / كَما ضَلَّتِ اليهودُ والنَّصارَى بالتَّنزِيلِ حتَّى وصفُوا ربَّهُمْ بالبَشَرِ، [١٠٦ب] وبِما يعرفُونَ منْ أنفُسِهِمْ، نَصبْنَ صنمًا باطِنًا، قالَ: لمّا قبضَ الله موسَى ركبُوا المعاصِي، فسلَّطَ الله عليهِمْ بُخْتُنَصَّرَ[3] فحَرَّقَ التَّوراةَ[4] وخرَّبَ بيتَ المقدِسِ، فاجتَمَعَ منهُمْ ناسٌ ففكَّرُوا فِي اللهِ، فنَعَتُوهُ بألسِنَتِهِمْ، وقدَّرُوهُ بأوهامِهِمْ، وشَبَّهُوهُ

(١) تتمة يقتضيها المقام كما في مصدر تخريجه الآتي.

(٢) ورد مختصرا في مسند الربيع ص٣١٩-٣٢٠.

(٣) أي: بختنصر البابلي المجوسي الذي أعانه الروم على تخريب بيت المقدس.

(٤) في الدر المنثور ٢/ ٢٨: «وقد حرق بختنصر التوراة، ولم يبق منها شيء إلا ما حفظت الرجال».

بالصُّورةِ، حتَّى إنَّهُمْ لَيَصِفُونَ الطُّولَ كمْ هوَ، والعَرْضَ كمْ هُوَ، فكفرُوا باللهِ وجَهلُوهُ؛ حيثُ شبَّهُوهُ بخَلْقِهِ، وكتَبُوهُ فِي كتُبِهِمْ، وتوارَثُوهُ بينَهُمْ، فهُوَ اليومَ فيهِمْ فاشٍ، يزعمُونَ أنَّهُ منَ التَّوراةِ، وكذبُوا علَى اللهِ، إلّا أنَّ موسَى قالَ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٣].

ثُمَّ إنَّ كعْبًا بكَى، فقالَ لهُ عمَرُ: ما يُبْكِيكَ يا أبا إسحاقَ؟ قالَ: أبكانِي حديثٌ عنْ داودَ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ أنَّهُ قالَ فِي دُعائِهِ: إلَهِي، إنِ ارْتَفَعْتَ فَوقَ سَماواتِكَ فأَنْتَ ثَمَّ، وإنْ نزَلْتَ أسفَلَ أَراضِيكَ فأنْتَ ثَمَّ، وإنْ تَحوَّلْتَ طائِرًا فَجُلْتَ فِي الآفاقِ وجُبْتُ[1] أَجْوازَ البِحارِ فأنتَ ثَمَّ، إلَهِي، فكيفَ يستطِيعُ الخاطِئُونَ أنْ يَسْتَتِرُوا بخَطاياهُمْ دونَكَ وأنتَ معَهُمْ أينَما كانُوا، فأنْتَ ظاهِرٌ وباطِنٌ، سبحانَكَ وبحمدِكَ، لا إلهَ إلّا أنتَ.

وقالَ كعْبٌ: إنَّ فِي التَّوراةِ مكتُوبًا: الثَّورُ يعرِفُ مَرْبِطَهُ، والحمارُ يعرِفُ آرِيَّهُ[2]، وبنُوا إسرائِيلَ لا يعرِفُونَ ربَّهُمْ.

ورُوِيَ عنْ أبِي هِلال الرّاسِبِيِّ[3]، قالَ[4]: سمِعْتُ الحسَنَ وأتاهُ عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ المَدَنِي[5]، فقالَ لهُ: انعَتْ ربَّكَ، فقالَ الحسَنُ: نَعَمْ، بغيرِ صفةٍ ولا تمثالٍ

(١) في الأصل: وحُلتُ، والأصح المثبت.

(٢) أي: محبس الدابة، ففي إصلاح المنطق ص٣١٣: «قولهم للمعلف: آري، وإنما الآري محبس الدابة». وانظر: المنتخب من كلام العرب ١/ ٦٤٤، والصحاح ٦/ ٢٢٦٧، والتلخيص في معرفة أسماء الأشياء ص١٧٦.

(٣) في الأصل: الراسي، والتصويب من مصدر تخريجه كما سبق.

(٤) أخرجه الربيع في مسنده ص٣٢١.

(٥) في الأصل: الفُدْراني، والتصويب من مصدر تخريجه.

ولا صورةٍ، تعالَى مَنْ لا عِدْلَ[١] لَهُ ولا نِدَّ، ثُمَّ قرأَ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، فمَنْ شَبَّهَهُ بشيءٍ فقدْ عدلَ بِهِ.

وسُئِلَ الحسنُ عنِ الحديثِ الَّذِي تجلَّى فيهِ جِلْسةُ اللهِ تعالَى فقالَ[٢]: «لعنَ اللهُ اليهودَ، وصفُوا ربَّهُمْ حتَّى شبَّهُوهُ بالبَشَرِ».

وعنِ الحسَنِ وذَكَرَ النَّبيَّ عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ: «سيكونُ فِي آخرِ الزَّمانِ قومٌ يتكلَّمُونَ فِي صفةِ / الرَّبِّ، ويصفُونَهُ بِما عايَنُوا منَ الخَلْقِ، فعندَ ذلِكَ يُربُّ الأمرُ». [١٠٧]

وعنِ ابنِ عبّاسٍ[٣] أنَّ اليهودَ أعداءَ اللهِ أَتَوا النَّبيَّ ﷺ، فقالُوا: يا محمَّدُ، صِفْ لنا ربَّكَ، وفِي حديثٍ آخرَ: «بِمِثالٍ نعرفُهُ»، فارتَعَدَ النَّبيُّ ﷺ منْ مقالَتِهِمْ، وقالَ: «إنَّ رَبِّي لا يُوصَفُ بِالأَمْثالِ والأَشْباهِ»، فقالُوا: لوْ كُنْتَ نبيًّا لَوَصَفْتَهُ، وقالُوا: هوَ كذا وكذا، فأنزَلَ اللهُ تعالَى تكذيبًا لِقَوْلِهِمْ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١، وغيرها]، يَقُولُ: ما عظَّمُوا اللهَ حقَّ عظمَتِهِ.

وقالَ ابنُ عبّاسٍ[٤]: «مَنْ زعمَ أنَّ لِلهِ خِنْصرًا أوْ بِنْصرًا فقدْ أشرَكَ باللهِ».

وعنِ الحارِثِ الهمدانِيِّ قالَ[٥]: بَلَغَ عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ قومًا منْ أهلِ عسكره نوَّهُوا وشبَّهُوا، فخطَبَ النّاسَ، فحمدَ اللهَ وأثنَى عليهِ ثُمَّ قالَ: «اتَّقُوا هذهِ المارِقةَ، فقالُوا: يا أميرَ المؤمنِينَ، وما المارِقةُ؟ قالَ: قومٌ يشَبِّهُونَ اللهَ بأنفُسِهِمْ، قالُوا: وكيفَ

(١) أي: مثله، ففي تصحيح الفصيح ص٣٣٥: «عدل الشيء -بالكسر- بمنزلة مِثْل الشيء ونظيره». وانظر: إسفار الفصيح ٢/ ٦٩٣.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه عنه الربيع في مسنده ص٣٢٨.

(٤) أخرجه عنه الربيع في مسنده ص٣٢٩.

(٥) أخرجه عنه الربيع في مسنده ص٣١٤-٣١٥.

يُشَبِّهُونَ اللهَ بأنفسِهِمْ؟! قالَ: يُضاهِئُونَ بذلِكَ قولَ الَّذِينَ كفرُوا منْ أهْلِ الكتاب
قالُوا: خلَقَ اللهُ تعالَى آدَمَ علَى صورَتِهِ، تعالَى اللهُ عمّا يقولُونَ، وسُبْحانَهُ عمّا يُشْر
بلْ هوَ اللهُ الواحِدُ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، استخلَصَ بالوَحْدانِيَّةِ والجَبَرُوتِ، وأمْ
المشِيئَةَ والإرادةَ والقُدْرةَ والعِلْمَ بِما هوَ كائِنٌ، لا مُنازِعَ لهُ فِي شيءٍ منْ أمورِهِ
كُفْءَ لهُ يُعادِلُهُ، ولا ضِدَّ لهُ يُنازِعُهُ، وَلا سَمِيَّ لَهُ يُشابِهُهُ، ولا مِثْلَ لهُ يُشاكِلُهُ
يتداوَلُهُ الأمورُ، ولا يُجْرِي عليهِ الأحوالُ، ولا يَنْزِلُ بِهِ الأحداثُ، وهُوَ تعالَى يُ
الأحوالَ، ويُنزِلُ الأَحْداثَ علَى المَخْلُوقِينَ، لا يَبْلُغُ الواصِفُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ،
يَخْطُرُ علَى القلوبِ مَبْلَغُ جَبَرُوتِهِ؛ لأنَّهُ ليسَ لهُ فِي الخَلْقِ شِبْهٌ، ولا فِي الأ
نَظِيرٌ(١)، لا يُدْرِكُهُ العلماءُ بألبابِها، ولا أهْلُ التَّفَكُّرِ بتَدْبِيرِ تفكُّرِها إلّا بالتَّحقيقِ، إ
بالغيبِ؛ لأنَّهُ لا يُوصَفُ بشيءٍ منْ صِفاتِ المَخْلُوقِينَ، وهوَ / الواحِدُ الَّذِي لا كُ [١٠٧ب]
لهُ، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]».

وعنْ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها أنَّها قالَتْ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ(٢):
أَشَدَّ النّاسِ عَذابًا يَوْمَ القِيامةِ قَوْمٌ يُضاهِئُونَ(٣) الرَّبَّ.

فقُلْتُ: بأبِي وأُمّي يا نَبِيَّ اللهِ، كيفَ يُضاهِئُونَ الرَّبَّ؟ قالَ: «يُشَبِّهُونَ اللهَ بأَنْفُسِ
يُضاهِئُونَ بِذَلِكَ قَوْلَ اليَهُودِ حَيثُ زَعمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى صُورةِ آدَمَ».

وعنْ عَطاءٍ عنِ ابنِ عبّاسٍ أنَّ نَجْدةَ الحَرُورِيَّ(٤)

(١) في الأصل: نظر، والصواب المثبت.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٢٢١ - رقم (٥٦١٠) عن عائشة بلفظ: «أَشَدُّ النـ

أتاهُ، فقالَ لَهُ[1]: يا ابْنَ عبّاسٍ، كيفَ معرفَتُكَ بربِّكَ؟ فإنَّ مَنْ قبْلَنا قدِ اختَلَفُ
فقالَ ابنُ عبّاسٍ: أعْرِفُهُ بما وصَفَ بهِ نفْسَهُ منْ غيرِ رُؤْيةٍ، وأصِفُهُ بما وصَفَ
منْ غيرِ شَبَهِ صُورةٍ، لا يُدْرَكُ بالحواسِّ، ولا يُقاسُ بالنّاسِ، معروفٌ بغ
ومُتَدانٍ فِي بُعْدِهِ، لا يُمَثَّلُ بخَلِيقَتِهِ، ولا يَجُورُ فِي قضِيَّتِهِ، فالخَلْقُ إلَى ما عَلِمَ
وعلَى ما سطَرَ فِي المكتُوبِ ماضُونَ، لا يعلمُونَ بخلافِ ما منْهُمْ عَلِمَ،
غيرُ مُلْتَصِقٍ وبعِيدٌ غيرُ مُنْقَضٍ، يُحَقَّقُ وَلا يُمَثَّلُ، ويُوَحَّدُ ولا يُبَعَّضُ، يُعْرَفُ
ويَثْبُتُ بالبَيِّناتِ، قالَ: فقامَ نَجْدةُ مُتَعَجِّبًا مخصُومًا منِ ابنِ عبّاسٍ.

وعنِ الحسَنِ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ قالَ[2]: «ما عَرفَ رَبَّهُ مَنْ شَبَّهَهُ بِخَلْقِ

وَعَنْ عبدِ اللهِ أَنَّهُ قالَ: «مَنْ شَبَّهَ اللهَ بشَيءٍ فقدْ أنكَرَهُ» [4].

وعنْ أبِي مُوسَى الأشعَرِيِّ قالَ[5]: كُنّا معَ رسولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أ

= عليه أصحاب ابن الزبير فقتلوه بالجمار، وقيل: اختلف عليه أصحابه فقتلوه ف
وستين.
انظر في ترجمته: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٧/ ١١، وتاريخ الإسلا
ولسان الميزان ٦/ ١٤٨.

(١) أخرجه الربيع في مسنده ص٣١٦.

(٢) أخرجه الربيع في مسنده ص٣٢١.

(٣) انظر: فتح الباري ٣/ ٣٥٩، وبدائع الفوائد ١/ ١٧٣.

(٤) وفي اعتقاد أهل السنة ٣/ ٥٣٢: «ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كف
وصف الله به نفسَهُ ورسوله تشبيها». وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي

رَجَعْنا سالِمِينَ غانِمِينَ، فَلَمّا أَشْرَفْنا علَى المدِينةِ رفَعْنا أَصْواتَنا بالتَّكبيرِ، فقالَ ﷺ كأَنَّهُ يَأْمُرُ بالخَفْضِ: «إِنَّكُمْ لا تُنادُونَ أَصَمَّ، وَلا تُنادُونَ غائِبًا، إِنَّ الَّذِي تُنادُونَ دُونَ رُؤُوسِ رِكابِكُمْ».

وجاءَ رجُلٌ إِلَى ابنِ مسعودٍ فقالَ لَهُ(١): إِنَّ فِي المسجِدِ رجُلاً يُصَلِّي إِلَى كُلِّ سارِيةٍ ركعَتَينِ، فقالَ: «لَوْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ عندَ أحدِها لَمْ يُجاوِزْها».

[١٠٨أ] ورَوَى هشامُ بنُ عُرْوةَ(٢) عنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كانَ إِذا ذُكِرَتْ لهُ صخْرةُ / بَيْتِ المَقْدِسِ وأَنَّ اللهَ تعالَى صعدَ منْها إِلَى السَّماءِ أَنْكَرَ ذلِكَ، وقالَ(٣): «إِنَّ اللهَ أعظَمُ وأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُوصَفَ بِصِفاتِ المَخْلُوقِينَ، إِنَّ هذا كلامُ اليهُودِ».

وَعَنِ ابْنِ عبّاسٍ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قالَ(٤): «الحَيُّ:

= الرَّجُلُ مِنّا يُكَبِّرُ، قال حَسِبْتُهُ، قال بِأَعْلَى صَوْتِهِ، فقال رسول الله ﷺ: أَيُّها الناس وَجَعَلَ يقول بيده هَكَذا وَوَصَفَ يَزِيدُ كَأَنَّهُ يُشِيرُ، فقال رسول الله ﷺ: أَيُّها الناس إِنَّكُمْ لاَ تُنادُونَ أَصَمَّ وَلاَ غائِبًا إِنَّ الذي تُنادُونَ دُونَ رؤوس رِكابِكُمْ...».

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بلفظ: «أخبرني عطاء بن السائب عن مرة الهمداني قال: كنت أصلي عند كل سارية في المسجد ركعتين، فجاء رجل إلى عبد الله وأنا عنده، فقال: أرأيت رجلا يصلي في هذا المسجد عند كل سارية ركعتين، فقال عبد الله: لو علم هذا أن الله عند أول سارية ما برح حتى يقضي صلاته».

(٢) هو: هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، كنيته أبو المنذر، يروي عن بن الزبير، ورأى جابر بن عبد الله، ويروي عن وهب بن كيسان وجماعة من التابعين، كان حافظا متقنًا ورعًا فاضلًا، مات سنة خمس، أو ست وأربعين ومائة.

انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٢١، والثقات ٥/ ٥٠٢، وتهذيب الكمال ٣٠/ ٢٣٢، وطبقات الحفاظ ص٦٩.

(٣) أخرجه الربيع في مسنده ص٣٣٣.

(٤) ورد في: تنوير المقباس ص٣٦، ٤٢، ومعاني النحاس ١/ ٣٣٨.

الَّذِي لا يَمُوتُ أبدًا، والقَيُّومُ: الدّائِمُ الَّذِي لا يَزُولُ[١]».

وَعَنِ الحَسَنِ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «التَقَى أَرْبَعةُ أَمْلاكٍ مِنْ مَلائِكةِ اللهِ تَعالَى: مَلَكٌ مِنَ السَّماءِ السّابِعةِ، وَمَلَكٌ مِنَ الأَرْضِ السّابِعةِ السُّفْلَى، وَمَلَكٌ مِنَ المَشْرِقِ، وَمَلَكٌ مِنَ المَغْرِبِ، فَتَساءَلُوا بَيْنَهُمْ، كُلٌّ يَقُولُ: جِئْتُ مِنْ عِنْدِ رَبِّي، فَقالُوا: سُبْحانَ مَنْ هُوَ بِكُلِّ مَكانٍ وَلا مَكانَ لَهُ».

وَعَنِ ابْنِ عبّاسٍ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٠] قالَ: «إتْيانُهُ إيّاهُمْ بوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وأنَّ اللهَ يكشِفُ لهُمْ منْ أمرِهِ ما كانَ مَسْتُورًا عنْهُمْ قبلَ ذلِكَ، واللهِ مَعَهُمْ علَى كُلِّ حالٍ، وفِي كُلِّ مكانٍ، فَهُمْ يَرَونَ مِنْ أهوالِ الغمامِ وغيرِهِ، ومِنَ الملائِكةِ وما شاءَ اللهُ منْ خلْقِهِ».

وَقالَ الحَسَنُ فِي قولِهِ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] قالَ[٢]: يَعْنِي: «وَجاءَ أمْرُ ربِّكَ»، يَعْنِي الأحكامَ بالثَّوابِ والعقابِ.

وَعَنِ الضَّحّاكِ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] قالَ[٣]: إذا نزَلَ أهلُ السَّماواتِ يومَ القيامةِ كانُوا سبعةَ صُفُوفٍ مُحِيطِينَ بالأرضِ

(١) قال ابن تيمية: «ولو قد صحت روايتك عن ابن عباس أنه قال: القيوم الذي لا يزول لم نستنكره وكان معناه مفهومًا واضحًا عند العلماء وعند أهل البصر بالعربية أن معنى لا يزول: لا يفنى، ولا يبيد، لا أنه لا يتحرك، ولا يزول من مكان الى مكان اذا شاء» درء التعارض ٢/ ٧٢.

(٢) انظر قوله في: الكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ٢٠١، والتفسير البسيط ٢٣/ ٥٢٠، وأردفه بقوله: «فيكون هذا من باب حذف المضاف، ونحو هذا روي عن الكلبي: وجاء أمر ربك».

(٣) ورد قوله في: تفسير الطبري ٢٧/ ١٣٧، والرد على الجهمية للدارمي ص٨٩، والدر المنثور ٧/ ٢٨٦.

ومَنْ فيها. ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ [الفجر: ٢٣]، ولَمْ يذكُر اللهَ تعالَى لاستغنائِهِ عنْ ذِكْرِهِ فِي المجيءِ؛ لِيُعْلِمَهُ أنَّ ذلِكَ لا يقَعُ فِي وَهْمِ مُسْلِمٍ، تعالَى الله عنْ ذلِكَ عُلُوًّا كبيرًا».

وقدْ أجمَعَ أهْلُ التَّأويلِ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل: ٢٦]، ﴿ فَأَتَىٰهُمُ (١) ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾ [الحشر: ٢] علَى أنَّهُ: أتاهُمْ أمْرٌ منْ أمْرِهِ(٢).

وعنِ ابنِ عبّاسٍ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] قالَ: «ليسَ كمثلِهِ ذَكَرٌ ولا أُنْثَى، ولا هوَ كشيءٍ منَ الأشياءِ؛ لأنَّهُ خالِقُها تبارَكَ وَتعالَى».

[١٠٨ب] وَعَنْ عبّادِ بنِ تَمِيمٍ(٣) عنْ عمِّهِ(٤) قالَ(٥): رأيتُ النَّبيَّ ﷺ / مُسْتَلْقِيًا فِي المسجدِ، واضِعًا إحدَى قدَمَيهِ علَى الأُخْرَى، وأنَّهُ قدْ كانَ يفعَلُ ذلِكَ أبُو بكرٍ وعُمرُ(٦).

(١) في الأصل: وأتاهم، والصواب المثبت.

(٢) انظر: التفسير البسيط ١٣/ ٤٦، ٢١/ ٣٦٦، وأبكار الأفكار ٢/ ٤٧، والمفردات ص٨، ودرء التعارض ٢/ ٦٧، وأساس التقديس في علم الكلام ص٨٦.

(٣) هو: عبّاد بن تميم بن غزية الأنصاري المازني المدني، روى عن عمه عبد الله بن زيد بن عاصم المازني، وهو أخو تميم لأمه، قال محمد بن إسحاق والنسائي: ثقة.
انظر في ترجمته: الثقات ٥/ ١٤١، وتهذيب الكمال ١٤/ ١٠٨، والكاشف ١/ ٥٢٩، والإصابة ٣/ ٦١٢.

(٤) عبد الله بن زَيْدٍ.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٨٠-حديث رقم (٤٦٣)، ومسلم في صحيحه ٣/ ١٦٦٢-حديث رقم (٢١٠٠).

(٦) قال الخطابي: «فيه بيانُ جواز هذا الفعل ودلالة أن خبر النهي عنه إما منسوخ، وإما أن تكون علة النهي عنه أن تبدو عورة الفاعل لذلك، فإن الإزار ربما ضاق فإذا شال لابسه إحدى رجليه فوق الأخرى بقيت هناك فرجة تظهر منها عورة» أعلام الحديث ١/ ٤٠٩.

وَعَنْ عبدِ الملكِ أنَّ رجُلًا جلَسَ عندَ بعضِ الفقهاءِ فوضَعَ إحدَى رِجْلَيهِ علَى الأُخْرَى، فقالَ لَهُ: لا تَفعَلْ؛ فإنَّها لا تصلُحُ لبَشَرٍ[1]، فبلَغَ ذلِكَ الحسَنَ فقالَ: إنَّما هذا شيءٌ كانَتِ اليهودُ تقولُهُ، فلمّا جاءَ المسلمُونَ أنكَرُوا ذلِكَ.

فهذِهِ الأحادِيثُ الصَّحيحةُ ومِثْلُها ممّا فيهِ شِفاءٌ لِلصُّدُورِ كَثِيرٌ، وإنَّما اقتصرْتُ علَى هذِهِ كراهةَ لإطالةِ الكتابِ، فلوْ أنَّ هؤلاءِ الجُهّالَ اتَّهمُوا أنفسَهُمْ فيما لا يعلمُونَ فسألُوا عنْهُ العلماءَ ورَدُّوا ذلِكَ إليهِم، وامتَنَعُوا منَ الإجابةِ فيما لا يعلمُونَ لكانُوا قدْ تأدَّبُوا بأدَبِ اللهِ تعالَى وبأدَبِ رسولِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، فإنَّ اللهَ تعالَى يقولُ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ورُوِيَ عنِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ وَعَنْ أصحابِهِ الأئمّةِ فِي طلَبِ العِلْمِ ما يَجِبُ علَى كلِّ ذِي لُبٍّ التِماسُهُ؛ فمِنْها:

ما رُوِيَ عنْ أنسٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ[2]: «العِلْمُ ضالّةُ المُؤْمِنِ، مَنْ وَجَدَهُ أَخَذَهُ».

ورَوَى مَكْحُولٌ عنْ عَلِيِّ بنِ أبِي طالبٍ، وأبُو طلْحةَ الأنصارِيُّ عنْ أنسِ بنِ مالكٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ[3]: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمةٍ».

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه السخاوي في المقاصد الحسنة ص٣١٠، وقال فيه: «وقد رواه العسكري من حديث عنبسة بن عبد الرحمن عن شبيب بن بشير عن أنس رفعه»، والعجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٨٩، وأردفه بقوله: «رواه ابن عساكر». والسيوطي في جمع الجوامع المعروف بـ«الجامع الكبير» ٤/ ٥٦، وأردفه بقوله: «العسكرى في الأمثال عن أنس، وسنده ضعيف»، وللحديث أطراف أخرى.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ١/ ٨١، والبزار في مسنده ١/ ١٧٢، وأبو يعلى في مسنده =

وَعَنْ أَبِي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ [١]: «إذا أَرادَ اللهُ بعَبْدٍ خَيْرًا فَقَّهَ
الدِّينِ».

وَعَنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قالَ[٢]: دخلْتُ علَى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: «يـ
مَسْعُودٍ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: أَتَدْرِي أَيُّ النّاسِ أَفْضَلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَ
أَعْلَمُ، حَتَّى قالَها ثَلاثًا، قالَ: أَفْضَلُهُمْ عَمَلًا إذا فَقِهُوا فِي دِينِهِمْ، ثُمَّ قالَ: يـ
مَسْعُودٍ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: أَتَدْرِي أَيُّ النّاسِ أَعْلَمُ؟ حَتَّى قالَها
قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: فَإِنَّ أَعْلَمَهُمْ أَبْصَرُهُمْ بِالحَقِّ إذا اخْتَلَفَ النّاسُ

وَعَنِ ابْنِ عبّاسٍ عنِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُ قالَ[٣]: «قالَ المَسِيحُ: يا بَنِي إِسْـ
/ لا تَتَكَلَّمُوا بِالحِكْمَةِ عِنْدَ الجُهّالِ فَتَظْلِمُوها[٤]، وَلا تَمْنَعُوها أَهْلَها فَتَظْلِمُو [١٠٨]
وَلا تَظْلِمُوا، وَلا تُكافِئُوا ظالِمًا فَيَبْطُلَ فَضْلُكُمْ عِنْدَ رَبِّكُم، يا بَنِي إِسْرائِيلَ، الـ
ثَلاثَةٌ: أَمْرٌ قَدْ بانَ رُشْدُهُ فاتَّبِعُوهُ، وَأَمْرٌ بَيِّنٌ غَيُّهُ فاجْتَنِبُوهُ، وَأَمْرٌ اُخْتُلِفَ فِيهِ فَـ
إِلَى اللهِ».

= ٧/ ٩٦، والطبراني في مسند الشاميين ٣/ ٢٠٢، والمعجم الكبير ١٠/ ١٩٥، والبيهق
شعب الإيمان ٢/ ٢٥٤، ولفظ «مسلمة» لم يرد في مصادر تخريجه.

(١) أخرجه أبو يعلى بسنده عن أبي هريرة في مسنده ١٠/ ٢٣٨، والهيثمي في معجم ال
١/ ١٢١، وأردفه بقوله: «رواه الطبراني في الصغير ورجاله رجال الصحيح».

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٢٢، والترمذي في نوادر الأصول ١/ ٨٦، والص
في المعجم الكبير ١٠/ ٢٢٠، والأوسط ٤/ ٣٧٦، وابن أبي شيبة في مسنده ١/
والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٦٩.

وَعَنْ أَبِي الدَّرداءِ أَنَّهُ قالَ[1]: «العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، والحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَ
يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ».

وَعَنْ عليٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ قالَ[2]: «لا يَسْتَحِي مَنْ لا يَعْلَمُ أَنْ يَ
يَسْتَحِي مَنْ لا يَعْلَمُ إذا سُئِلَ عَمّا لا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لا أَعْلَمُ».

وَعَنْهُ رَضِيَ الله عَنْهُ أَنَّهُ قالَ[3]: «وَأَبْرَدُها عَلَى الكَبِدِ إِنْ سُئِلَ الرَّجُلُ
لا يَعْلَمُهُ فَيَقُولُ: الله أَعْلَمُ»، وَلَكِنِ ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو
ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [المجادلة: ١٩].. الآية.

فأمّا قولُ اللهِ تعالَى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧
بذلِكَ: كُرْسِيُّهُ الَّذِي وَسِعَ السَّماواتِ والأرضَ[4]، وليسَ ينبَغِي لِذِي عقْ
أَنَّ اللهَ تعالَى قاعِدٌ عَلَى كُرْسِيِّهِ، يَحْمِلُهُ[5] ثَمانيةُ ملائكةٍ، ألا تراهُ جَلَّ وعَ

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٩٨، والمدخل إلى السنن الكبرى
وابن أبي الدنيا في الحلم ص١٧، وابن السري في الزهد ٢/ ٦٠٥، وأبو نعي
٥/ ١٧٤، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٠/ ١٠٤، والعجلوني في كش
١/ ٢٤٩، وأردفه بقوله: «رواه البيهقي عن أبي الدرداء موقوفًا».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ١٠١، والبيهقي في المدخل إلى الس
١/ ٤٣١، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ص٥٦، وابن عساكر في ت
٤٢/ ٥١٠، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ص٩١، والمتقي الهن
العمال ١٦/ ١٠٠.

(٣) أخرجه البيهقي في المدخل ١/ ٤٣٠، والدارمي في سننه ١/ ٧٤، والخطيب ا
الفقيه والمتفقه ٢/ ٣٦٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٠/ ١٣٤، ١٣٧

«وَيَحْمِلُ رَبَّكَ فَوْقَهُمْ يَومَئِذٍ ثَمانِيةٌ»؛ إذْ لا يجوزُ فِي فِطْرةِ العقُولِ أنْ يكونَ خالقُ الأشياءِ لا مِنْ شيءٍ مَحْدُودًا ولا مَوصُوفًا، بأنْ يُحْمَلَ أوْ بأنْ يَسْتَعِينَ بشيءٍ، أوْ يَحْوِيهِ شيءٌ، أوْ يزُولَ منْ مكانٍ إلَى مكانٍ؛ إذْ كانَ مُحِيطًا بالأشياءِ، لا يخلُو منْهُ مكانٌ، تعالَى اللهُ عمّا يقولُ المُفْتَرُونَ(١).

وتأويلُ ذلِكَ واللهُ أعلَمُ أنَّهُ جَلَّ وتقدَّسَ خلَقَ عرشَهُ وسِعَ السَّماواتِ والأرضَ؛ لِيَدُلَّ خَلْقُهُ علَى عِظَمِ شأنِهِ، وسَعةِ قُدْرَتِهِ بأنْ خلَقَ شيئًا وسِعَ السَّماواتِ والأرَضِينَ، وأوْفَى عِلْمُها علَى عظَمَتِها، وقدْ رُوِيَ عنِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي صفةِ عِظَمِ خلْقِ السَّماواتِ والأرَضِينَ والعَرْشِ ما يدُلُّ أنَّهُ أرادَ عَلَيْهِ السَّلامُ تعريفَ أُمَّتِهِ عِظَمَ شأْنِ اللهِ وسعةَ / قُدْرَتِهِ(٢). [١٠٩/ب]

وعنْ أبِي ذَرٍّ عنِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ أنَّهُ قالَ(٣): «ما بَيْنَ السَّماءِ إلَى الأَرْضِ مَسِيرةُ خَمْسِمائةِ عامٍ، وَغِلَظُ كُلِّ سَماءٍ مَسِيرةُ خَمْسِمائةِ عامٍ، وَما بَينَ كُلِّ سَماءٍ وَسَماءٍ مَسِيرةُ خَمْسِمائةِ عامٍ، والعَرْشُ مِثْلُ جَمِيعِ ذَلِكَ».

فهذا مَعْنًى واحِدٌ مِمّا خلَقَ اللهُ تعالَى لهُ العرْشَ.

(١) انظر: أساس التقديس ص١١٨.

(٢) كما في العرش لابن أبي شيبة العبسي ص٧٧: «عن أبي ذر الغفاري قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت رسول الله ﷺ وحده فجلست إليه، فقلت: يا رسول الله: أيما آيه أنزلت عليك أفضل؟ قال: آية الكرسي، ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة». قال البيهقي: «تَفَرَّدَ بِهِ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ السَّعْدِيُّ، وَلَهُ شاهِدٌ بِإِسْنادٍ أَصَحَّ» الأسماء والصفات ٢/ ٢٩٩.

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٧٩، وأخرجه البيهقي عن ابن مسعود في الأسماء والصفات ٢/ ٢٩١، والطبراني عن أبي هريرة في مسند الشاميين ٤/ ٣٥. وانظر روايته في: فتح الباري ١٣/ ٤١٣.

ومعنًى آخَرُ: أنَّهُ خلَقَ ذلِكَ لِيَبْتَلِيَ بِهِ عبادَهُ طوائِفَ منْ ملائِكَتِهِ، ويَمْتَحِنَ بِهِ طاعَتَهُمْ، فجعلَ بعضَهُمْ يحمِلُ ذلِكَ العرشَ علَى عِظَمِهِ، وبعضَهُمْ يطوفُ حَوْلَهُ علَى بُعْدِ أقطارِهِ وتراخِي أطرافِهِ، كما استَعْبَدَ طائفةً منهُمْ بالطَّوافِ حَوْلَ بيتِهِ الَّذِي جَعَلَهُ فِي السَّماءِ مُحاذِيًا للكعبةِ، وكما استعْبَدَ طائفةً منهُمْ بِالسُّجُودِ لآدَمَ.

وَمَعْنًى ثالِثٌ: أنَّهُ جَعَلَ أَعْمالَ المُؤمنِينَ تُكْتَبُ فِي قَوائِمِهِ؛ لِيُعَرِّفَهُمْ فَضْلَ نِعْمَتِهِ عليهُمْ بِرَفْعِهِ أعمالَهُمُ الصّالحةَ إليهِ تَكْرِمةً لَهُمْ، وذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقولُهُ تعالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] وهِيَ قوائِمُ العرْشِ(١).

ورُوِيَ ذلِكَ فِي التَّفسيرِ عنِ ابنِ عبّاسٍ وأُبَيِّ بنْ كعْبٍ؛ فأمّا قتادةُ فقالَ(٢): «تُكْتَبُ أَعْمالُ الأَبْرارِ فِي قائمةِ العَرْشِ اليُمْنَى، كما جَعَلَ أَعْمالَ الفُجّارِ فِي صخرةٍ تحتَ الأرضِ وهِيَ سِجِّينٌ احتِقارًا لَهُمْ وإِهانةً لأعمالِهِمْ، وهوَ قولُ اللهِ تعالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩٧] أيْ: مكتُوبٌ، وقولُهُ تعالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ١٨-٢٠].

وإنَّما أَلْقَى هؤلاءِ الجُهّالَ بِقَدْرِ اللهِ تعالَى وبتأويلِ القرآنِ ومعرفةِ كلامِ العرَبِ فِي الحَيْرةِ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] فقالُوا: لَمْ يُضِفْهُ إِلَى نفسِهِ إلّا بجلُوسِهِ عليهِ، ولَمْ يعلمُوا لِجَهْلِهِمْ أنَّ الخلْقَ يُضافُ إِلَى اللهِ تعالَى لأنَّهُ لهُ منْ غيرِ حاجةٍ بهِ تعالَى إِلَى شيءٍ منْهُ، وأنَّهُ ليسَ بينَ عرشِ اللهِ

(١) هو قول قتادة كما سيأتي.

(٢) انظر قوله في: العرش ص٧٦، وتفسير الطبري ٣٠/ ١٠٢، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٦٠، ومفاتيح الغيب ٣١/ ٨٨، والدر المنثور ٨/ ٤٤٨.

[١١٠] وبيتِ اللهِ فَرْقٌ/ ؛ إذْ يقولُ تعالَى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّ
وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] فكَما جعلَ بيتًا ليسَ يَسْكُنُهُ، فكذَلِكَ
عرشًا ليسَ يقعدُ عليهِ، وقدْ قالَ تعالَى: ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: ٥٦] فما
بينَ عرشِ اللهِ وبيتِ اللهِ وأرضِ اللهِ؟، فقدْ جمَعَ اللهُ تعالَى العرشَ والسَّم
والأرضَ فِي معنًى واحدٍ، فقالَ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْ
يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: ٨٢]، أَفَلا يتفكَّرُ هؤلاءِ الجُهّالُ فِي عظمةِ اللهِ تعالَى فَيَقْدُ
قَدْرَهُ، ويُنَزِّهُونَهُ عنِ الشَّبَهِ بخلْقِهِ؛ فإنَّهُ جلَّ وعزَّ يَقُولُ إنكارًا علَى مَنْ قالَ
قَوْلِهِمْ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١].

ورُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ أنَّهُ قالَ: تأويلُهُمْ حيثُ وصفُوا ربَّهُمْ بالصُّوَرِ(١)، ﴿
بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، ﴿وَلَكُمُ (٢)ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [ا
١٨].

اليَـد[1]

وممّا تأوَّلُوهُ علَى ظاهِرِ الآيةِ وجَهِلُوا معناهُ قولُ اللهِ تعالَى: ﴿وَقَالَ
ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [
﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] و: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [ا
وأشْباهُ ذلِكَ[2]، وأنا مُفَسِّرٌ كُلَّ ذلِكَ، وباللهِ القُوّةُ.

اليَدُ: يدُ الإنسانِ ذاتُ الأصابِعِ[3].

واليَدُ: النّعمُ والإحْسانُ[4]؛ ومنْهُ قولُ الأعشَى يمدَحُ النَّبيَّ [5] عَلَيْهِ
مَتَى ما تُناخِي عِنْدَ بابِ ابْنِ هاشِمٍ تُرِيحِي وَتَلْقَـيْ مِـنْ فَواضِ

واليَدُ: الصَّنِيعةُ يصنَعُها الإنسانُ إلَى صاحِبِهِ.

(١) تحر في تفصيل الحديث عنه: الأشباه والنظائر في القرآن ص٣٢١، ومختـ
في اللغة ص١٠٨، وتصحيح الوجوه والنظائر ص٥٠٨، والصحاح ٦/ ٥٤١
والنظائر للدمغاني ٢/ ٣٢٧، والغريبين ٦/ ٢٠٤٩، والمفردات ص٥٥٠، وعـ
في تفسير أشرف الألفاظ ٤/ ٣٥١.

(٢) في أبكار الأفكار ١/ ٤٥٣: «ذهبت المشبهة إلى أنهما بمعنى الجارحتين».

واليَدُ: القُوّةُ والطّاقةُ؛ ومنْهُ قولُهُمْ: ما لِي بهذا الأمرِ يَدٌ، أيْ: قُوّةٌ[١].

واليَدُ: السُّلطانُ[٢].

واليَدُ: المِلْكُ؛ ومنْهُ قولُهُمْ: هذا الشَّيءُ لِي وَفِي يدِي، أيْ: فِي مِلْكِي[٣]، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ تعالَى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أيْ: يَمْلِكُ ذلِكَ[٤].

واليَدُ: القُدرةُ والفِعْلُ[٥].

واليَدُ: العَونُ، ومنْهُ قولُهُمْ: أنا يَدُكَ علَى فلانٍ، أيْ: أمنَعُهُ عنْكَ، وبَنُو فلانٍ يدٌ واحدةٌ، أيْ: بعضُهُمْ معَ بعضٍ يتعاونُونَ، ومنْهُ حديثُ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ[٦]: «المُسْلِمُونَ تَتكافَؤُ دِماؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْناهُمْ، / وهُمْ يدٌ علَى مَنْ سِواهُمْ». [١١٠/ب]

واليَدُ: ابتداءُ العَمَلِ، ومنْهُ قولُهُمْ: وضَعْتُ يدِي فِي عَمَلِ كذا، أيْ: بدأْتُ فيهِ، وَمِنْهُ قولُ لبيدٍ يصِفُ مَغِيبَ الشَّمسِ حينَ بدأَتْ فِي ذلِكَ[٧]:

(١) انظر: تفسير القرطبي ٦/ ٢٣٩، والنهاية لابن الأثير ٥/ ٢٩٥، وشرح النووي على مسلم ١٨/ ٦٨.

(٢) انظر: عمدة الحفاظ ٤/ ٣٥٣.

(٣) انظر: الصحاح ٦/ ٢٥٤١، والمحرر الوجيز ٢/ ٢٥٢.

(٤) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص٣٢٤، وإبطال التأويلات صص ٤٥٤، وشمس العلوم ١١/ ٧٣٤٤.

(٥) انظر: الوجوه والنظائر للدمغاني ٢/ ٣٢٧، وعمدة الحفاظ ٤/ ٣٥٢.

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/ ٨٩٥، والنسائي في سننه الكبرى ٤/ ٢١٧، الحاكم في المستدرك ٢/ ١٥٣، وأحمد في مسنده ١/ ١١٩، والطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٣٠٥.

(٧) من الكامل، للبيد في ديوانه ص٣١٦، والزاهر لابن الأنباري ١/ ١١٩، وشمس العلوم =

حَتَّـى إذا أَلْقَـتْ يَـدًا فِـي كافِرٍ وَأَجَنَّ عَـوْراتِ الثُّغُـورِ ظَلامُها

والكافِرُ: اللَّيلُ [١]، أيْ: بدَأَتْ فِي المَغِيبِ[٢].

فَمَعْنَى قَوْلِ اليَهُودِ لعَنَهُمُ الله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، أيْ: نِعْمةُ اللهِ مقبوضةٌ عَنّا[٣]؛ وذلِكَ أنَّ المطَرَ كانَ تأخَّرَ عنْهُمْ وأصابَهُمْ قَحْطٌ فَقالُوا ذلِكَ[٤].

وَتِبْيانُ ذلِكَ فيما رُوِيَ عنِ ابْنِ عبّاسٍ قالَ: قالَ رجُلٌ منَ اليَهُودِ: إنَّ اللهَ كانَ يُوَسِّعُ علينا وَيُعْطِينا وقدْ أمْسَكَ يدَهُ عنّا فحبَسَ عنّا نِعَمَهُ؛ فأنزَلَ اللهُ تعالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] أيْ: محبُوسةٌ بالنَّفَقةِ والخيرِ عنّا[٥]، فأجابَهُمُ اللهُ تعالَى بقولِهِ: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] أيْ: حُبِسَتْ عنِ الإنفاقِ وضُرِبُوا بالبُخْلِ،

= ٩/ ٥٨٦٢.

وألقت: أي الشمس، وكافر: ليل ساتر، وعورات الثغور: مواضع المخافة منها.

(١) قال ابن السكيت: «قيل لليل كافر؛ لأنه ستر بظلمته» إصلاح المنطق ص١٢٧. وانظر: الإبانة في اللغة ٤/ ١٠٤، والمقاييس ٥/ ١٩١.

(٢) في التاج «ي دي»: «... فجعلَ للشمسِ يَدًا إلَى المَغِيبِ».

(٣) انظر: معاني الأخفش ١/ ٢٨٤، والتفسير البسيط ٧/ ٤٥٢.

وفي الإيضاح في أصول الدين ص٢٨٤: «وذهبت المعتزلة وطائفة من الأشاعرة إلى أن المراد باليدين: النعمتين. وذهبت طائفة من الأشاعرة إلى أن المراد باليدين هاهنا: القدرة».

وانظر: أصول الدين للبغدادي ص١١٠-١١٢، وشرح الأصول الخمسة ص٢٢٨-٢٢٩، وأساس التقديس ص١٦١.

وقال ابن قتيبة: «لا يريد أن يكون أراد في هذا الموضع النعمة؛ لأنه قال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، والنعم لا تغلُّ.. ثم قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، ولا يجوز أن يريد بل يداه مبسوطتان» الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص٤٠.

(٤) انظر: زاد المسير ٢/ ٣٩٢.

(٥) انظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص٤٢.

وهيَ كلمةٌ تدعُو بها العربُ وتقولُها للمُمْسِكِ[١]، ومنْ ذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩]، أيْ: لا تُسْرِفْ، ويُقالُ للواسِعِ الكَفِّ: هُوَ مبسُوطُ الكفِّ.

وَلِـ﴿ مَغْلُولَةٌ ﴾ ثلاثةُ معانٍ[٢]: يكونُ مغلولةٌ علَى معنَى مقبوضةٍ، منْ غللْتُ الرَّجُلَ بالغُلِّ؛ إذا قَبَضْتُ يَدَهُ.

ومعنَى مغلولةٍ: مقبوضةٌ، منَ الغلُولِ فِي الغَنِيمةِ؛ وهوَ أنْ يأخُذَ الغانِمُ منْها فَيَنْقُصَها قبلَ أنْ يأتِيَ بِها الإمامَ[٣].

ويكونَ أيضًا منْ قولِهِمْ: بَعِيرٌ مغلولٌ، إذا لمْ يستوفِ رِيَّهُ[٤].

وَيكُونُ مغلولةٌ، أيْ: ليسَتْ نَقِيّةً مستوِيةً، منْ قولِهِمْ: إهابٌ مغلولٌ؛ إذا لمْ يُحْسَنْ سَلْخُهُ فجاءَ مُتَقَطِّعًا وفيهِ بقايا منَ اللَّحْمِ لمْ يُحْسَنْ تنظيفُهُ[٥].

ومعنَى قولِهِ تعالَى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، أيْ: نِعْمَتُهُ وقدرتُهُ، أيْ: نعمتُهُ سابغةٌ واسعةٌ، وقُدْرَتُهُ تامّةٌ مُتَّصِلَةٌ[٦].

(١) قال ابن قتيبة: «لو أراد اليد بعينها لم يكن في الأرض يهودي غير مغلول اليد» الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص٤٠.

(٢) انظر: معاني النحاس ٢/ ٣٣٤، والنكت والعيون ٢/ ٥١، والتفسير البسيط ٧/ ٤٥٢، والمفردات ص٣٦٣.

(٣) انظر: النظم المستعذب ١/ ٤٤، والكليات ص١٥٢.

(٤) في الصحاح ٥/ ١٧٨٤: «وغَلَّ البعير أيضًا؛ إذا لم يقض رِيَّه».

(٥) في ديوان الأدب ٣/ ١٦٣: «وأغَلَّ في الإهاب: إذا سَلَخَ فَتَرَكَ في الإهاب من اللَّحْم شيئًا».

(٦) انظر: النكت والعيون ٢/ ٥١، وأبكار الأفكار ١/ ٤٥٣.

وقولِهِ تعالَى: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٢٧] أيْ: لوْ وسَّعَهُ عليهِمْ(١).

ومعنَى قولِهِ تعالَى: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] أيْ: يُعْطِي(٢)، وكلُّ ما نالَهُ الإنسانُ مِنْ مالِهِ أوْ غيرِهِ فقدْ أنفَقَهُ. / [٢٠١١]

ومعنَى قولِهِ تعالَى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، أيْ: بنعمَتِي وقُدْرَتِي(٣)؛ لأنَّ خلقتَهُ تعالَى لآدَمَ نِعْمةٌ عليهِ وعلَى ولدِهِ، فخلَقَهُ بقُدْرَتِهِ إنعامًا عليهِ وعلَى ولَدِهِ.

ويكونُ معنَى قولِهِ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، أيْ: لِما تَوَلَّيتُ خَلْقَهُ، ويقالُ للرَّجُلِ إذا فعَلَ فِعْلًا تَوَلّاهُ بنفسِهِ: هذا ما كسَبَتْ يداكَ(٤)، وقدْ جاءَ التَّفسِيرُ بالمعنَيَينِ جميعًا.

ورُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، يقولُ: لِما خَلَقْتُهُ أنا بأَمْرِي(٥)، وتأوَّلَ بقولِهِ تعالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

(١) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١٠/ ٦٥٩٢.

(٢) انظر: النكت والعيون ٢/ ٥٢، والهداية لمكي ٣/ ١٨٠٠.

(٣) في المواقف للإيجي ٣/ ١٤٥: «... وقالت المعتزلة: بل عن القادرية بناء على أصلهم وبعضم عن النعمة». وانظر: النكت والعيون ٥/ ١١١، ومشكل الحديث وبيانه ص٤٣٣، وأبكار الأفكار ١/ ٤٥٣ - ٤٥٤، ورد مذهبهم الآمدي فيه.

(٤) قال الزجاج: «.. لأن اليَدَيْن الأصلُ في التصرف فجعلتا مثلاً لجميع ما عُمِلَ بغيرِهما» معاني القرآن ٢/ ٣٢٥.

(٥) الذي في تنوير المقباس ص٣٨٤: «صورت بيدى».

ورُوِيَ عنهُ أيضًا فِي قولِهِ تعالَى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١] أيْ: بأيادِي عندَهُمْ وَنِعَمِي عليهِمْ خلقتُ لهُمْ أنعامًا(١).

ورُوِيَ عنْ مجاهدٍ عنْ أبيهِ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ يقولُ: ممّا عَملْنا وتولَّيناهُ(٢).

وأمّا قولُهُ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فمعناهُ واللهُ أعلَمُ: مِنّةُ اللهِ وإحْسانُهُ إليهِمْ بذَلِكَ فَوْقَ ما يَمُنُّونَ بِهِ عَلَيْكَ، ألا ترَى إلَى قولِهِ تعالَى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾ [الحجرات: ١٧] الآية(٣).

ويُبَيِّنُ ذلِكَ ما رُوِيَ عنِ الحسَنِ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ قالَ: «يَدُ اللهِ بالنِّعمةِ عليهِمْ أنْ هداهُمْ للإيمانِ أفضلُ منْ قَوْلِهِمْ»(٤).

فهذا تأويلُ يَدِ اللهِ الصَّحِيحُ اللّائِقُ بصفةِ اللهِ تعالَى الَّذِي جاءَ بِهِ التَّفْسِيرُ عنْ أَئِمّةِ المسلِمِينَ العُلماءِ بالتَّأويلِ.

والمُشَبِّهةُ تذهبُ إلَى أنَّها اليدُ المَحْدُودةُ ذاتُ الأصابِعِ(٥)، جهلاً بِقَدْرِ اللهِ تعالَى عمّا يقولُونَ وقِلّةَ علْمٍ بالتَّأويلِ وغَباوةً عنْ كلامِ العربِ، ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

(١) الذي في تنوير المقباس ص٣٧٣: «مما خلقنا لهم بقدرتنا بكن فكان».

(٢) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص٣٢٣.

(٣) انظر: معاني الزجاج ٥/ ٢٢، والتفسير البسيط ٢٠/ ٢٩١، والهداية إلى بلوغ النهاية ١١/ ٦٩٤٤.

(٤) انظر: زاد المسير ٤/ ١٣٠، والهداية إلى بلوغ النهاية ١١/ ٦٩٤٤.

(٥) انظر: إبطال التأويلات ١/ ١٦٩، ١٧٢، ٣٤٤، والإبانة للأشعري ص١٣٣، ١٣٧، ومقالات الإسلاميين ١/ ٢١١.

[اليَمِينُ][1]

وأمّا «اليَمِينُ» فلَها وجُوهٌ أُخْبِرْتُها، وتأويلَ يمينِ اللهِ تعالَى أشرَحُ إنْ شاءَ الله تعالَى وبهِ القُوّةُ[2]، فاليمينُ: أختُ الشّمالِ.

واليمينُ: القدرةُ[3]، ومنهُ قولُ الشَّمّاخِ[4]:

إذا مـا رايـةٌ رُفِعَـتْ لِمَجْـدٍ تَلَقّاهـا عَرابـةُ بِاليَمِيـنِ[5]

(١) تحر في تفصيل الحديث عنه: مختصر الوجوه في اللغة ص١٠٩، وتصحيح الوجوه والنظائر ص٥١١، والوجوه والنظائر للدمغاني ٢/ ٣٢٥، والغريبين ٦/ ٢٠٤٩، والإبانة في اللغة ٤/ ٦٤٦، والمفردات ص٥٥٢، ونزهة الأعين النواظر ص٦٤١، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٤/ ٣٥٨.

(٢) قال ابن الجوزي: «ومنه قوله تعالى في (الصافات): ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾، وفي الحاقة: ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾» نزهة الأعين النواظر ص٦٤٢.

(٣) ومنه قوله عزوجل: ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾، أي: بقدرته.
انظر: تصحيح الوجوه والنظائر ص٥١١، والوجوه والنظائر للدمغاني ٢/ ٣٢٥.

(٤) هو: الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبيانيّ الغطفانيّ، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة، كان أرجز الناس على البديهة.
انظر في ترجمته: طبقات فحول الشعراء ١/ ١٢٣، والأغاني ٩/ ١٨٤، والأعلام ٣/ ١٧٥.

(٥) من الوافر في ديوانه ص٣٣٦، والجمهرة ١/ ٣١٩، وثمار القلوب ص٢١٩. ونُسب خطأ للحطيئة في: الصحاح ١/ ١٨٠، والتكملة للصغاني ١/ ٢٠٨. وعرابه هو: عرابة الأوسي. قال ابن الأنباري تلو البيت: «معناه: بالقوة» الزاهر ٢/ ٨٨. وانظر: الخصائص لابن جني ٣/ ٢٤٩.

[١١٦/ب] / واليمينُ: المنزِلةُ الحسنةُ[١]، يقالُ: فلانٌ عندَ فلانٍ باليمينِ، أيْ: بالمنزِلةِ الحسنةِ المرتفعةِ، وفلانٌ عندَهُ بالشّمالِ، أيْ: بالمنزِلةِ الخَسِيسةِ، ومنهُ قولُ ابنُ الدُّمَينةِ[٢]:

أَبِينِـي، أَفِي يُمْنَى يَدَيـكِ جَعَلْتِنِي ... لَكِ الخَيرُ، أَمْ صَيَّرْتِنِي فِي شِمالِكِ[٣]

وَيُرْوَى[٤]:

..... جَعَلْتِنِـي ... فَأَفْـرَحَ

واليمِينُ: الحَلِفُ باللهِ تعالَى[٥]، ومنْهُ قولُهُ تعالَى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٩]، ومنْهُ قولُ امرئِ القيسِ[٦]:

(١) انظر: مختصر الوجوه في اللغة ص١٠٩، ودرة الغواص ص٥٧.

(٢) هو: عبد الله بن عبيد الله بن أحمد، من بني عامر بن تيم الله، من شعراء العصر الأموي، والدمينة أمه: شاعر بدوي، من أرق الناس شعرا، أكثر شعره الغزل والنسيب والفخر، كان العباس بن الأحنف يطرب ويترنح لشعره، اغتاله مصعب بن عمرو السلولي، وهو عائد من الحج.

انظر: في ترجمته: الأغاني ١٧/ ٩٨، والأعلام ٤/ ١٠٢، ومقدمة ثعلب لديوانه.

(٣) من الطويل، في ديوانه صنعة ثعلب ص١٧، والإبانة في اللغة ٢/ ٢٥، ودلائل الإعجاز ص٩٠، ومعاهد التنصيص ١/ ١٥٩.

(٤) وهي رواية الديوان، ومظان تخريجه السابقة.

(٥) قال الراغب الأصفهاني: «اليمين في الحلف مستعار من اليد اعتبار بما يفعله المعاهد والمحالف وغيره» المفردات ص٥٥٣. وانظر: الإبانة في اللغة ٤/ ٦٤٦، ونزهة الأعين النواظر ص٦٤٢.

(٦) من الطويل، في ديوانه ص٣١-٣٢، ١٤، والبيت الثاني مُلَفَّقٌ من بيتين:

الأول: فقالت سباك الله إنّكَ فاضحي... ألستَ ترى السُّمارَ والناسَ أحوالي؟

والثاني من معلقته: فقالت: يمين الله ما لكَ حيلةٌ... وما إن أرى عنك الغوايةَ تنجلي

فَقُلْتُ: يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قاعِدًا ... وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيكِ وَأَوْصالِي

فَقالَتْ: يَمِينُ اللهِ ما لَكَ حِيلةٌ ... أَلَسْتَ تَرَى السُّمّارَ والنّاسَ أَحْوالِي؟

واليَمِينُ: ما يَحْوِيهِ الإنسانُ إذا ملكَهُ[1]، ومِنْ هذا قولُهُمْ: هذامَلْكُ[2] يَمِيني[3]، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تعالَى: ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[4] [النور: ٣٣].

واليَمِينُ والمَيْمَنَةُ: الخيرُ[5]، ويُقالُ: إنَّهُ طريقُ الجنّةِ، والشِّمالُ والمَشْأَمةُ: الشَّرُّ، ويقالُ: طريقُ النّارِ، ومنْ ذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ * فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٧ - ٢٨].. الآية، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ * فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٢].. الآية[6].

وقال تعالَى فِي موضِعٍ آخرَ: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ * أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [البلد: ١٧ - ١٩].

فقولُ اللهِ تعالَى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، أيْ: بقُدرتِهِ ومُلْكِهِ[7]، وكذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥]، أيْ: بقُدرتِنا عليهِ

(١) انظر: تصحيح الوجوه والنظائر ص٥١٢، والوجوه والنظائر للدمغاني ٢/ ٣٢٦.

(٢) قال ابن قتيبة: «بفتح الميم» أدب الكاتب ص٣٨٩. وقال الفارابي: «وهو أَفْصَحُ من الكَسْرِ» ديوان الأدب ١/ ١٢٣. وحكى الفيروزابادي فيها التثليث في القاموس ص٩٥٤. وانظر: الصحاح ٤/ ١٦٠٩، وتحرير ألفاظ التنبيه ص٢٤٥.

(٣) أي: ملكي. انظر: الإبانة في اللغة ٤/ ٦٤٦.

(٤) انظر: الإبانة في اللغة ٤/ ٦٤٦.

(٥) انظر: المحكم «ي م ن»، والإبانة في اللغة ٢/ ٢٤.

(٦) انظر: الغريبين ٦/ ٢٠٥٨، ودرة الغواص ص٥٧.

(٧) انظر: معاني الأخفش ٢/ ٤٩٦، والنكت والعيون ٥/ ١٣٤.

ومُلْكِنا إيّاهُ، وبذلِكَ جاءَ التَّفسيرُ، رُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ[١] فِي قولِهِ تعالَى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥]، قالَ: يعنِي بالقُدرةِ[٢].

وعنِ الحَكَمِ بنْ عُتَيْبة[٣] فِي قولِهِ تعالَى: ﴿لَأَخَذْنَامِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥]، قالَ: بالحقِّ[٤]، والمعنَى يَرجِعُ إلَى المُلْكِ؛ لأنَّ حقَّ الرَّجُلِ هوَ ملكُهُ، فهذا تأويلُ قَوْلِ اللهِ تعالَى الأَشْبَهُ بصفةِ اللهِ تعالَى علَى ما تكلَّمَ بِهِ العرَبُ، وما فسَّرَ بِهِ العلماءُ[٥]، لا علَى مذهَبِ الجائِرِينَ عنِ الحقِّ؛ فإنَّهُمْ يتأوَّلُونَ ذلِكَ علَى أنَّها اليمينُ الَّتِي هيَ أُخْتُ الشِّمالِ[٦]، أَوَ لا يعلَمُونَ أنَّ مَنْ لهُ يمينٌ وشمالٌ فهوَ / صُورةٌ، وقدْ رُوِيَ عنِ [١١٢ظ]

(١) انظر: تنوير المقباس ص٤٨٤، والكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ٣٢، والهداية لمكي ١٢/ ٧٦٩٠، والتفسير البسيط ٢٢/ ١٩٠.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٣، والكامل للمبرد ١/ ١٦٧، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٨، ومقالات الإسلاميين ص٥٢٢، والجمهرة ٢/ ٩٩٤، وشمس العلوم ١١/ ٧٣٠٨.

(٣) هو: الحكم بن عتيبة الإمام الكبير عالِم أهل الكوفة أبو محمد الكندي، حدث عن أبي جحيفة السوائي، وشريح القاضي، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبي وائل شقيق بن سلمة، وإبراهيم النخعي، وغيرهم، مات سنة ١١٣، وقيل: سنة ١١٤، وقيل: ١٥١هـ.
انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٠٨، وتهذيب التهذيب ٢/ ٣٧٢.

(٤) وهو قول مقاتل أيضًا في تفسيره ٢/ ٨٦، والتفسير البسيط ٢٢/ ١٩٠. وورد بلا نسبة في: الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٨٨، وإيجاز البيان عن معاني القرآن ٢/ ٨٣٦، ومفاتيح الغيب ٣٠/ ١٠٥.

(٥) قال التقي الحصني: «وأشعار العرب في ذلك أكثر جدا من أن تذكر وأشهر من أن تنشد وتبرز وتظهر» دفع شبه من شبه ص١٥.

(٦) انظر: التوحيد لابن خزيمة ١/ ١٧٠، وإبطال التأويلات ١/ ٣٢٣، ٣٣٠، ومشكل الحديث وبيانه ص٤٣٦.

ابنِ عبّاسٍ[١] فِي قولِهِ تعالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] قالَ: حيثُ وصفُوا اللهَ بالصُّورةِ والأعضاءِ والأمثالِ والأشباهِ، سبحانَهُ وتعالَى عَمّا يُشْرِكُونَ.

ورُوِيَ عَنْهُ أَيْضًا فِي قولِهِ تعالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، قالَ: شبَّهُوا اللهَ بخلْقِهِ فأشرَكُوا منْ حيثُ لا يعلمُونَ[٢].

وقدْ جاءَ فِي الحديثِ[٣]:«أَنَّ الحَجَرَ الأسوَدَ يمينُ اللهِ، يُصافِحُ بِهِ خلْقَهُ، ولولا ما مَسَّهُ مِنْ خطايا بنِي آدمَ لما مسَّهُ أبْكَمٌ ولا أبرَصُ إلّا بَرأَ، ولقدْ نزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ منَ الجَنّةِ وهوَ أشدُّ بَياضًا مِنَ اللَّبَنِ، فاسْوَدَّ منْ خطايا بنِي آدمَ».

فإذا كانَ الحجرُ يُوصَفُ بأَنَّهُ يمينُ اللهِ، فكيفَ يجوزُ لذِي عقْلٍ أنْ يصِفَ اللهَ تعالَى أنَّ يمينَهُ جارِحةٌ منَ الجوارِحِ؟![٤]، تَعالَى اللهُ عمّا يقولُ المُفْتَرُونَ.

وتأويلُ الحجَرِ أَنَّهُ يمينُ اللهِ، أيْ: خيرٌ منَ اللهِ، أنزَلَهُ لخَلْقِهِ، يَنالُونَ بِمَسِّهِ العافِيةَ

(١) انظر: تنوير المقباس ص١١٤، ٣٩١، والنص فيه بمعناه.

(٢) انظر قوله في: الكشاف ٢/ ٤٧٩، ومدارج السالكين ١/ ١٦٠.
ونُسب للسُّدي أيضًا في: النكت والعيون ٣/ ٨٧. وانظر: معاني الزجاج ٣/ ١٣١.

(٣) أخرج الجزء الأول من الحديث الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ١٥٩، والفاكهي في أخبار مكة ١/ ٨٩، وأردفه بقوله: «إسناده حسن»، وعنهما القاري في مرقاة المفاتيح، وأبو سعيد الجندي في فضائل مكة ص٩١، وعنه ابن الملقن في التوضيح ١١/ ٣٥٣، وابن عدي في الكامل ١/ ٣٤٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٢/ ٩٧.
وأخرج الجزء الثاني منه ابن أبي إسحاق في السيرة ٢/ ٧٤.
وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٥/ ٣٩ بلفظ: «الركن -يعني الحجر- يمين الله في الأرض، يصافح بها خلقه مصافحة الرجل أخاه، يشهد لمن استلمه بالبر والوفاء، والذي نفس ابن عباس بيده ما حاذى به عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرًا إلا أعطاه إياه».

(٤) انظر: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد ٢/ ٦٩٤-٦٩٥، وإبطال التأويلات ١/ ١٨٣.

فِي الدُّنيا والقُرْبةَ إليهِ فِي الآخِرةِ، فخرَجَ قولُهُمْ: يمينُ اللهِ مَخْرَجَ رزقِ اللهِ، ومعناهُ: رزقٌ منْ عندِ اللهِ [١]، لهُ الحمدُ والشُّكْرُ علَى نِعَمِهِ الجلِيلةِ وأيادِيهِ الظّاهِرةِ.

(١) قال ابن فورك: «وقد تأول أهل العلم ذلك على وجهين من التأويل: أحدهما: أن المراد بذلك الحجر أنه من نعم الله على عباده بأن جعله سببًا يثابون على التقرب إلى الله تعالى بمصافحته فيؤجرون على ذلك، وقد بينا أن العرب تعبر عن النعم باليمين واليد كما ذكرنا قبلُ» مشكل الحديث وبيانه ص١١٧.

وقال ابن العربي: «قال علماؤنا الأصوليون: البارئ سبحانه يتقدّسُ عن الجارحة، واليمينُ ههنا بمعنى الحُجّة، معناه حجّة الله في الأرض... وقوله: (يصافح) معناه: يثيبُ من لَمَسَهُ من أهل الإيمان على معنى التّعظيم لشعائر الله» المسالك ٤/ ٤٠٢.

القَبْضةُ[١]

ومِمّا حَمَلُوهُ عَلَى ظاهِرِ اللَّفْظِ جَهْلًا بِمَعْناهُ قَوْلُهُ تعالَى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].

فالقَبْضةُ: ما ضَمَمْتَ عَلَيهِ كفَّكَ[٢].

والقبضةُ: المِلْكُ؛ ومنْهُ قولُهُمْ: هذا الشَّيءُ لِي وفِي قبضَتِي، أَيْ: مِلْكِي[٣].

والقبضةُ: القُدْرةُ؛ ومنْهُ: ما يَخْرُجُ هذا عنْ قبضَتِي، أيْ: عنْ قُدْرَتِي.

والقَبْضةُ: أَخْذُ الشَّيءِ[٤]؛ ومنهُ قولُهُمْ: قَبَضْتُ الدَّراهِمَ، أَيْ: أخذْتُها.

والقَبْضةُ: الأَخْذُ بالشِّدّةِ؛ ومنهُ قولُهُمْ: لَئِنْ قَبضْتُ علَى فَلانٍ لأُعَلِّمَنَّهُ.

(١) تحر في تفصيل الحديث عنه: وجوه القرآن للحيري ص٣٤٣، والغريبين ٥/ ١٤٩٣، والمفردات في غريب القرآن ص٣٩١، وعمدة الحفاظ ٣/ ٢٦٥.

(٢) وهو أصل معانيها، ولذلك بدأ به، قال السَّمين: «أصل القبض: التناول بجميع الكف» عمدة الحفاظ ٣/ ٢٦٥. وانظر: تصحيح الفصيح ص٢٦٣، والتوقيف على مهمات التعاريف ص٢٦٧.

(٣) في المحكم «ق ب ض»: «قالَ ثَعْلَب: هَذا كَما تَقول: هَذِه الدّار فِي قبضتي: أَي فِي مِلْكِي». وانظر: الجمهرة ١/ ٣٥٥، ومعاني النحاس ٦/ ١٩١، وشمس العلوم ٨/ ٥٣٤٣، وعمدة الحفاظ ٣/ ٢٦٥.

(٤) انظر: مختصر الوجوه في اللغة ص٨٩.

فمعنَى قولِهِ تعالَى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، أَيْ: فِي مُلْكِهِ وقُدْرَتِهِ(١)، كَما رُوِيَ عنْ [ابنِ](٢) مجاهدٍ عَنْ أَبِيهِ، وعَنِ ابنِ عَبّاسٍ أيضًا(٣).

فَأَمّا قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] فتَأويلُهُ: يقتُرُ ويوسِّعُ، أَيْ: يقتُرُ الرِّزْقَ علَى مَنْ يَشاءُ ويُوسِّعُهُ علَى مَنْ يَشاءُ(٤).

فَهَذا التَّأويلُ هُوَ الصَّحِيحُ، والمُشَبِّهةُ تَذْهَبُ إِلَى أَنَّها قَبْضةُ الكَفِّ/ (٥)، وَقَدْ بَيَّنّا فَسادَ ذلِكَ. [١١٢/ب]

(١) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص٩٨.

(٢) تتمة يقتضيها المقام، أي: عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه. انظر في ترجمته: المجروحين لابن أبي حاتم ٢/ ١٤٦.

(٣) انظر: تنوير المقباس ص٣٩١.

(٤) انظر: معاني النحاس ١/ ٢٤٨، والتفسير البسيط ٤/ ٣١٤، وغرائب التفسير ١/ ٢٢١، وعمدة الحفاظ ٣/ ٢٦٦.

(٥) انظر: التوحيد لابن خزيمة ١/ ١٩١، وإبطال التأويلات ١/ ٣٣٠.

الإِصْبَعُ[١]

وأمّا ما رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ[٢]: «ما مِنْ آدَمِيٍّ إلّا وَقَلْبُهُ بَينَ إِصْبَعَينِ مِنْ أَصابِعِ اللهِ».

فَإِنْ كانَ الحَدِيثُ صَحِيحًا فَإِنَّ لَهُ تأويلًا جَيِّدًا مِنْ كَلامِ العَرَبِ يَلِيقُ بِصِفةِ اللهِ تَعالَى ـ؛ لأَنَّ الإِصْبَعَ فِي كلامِهِم: الأَثَرُ الحسَنُ[٣]، يُقالُ: فُلانٌ فِي مالِهِ إِصبَعٌ حسنةٌ، أيْ: قِيامٌ جَمِيلٌ وَأَثَرٌ حَسَنٌ[٤]،

(١) تحر في تفصيل الحديث عنه: الإبانة في اللغة ٢/ ٥٣، وتفسير غريب ما في الصحيحين ص٤٣٦.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ٣١٥، والترمذي في سننه ٥/ ٥٣٨، والنسائي في سننه الكبرى ٤/ ٤١٤، والنعوت والأسماء والصفات ص٣٤٨، وابن أبي شيبه في مصنفه ٦/ ٢٥، والطبراني في المعجم الأوسط ٣/ ٣٣.
وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٤٥ بلفظ: «عَبْدَ الله بن عَمْرو بن الْعاصِ يقول أَنَّهُ سمع رَسُولَ الله ﷺ يقول: إِنَّ قُلُوبَ بنى آدَمَ كُلَّها بين إِصْبَعَيْنِ من أَصابِعِ الرحمن كَقَلْبٍ واحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشاءُ..».

(٣) انظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبة ص٥١، والإبانة في اللغة ٢/ ٥٣، وديوان الأدب ١/ ٢٧٤، وتفسير غريب ما في الصحيحين ص٤٣٦، وشمس العلوم ٦/ ٣٦٥٥.

(٤) انظر: الجيم لأبي عمرو الشيباني ٢/ ١٨٣، والعين ١/ ٣١٢، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٣٥١، وغريب الحديث للحربي ١/ ٢٩٨، والصحاح ٣/ ١٢٤١، وديوان =

وَمِنْهُ قَوْلُ الرّاعِي[١] يَصِفُ الإِبلَ وَراعِيها[٢]:

ضَعِيفُ العَصا بادِي العُرُوقِ تَرَى لَهُ عَلَيها إِذا ما أَجْدَبَ[٣] النّاسُ إِصْبَعا

فَيَكُونُ المَعْنَى: أَنَّهُ ما مِنْ آدَمِيٍّ إِلّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ نِعْمَتَيْنِ للهِ تَعالَى جَلِيلَتَيْنِ؛ إِحداهُما: تعريفُهُ إِيّاهُ نفسَهُ، والأُخْرَى: ما أنعَمَ بِهِ عليهِ فِي رِزْقِهِ وَمَعاشِهِ، وأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ شاكِرًا للهِ تعالَى علَى ذلِكَ[٤].

فأمّا ما يتأَوَّلُهُ المُشَبِّهةُ منْ أَنَّها إِصْبَعٌ منْ أصابِعِ اليَدِ، فكيفَ يقومُ هذا فِي عقولِهِمْ معَ زعمِهِمْ أَنَّ اللهَ تعالَى علَى العرْشِ، وأَنَّ بينَهُ وبينَ بني آدَمَ سبعُ سَماواتٍ، وما بَيْنَ سَماءٍ وَسَماءٍ مَسِيرةُ خمسمائةِ عامٍ، وسُمْكُ كُلِّ سَماءٍ خَمْسِمائةُ عامٍ[٥].

وَمِمّا يُبيِّنُ إِكذابَ رِوايَتِهِمْ وبُطْلانَ تأويلِهِمْ: ما رُوِيَ عنْ عبدِ اللهِ قالَ[٦]: «أَتَى

= الأدب ١/ ٢٧٤، والمقاييس ٣/ ٣٣١.

(١) هو: عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل، أبو جندل النميري المعروف بالراعي، كان من جلّة قومه، سمّي بذلك؛ لكثرة شعره في الابل، وجودة معرفته بها، من فحول الشعراء، توفي في حدود التسعين للهجرة، وقيل: بعد المائة.
انظر في ترجمته: طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٠٢، والشعر والشعراء ١/ ٤١٥، والمبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة ص١٠٥، والوافي بالوفيات ١٩/ ٢٨٣، والأعلام للزركلي ٤/ ١٨٨.

(٢) من الطويل، في ديوانه ص١٦٢، والألفاظ لابن السكيت ص٤٤٩، والتقفية في اللغة ص٥٥٤، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ٢/ ٧٦٤.

(٣) في الأصل: أجدب، والصواب المثبت كما في ديوانه ومظان تخريجه.

(٤) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص٢٣٨-٢٤٠، والأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ١٧٣.

(٥) انظر: الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٧٨، ومرقاة المفاتيح ١/ ٢٦٥.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٨١٢-حديث رقم (٤٥٣٣)، ومسلم في صحيحه =

رجُلٌ منْ أهلِ الكتابِ النَّبيَّ عَلَيْهِ السَّلامُ فقالَ: يا أبا القاسِمِ، أَبَلَغَكَ أنَّ اللهَ يحمِلُ السَّماواتِ علَى إصْبَعٍ، والأَرَضِينَ علَى إصبعٍ، والشَّجَرَ علَى إصبعٍ، والثَّرَى علَى إصبَعٍ، والخلائِقَ علَى إصبَعٍ، فأنزَلَ اللهُ تعالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]».

وما تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ ابنِ عَبّاسٍ أنَّهُ قالَ[1]: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلهِ خِنْصرًا أَوْ بِنْصرًا فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ»، أفَلا يتدبَّرُونَ القولَ فيحمِلُوهُ علَى وجْهِ الحقِّ وما يقبَلُهُ العُقُولُ أمْ عَلَى قلُوبٍ أَقْفالُها، نَعُوذُ باللهِ أنْ نَكُونَ منَ الجاهِلِينَ.

= ٤/ ٢١٤٧-حديث رقم (٢٧٨٦).

(١) أخرجه الربيع في مسنده ص٣٢٩.

الوَجْهُ[١]

وممّا حملُوهُ علَى ظاهرِهِ وأخطأوا فِي تأويلِهِ قولُ اللهِ تعالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقَوْلُهُ تعالَى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، وأشباهُ ذلِكَ ممّا ذُكِرَ فيهِ وجْهُ اللهِ تعالَى منَ القرآنِ[٢]، وأنا مُفَسِّرٌ وجوهَ ذلِكَ ومُبَيِّنٌ تأويلَ الحقِّ فيهِ ـ إنْ شاءَ اللهُ تعالَى.

[١١٣] الوجْهُ: الوَجْهُ / المرُكَّبُ فيهِ العينانِ منْ كُلِّ حيوانٍ[٣].

والوجْهُ: الأوَّلُ وَصَدْرُهُ[٤]، ومِنْ ذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ

(١) تحر في تفصيل الحديث عنه: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ص١٥٦، ووجوه القرآن ص٤٠٢، وتصحيح الوجوه والنظائر ص٤٩٥، والوجوه والنظائر للدمغاني ٢/ ٢٨٥، والغريبين ٦/ ١٩٧٥، والمفردات ص٥١٣، ونزهة الأعين النواظر ص٦١٧، وعمدة الحفاظ ٤/ ٢٨٧.

وقد نقل الشريف المرتضي حديثه عنه هذه اللفظة بنصه دون إشارة في: أماليه ١/ ٥٩٠-٥٩٢.

(٢) في أبكار الأفكار ١/ ٤٥١: «من المشبهة من أثبت الوجه بمعنى الجارحة».

(٣) قال ابن الجوزي: «الوجه في الأصل: اسم للعضو المخصوص في الحيوان، وسُمّي وجهًا؛ لأن المواجهة تقع به في غالب الحال، ثم يستعار ذلك في كل ما يراد تقديمه على ما سواه، فيقال: هذا وجه الرأي، وهذا وجه القوم، ومستقبل كل شيء وجهه، ووجه النهار..» نزهة الأعين النواظر ص٦١٧. وانظر: عمدة الحفاظ ٤/ ٢٨٧.

(٤) انظر: وجوه القرآن ص٤٠٣.

﴿ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران: ٧٢]، أيْ: أوَّلُ النَّهارِ [١]، ومنْهُ قولُ الرَّبيعِ بنِ زيادِ العَبْسِيّ [٢]:

مَـنْ كانَ مَسْـرُورًا بِمَقْتَـلِ مالِكٍ فَلْيَـأْتِ نِسْـوَتَنا بِوَجْـهِ نَهـارِ

أيْ: غَداةُ كُلِّ يومٍ.

ويُقالُ: وجْهُ نهارٍ: موضِعٌ [٣].

وفِي قولِ اللهِ تعالَى ما أغْنَى عنِ الاحتجاجِ بالشِّعْرِ.

والوَجْهُ: القَصْدُ بالإرادةِ والفِعْلِ [٤]، ومنْ ذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، مَعْناهُ: مَنْ قصدَ بأمرِهِ وفِعْلِهِ وإرادَتِهِ إلَى اللهِ تعالَى [٥].

(١) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ص١٥٧، ومجاز القرآن ١/ ٩٦، وغريب القرآن لابن قتيبة ص١٠٦، ومعاني الزجاج ١/ ٤٢٩، وياقوتة الصراط ص١٨٩.

(٢) من الكامل، في شعره ص٣٩٣ - ضمن مجلة آداب بغداد ع ١٤م ١، ومعاني الزجاج ١/ ٣٦١، والأنواء له أيضًا ص٤٠، وكتاب استعارة أعضاء الإنسان ص٥٠، والاسغناء للقرافي ص٦٣٢، وسفر السعادة ٢/ ٩٦٤. ونُسب لمتمم بن نويرة يرثي أخاه مالكًا في: عمدة الحفاظ ٤/ ٢٨٧، ولم أقف عليه في: مالك ومتمم ابنا نويرة-تأليف/ ابتسام الصفار.
والربيع هو: الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب العبسيّ، أحد دهاة العرب وشجعانهم ورؤسائهم في الجاهلية، يلقب بالكامل، يروى له شعر جيد.
انظر: الاشتقاق لابن دريد ص١٠٨، ونزهة الألباب في الألقاب ٢/ ١١٢، والإعلام ٣/ ١٤.

(٣) انظر: أمالي المرتضي ١/ ٥٩٠.

(٤) انظر: عمدة الحفاظ ٤/ ٢٨٧.

(٥) انظر: النكت والعيون ٤/ ٣٤٣، وتفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٢٩٤.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [النساء: ١٢٥]، ومنْهُ قولُ الفَرَزْدَقِ(١):

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رَكائِبِي(٢) إِلَــى آلِ مَــرْوانِ بُنــاةِ المَــكارِمِ

أَيْ: جَعَلْتُ قَصْدِي وَإِرادَتِي.

وَأَنشَدَ الفرّاءُ(٣):

أَسْــتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَسْــتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ العِبادِ إِلَيــهِ الوَجْهُ والعَمَلُ(٤)

أَيْ: إليهِ القصْدُ.

ومنْهُ قولُهُمْ فِي الصَّلاةِ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ والأَرْضَ»، أَيْ: قصَدْتُ بِصَلاتِي وَعَمَلِي(٥).

وَكَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعالَى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ [الروم: ٣٠-٤٣]، أَيْ: سَوِّ مَذْهَبَكَ وَقَصْدَكَ، ولا تُنافِقْ ولا تُغَيِّرْ.

(١) لم أقف عليه في ديوانه، ونُسب إليهِ في: أمالي المرتضي ١/ ٥٩٠.

(٢) في الأصل: زكايتي، والتصويب من أمالي المرتضي ١/ ٥٩٠.

(٣) ورد إنشاده في معاني القرآن ١/ ٢٣٣، ٢/ ٣١٤.

(٤) من البسيط، وورد بلا نسبة في: الكتاب لسيبويه ١/ ٣٧، وشرح أبياته لابن السيرافي ١/ ٢٧٩، وأدب الكاتب ص٥٢٤، والمقاييس ٦/ ٨٩، والإبانة في اللغة ١/ ٣٨٥، وشمس العلوم ١١/ ٧٠٧٠، وتخليص الشواهد ص٥٠٤، والمقاصد النحوية ٣/ ١١٨٠. قال ابن السّيد: «هذا البيت لا أعلم قائله، والوجه: القصد الذي يقصده الإنسان ويتوجه نحوه. ويحتمل أن يريد بالوجه: التوجه فيكون من الأسماء التي وضعت موضع المصادر» الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٣/ ٤٠٠.

(٥) قال الزجاج: «ومعنى ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾، أي: جعلت قصدي بعبادتي توحيدي الله» معاني الزجاج ٢/ ٢٦٨، والتفسير البسيط ٨/ ٢٥٠، والهداية لمكي ٣/ ٢٠٨٥.

والوَجْهُ: الاحْتِيالُ لِلأمْرِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: كيفَ الوَجْهُ لهذا الأمْرِ؟ أيْ: كيفَ الحِيلةُ لَهُ.

والوجْهُ: المذهَبُ والنّاحِيةُ[١].

والوَجْهُ: القَدْرُ والمنزِلةُ، ومنْهُ قولُهُمْ: لفُلانٍ وجْهٌ عريضٌ، وفلانٌ أوْجَهُ منْ فلانٍ، أيْ: أعْظَمُ قَدْرًا.

والوَجْهُ: الرَّئيسُ المَنْظُورُ إليهِ، يُقالُ: هوَ الوجْهُ للقَومِ[٢]، ووَجْهُ الشَّيءِ: نفسُهُ، ومنْهُ قَوْلُ أَحْمَرِ[٣] بنِ جَنْدَل السَّعْدِيّ[٤]:

وَنَحْنُ حَفَرْنا الحَوْفَـزانِ[٥] بِطَعْنةٍ ... فَأَفْلَـتَ مِنْهـا وَجْهَـهُ عَتِـدٌ نَهْدُ

(١) زاد المرتضي في أماليه ١/ ٥٩١ شاهدًا لهذا المعنى، وهو:

«أَيَّ الوُجُـوهِ انْتَجَعْـتَ؟ قُلْـتُ لَهـا: ... لأَيِّ وَجْـهٍ إلّا إلَـى الحَكَـمِ!

مَتَـى يَقُـلْ صاحِبـا سُـرادِقِهِ: ... هَـذا ابـنُ بَيْـضٍ بالبـابِ يَبْتَسِـمِ»

(٢) في الأصل: القوم، والصواب المثبت.

(٣) في أمالي المرتضي ١/ ٥٩١: أحمد، والصواب المثبت.

انظر: الشعر والشعراء ص٢٧٢، والحيوان ٣/ ٧١، والأغاني ١٤/ ٧٢، والعقد الفريد ٣/ ٣١١.

(٤) من الطويل، ولم أقف عليه بهذه الرواية وبهذه النسبة، ونُسب لسوّار بن حيان المنقري في: الأغاني ١٤/ ٨٠، والعقد الفريد ٥/ ١٧٢، والتنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ص٣٨، والاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٣/ ٧٣. وعجزه فيها: «تَمُجُّ نجِيعًا من دمِ الجوْفِ أشْكلا». ونُسب قيس بن عاصم بالرواية السابقة في: إعجاز القرآن ص٨٤، والصناعتين ص٣٢٦. ونُسب للعمر بن الأهتم في شعر الزبرقات بن بدر وعمر بن الأهتم ص١٠٠، وعجزه فيه: «سقته نجيعا من دم الجوف آنيا».

(٥) في الأصل: الحوفدان، والصواب المثبت، ففي أدب الكاتب ص٧٥: «الحَوْفَزان - =

أَرادَ: أَفْلَتَهُ وَنَجّاهُ فَرْشهُ.

ومنْ ذلِكَ قَوْلُهُمْ: إنَّما أفعَلُ ذلِكَ لِوَجْهِهِ(١).

والوَجْهُ: المَطْلَبُ الَّذِي يُرْجَى منْهُ الخَيرُ، يُقالُ: أنتُمْ وَجْهِي، أيْ: مَطْلَبِي الَّذِي أَرْجُوهُ.

فَمَعْنَى قَولِ اللهِ تَعالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا / وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] / ، أيْ: كُلُّ شيءٍ هالِكٌ إلّا هوَ، وكذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، أيْ: ويَبْقَى رَبُّكَ الواحِدُ(٢). [١٠٣ ـ ب]

وممّا يدُلُّ علَى أنَّ الوجْهَ هوَ نفْسُهُ، قولُهُ تعالَى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ فَرَفَعَ (ذا الجَلالِ) جعلَهُ نَعْتًا (٣).

وكذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ

= بالزاي المعجمة - فَوْعَلان من (حَفَزَه)، يقال: إنما سُمّي بذلك؛ لأنَّ بسطام بن قيس حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته، فسميْ بتلك الحَفْزة الحوفزان».
وفي الاشتقاق لابن دريد ص٣٥٨: «الحَوفزانُ بن شَريك. واسمُه الحارث، وإنَّما سمِّيَ الحَوفزانَ لأنَّ قيس بن عاصمٍ اقتلعَه عن سَرجه بالرُّمح، وكلُّ ما قَلعتَه عن موضع فقد حفزْتَه». وانظر: ديوان الأدب ٢/ ٨١.

(١) من ذلك قول الداعي فيما أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٢٧٤، والطبراني في الدعاء ص٧٧: «اللهم إنْ كنتَ فَعَلْتُ ذلك لِوَجْهِكَ فافْرُجْ عَنّا».

(٢) قال الزجاج مقررا ذلك: «المعنى: ويبقى ربك، والمعنى: كل شيءٍ هالك إلا الله عزوجل» معاني القرآن ١/ ٣٨٩» وانظر: معاني النحاس ١/ ٣٧٣، والهداية لمكي القيسي ١١/ ٧٢٢٣، وغرائب التفسير ٢/ ١١٧٣.

(٣) قال العكبري: «قوله تعالى: ﴿ذو الجلال﴾ بالرفع هو نعت للوجه» التبيان ٢/ ١١٩٩. وانظر: معاني الفراء ٣/ ١١٦، والدر المصون ١٠/ ١٦٨.

يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف: ٢٨]، أيْ: يريدُونَهُ(١).

وممّا يُبيِّنُ ذلِكَ ما رُوِيَ عنِ ابْنِ عبّاسٍ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾، قالَ: يفنَى كلُّ شَيءٍ ويبقَى اللهُ وَحْدَهُ(٢).

وقالَ مجاهِدٌ فِي معناهُ: يفنَى كلُّ شيءٍ ويبقَى رَبُّكَ.

وقالَ ابنُ عبّاسٍ فِي روايةٍ: ﴿ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص: ٨٨]، أيْ: إلّا اللهَ (٣)، وهوَ كقولِهِ تعالَى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥] يَعْنِي: ثَمَّ اللهُ(٤). ورُوِيَ عنْ عمرَ، وعَنِ الحسَنِ مثْلُهُ.

وقدْ تأوَّلَ بعضُ الأئمّةِ قولَهُ تعالَى: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا / وَجْهَهُۥ ﴾ [١١٧] [القصص: ٨٨] العَمَلَ لهُ، فمِنْ ذلِكَ ما رُوِيَ عنْ مجاهدٍ فِي معناهُ قالَ: كلُّ عملٍ لا يُرادُ بِهِ اللهُ فهوَ هالِكٌ(٥).

ورَوَى منصورٌ عنِ الحسَنِ أنَّهُ سألَهُ عنْ قولِهِ تعالَى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥] قالَ: وجْهُ اللهِ الَّذِي وَجَّهَكُمْ إليهِ، يعنِي: القِبْلةَ، يقولُ: أيْنَما كُنْتُمْ فوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَ القِبْلةِ فإنَّ ثَمَّ وَجْهَ اللهِ الَّذِي وَجَّهَ إليهِ.

وَأمّا قَوْلُهُ تعالَى: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل: ٢٠]، وقولُهُ تعالَى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ

(١) انظر: معاني الزجاج ٣/ ٢٨١، والنكت والعيون ٢/ ١١٨، والتفسير البسيط ٥/ ١٢٦.

(٢) بمعناه في: تنوير المقباس ص٤٥١.

(٣) انظر: التفسير البسيط ١٧/ ٤٧٩، وزاد المسير ٣/ ٣٩٧.

(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في: زاد المسير ١/ ١٠٤. والذي في تنوير المقباس ص١٧: «﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾: قبلة الله». وانظر: مشكل الحديث وبيانه ص٣٥٦.

(٥) انظر: النكت والعيون ٤/ ٢٧٤.

لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٩]، ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٩] فَقَدْ جاءَ التَّفسيرُ فيها بالمَعْنَيَينِ جميعًا بأَنَّهُ يُرادُ بِهِ: الله، وبمعنَى: ثوابِ اللهِ(١).

وهذا هوَ التَّأويلُ الصَّحيحُ الَّذِي يلِيقُ لِمَنْ وصَفَ الله تعالَى بِهِ، لا كما يتأوَّلُهُ المُشَبِّهةُ: أَنَّهُ الوجْهُ الَّذِي فيهِ العَينانِ، وغيرُهُما منَ الجوارِحِ والحواسِّ تعالَى الله عمّا يقولُونَ، أوَلا يتفكَّرُونَ فيعلَمُونَ أَنَّهُ لا يستقيمُ أنْ يُقالَ: إنَّهُ يَهْلَكُ منَ اللهِ جُزْءٌ إذا كانَ الله لا يتجزَّأُ ولا يَتَبَعَّضُ، وأَنَّهُ لا يجوزُ فِي القَولِ أنْ يلحقَهُ ولا شيئًا منْهُ المهلاكُ إذا كانَ المُنْشِئَ والمُبْقِي والمُهْلِكَ، سُبْحانَ اللهِ عمّا يُشْرِكُونَ.

(١) انظر: الرد على الجهمية لابن منده ص١٠٣، ومشكل الحديث وبيانه ص٣٥٧.

التَّجَلِّي[١]

وَمِمّا تأوَّلُوهُ علَى ظاهِرِ اللَّفْظِ / وجَهلُوا معناهُ قولُهُ تعالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ ذهَبُوا إلَى أنَّهُ الظُّهورُ؛ فكفَرُوا، وأنا مُبَيِّنٌ ذلِكَ إنْ شاءَ الله تعالَى. [٢١١٤]

التَّجَلِّي: الظُّهورُ، يُقالُ: تجلَّى لنا، إذا ظهرَ[٢].

والتَّجلِّي: إظهارُ الشَّيءِ؛ يُقالُ: تَجَلَّيتُ[٣] الشَّيءَ لِفُلانٍ، أَيْ: أظهَرْتُهُ لَهُ.

والتَّجلِّي: النَّظرُ[٤]، حكَى الخليلُ[٥] وغيرُهُ: «تجلَّى الطَّائرُ وغيرُهُ؛ إذا نظرَ»، وهوَ أجلَى البصرِ؛ إذا كانَ حادَّ النَّظرِ.

فمعنَى قَوْلِهِ تعالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾، أي: نظَرَ إليهِ بآيةٍ منْ آياتِ الآخِرةِ الَّتِي يَكُونُ بها الجِبالُ سَرابًا، والَّتِي تَنْسِفُ الجِبالَ بها نَسْفًا، فدُكَّ الجبلُ دكًّا فَصارَ تُرابًا؛ لأنَّهُ لمْ يُطِقْ حَمْلَ تِلْكَ الآيةِ.

(١) تحرَّ في تفصيل الحديث عنه: العين ٦/ ١٨٠، والغريبين ١/ ٣٦٠، والمفردات ص٩٦، وعمدة الحفاظ ١/ ٣٣٥، والتوقيف على مهمات التعاريف ص٩١.

(٢) قال ابن فورك: «اعلم أن معنى التجلي: الظُّهور، يُقال: تجلَّى لي الرَّأْي؛ إذا ظهر لَهُ الرَّأْي وَلم يكن ظاهرًا» مشكل الحديث وبيانه ص٤٤٦. وانظر: شمس العلوم ٢/ ١١٥١.

(٣) أي: جلَّيتُ.

(٤) في العين ٦/ ١٨٠، واللسان «ج ل ا»: «تَجلَّيت الشيءَ: نَظَرْتُ إليه».

(٥) الذي في العين ٦/ ١٨٠: «والبازي يجلي؛ إذا آنس الصيد فرفع طرفه ورأسه».

ومِمّا يُبَيِّنُ ذلِكَ ما رُوِيَ عنِ الحسَنِ البصريِّ في قولِهِ تعالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] قالَ: نالَهُ نُورُ العرشِ(١).

فمعنَى الكلامِ واللهُ أعلَمُ فلمّا تجلَّى ربُّهُ بآيةٍ جَعَلَهُ دكًّا، فاسْتَغْنَى عنْ ذِكْرِ الآيةِ لِمَعْرِفةِ المُخاطَبينَ بالمَعْنَى، والعربُ تكتَفِي بذِكْرِ بعضِ الكلامِ عنْ تَمامِهِ لمعرفَتِهِ بالمعنَى؛ فمِنْ ذلِكَ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] والمعنَى ـ واللهُ أعلَمُ ـ: فتَأْتِيَهُمْ بآيةٍ فافعَلْ(٢)، فاستَغْنَى عنْ ذِكْرِ «فافْعَلْ»؛ لأنَّ المعنَى قدْ عُرِفَ.

وكذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر: ٩]، والمعنَى واللهُ أعلَمُ أهذا خَيرٌ أمْ لا يعْلَمُ خَيرٌ؟(٣).

وكذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ [الزمر: ٢٢] معناهُ واللهُ أعلَمُ: أهذا كغيرِهِ؟ فأضْمَرَ(٤)؛ لأنَّ المعنَى

(١) في العين ٦/ ١٨٠: «قال الحسن: تجلّى، أي: بدا للجبل نُورُ العَرش».

(٢) انظر: معاني الفراء ١/ ٣٣١، وفيه: «.. فافعل، مضمرة، بذلك جاء التفسير، وَذَلِكَ معناهُ. وإنَّما تفعله العرب فِي كل موضع يُعرف فِيهِ معنى الجواب»، ومعاني النحاس ٢/ ٤٢٠، وتفسير الطبري ٧/ ١٨٤، والسمعاني ٢/ ١٠٠، وجواهر القرآن للباقولي ١/ ٢١، والتسهيل لابن جزي ٢/ ٧، وشرح شذور الذهب لابن هشام ص٤٤٥، وفيه: «والحذف في هذه الآية في غاية من الحسن؛ لأنه قد انضم لوجود الشرطين طول الكلام، وهو مما يحسن معه الحذف».

(٣) انظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ٥/ ٤٤٩.

(٤) انظر: معاني النحاس ٦/ ١٦٦، وغرائب التفسير ٢/ ١٠١٢.

عندَ العَرَبِ مَعْرُوفٌ، ومنْهُ قولُ امرئِ القيسِ[١]:

لَعَمْـرُكَ لَـوْ شَـيءٌ أَتانا رَسُـولُهُ سِـواكَ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعا

المعنَى: دَفَعْنا وَلَكِنْ لَمْ نجِدْ لكَ مدفَعا[٢].

فإنْ احتَجَّ مُحْتَجٌّ بقولِهِ للجبَلِ فقالَ: كيفَ يكونُ نَظَرٌ للجَبَلِ؟ فإنَّ معنَى (اللّام) معنَى (إلَى) [٣]، وذلِكَ كثيرٌ فِي كلامِ العرَبِ[٤]، منْهُ قولُهُ تعالَى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]، أي: أَوْحَى إلَيها[٥]، وقولُهُ تعالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ / ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[٦] [الأعراف: ٤٣]: / . [١١٤ب]

وقدْ تأوَّلَ الآيةَ بعضُ العلماءِ تَأْويلًا آخَرَ يَليقُ بصفةِ اللهِ تعالَى قالَ: فمعناهُ: فلمّا تجلَّى أمرُ ربِّهِ للجبَلِ[٧]، أيْ: بدا لَهُ أمْرُهُ بأنْ يكونَ دكًّا فَعَلَ ذلِكَ ولمْ يتأخَّرْ

(١) من الطويل في ديوانه ص٢٤٢، وروايته: «وجدكَ لو شيءٌ».

(٢) انظر: معاني الفراء ٢/ ٤١٧، والصاحبي ص٤٣١، والإبانة في اللغة ١/ ١٤٦، وتمهيد القواعد ٩/ ٤٤٥٠.

(٣) انظر: أمالي المرتضي ٢/ ٢٢٠.

(٤) المؤلف على المحجة الكوفية في جواز إنابة حروف الجر بعضها مكان بعض. وقد سبق التعليق على نحو ذلك.

(٥) انظر: العين ٣/ ٣٢٠، ومعاني الأخفش ٢/ ٥٨٢، والفراء ١/ ٢٥٠، والزجاج ٤/ ١٧، وحروف المعاني ص٧٦، والمنتخب لكراع النمل ٢/ ٦١٠، وأمالي ابن الشجري ١/ ٣١، وسفر السعادة ٢/ ٩٦٥، والجنى الداني ص٩٩، وبصائر ذوي التمييز ٤/ ٤١٠.

(٦) أي: إلى هذا. انظر: أدب الكاتب ص٥١٦، وحروف المعاني ص٧٦، واللامات للزجاجي ص١٤٣، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٦١٥، وشرح التسهيل لابن مالك ٣/ ١٤٢، واللمحة في شرح الملحة ١/ ٢٥٢.

(٧) ذكره الزجاج وخطأه في معانيه ٢/ ٣٧٤بقوله: «وأن معنى ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: =

عنْ أَمْرِهِ، والعرَبُ تريدُ الشَّيءَ فتَتْرُكُ ذِكْرَهُ، وتَذْكُرُ ما يُضافُ ذلِكَ الشَّيءُ إليهِ؛ لمَعْرِفَتِها بذلِكَ كقولِهِمْ: أردْتُ كذا فاعتَرَضَ فلانٌ بيني وبينَهُ، ومعناهُ: ذكرْتُ رأْيَ فلانٍ فيهِ فتركْتُهُ أوْ جاءَني أمْرُهُ فيهِ، وذلِكَ كثيرٌ في كلامِهِم وأشعارِهِم.

وممّا يُبيِّنُ هذا التَّأويلَ ويُصَحِّحُهُ ما رُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ وعنِ الحسَنِ في قولِهِ تعالَى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]، قالا: إتيانُهُ إيّاهُمْ بوعدِهِ ووعِيدِهِ، وأنَّ اللهَ يكشِفُ لهُمْ منْ أمرِهِ ما كانَ مستورًا عنهُمْ قبلَ ذلِكَ[1].

وما رُوِيَ عنْ مجاهِدٍ[2] في قولِهِ: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾ قالَ: تَجلَّى أمرُ ربِّهِ، ورُوِيَ عنِ المُفَضَّلِ الرَّقاشِيِّ[3] مِثْلُ ذلِكَ.

= تجلى أمر رَبّه، وهذا خطأ لا يعرفه أهل اللغة».
وردَّ الفارسي عليه في الإغفال ٢/ ٢٧٧ -٢٧٨بقوله: «وما أرى الذي قاله في هذا إلا تحاملا، ودافعُ هذا في اللغة كدافع الضرورات وجاحد المحسوسات في غير اللغة، وأبيات (الكتاب) في هذا المعنى لاشتهارها مستغنًى عن ذكرها....». وانظر: المحرر الوجيز ٢/ ٤٥١.

(١) روي عن ابن عباس في: إبطال التأويلات ١/ ١٣١، وروي ذلك عن مجاهد في: مشكل الحديث وبيانه ص٢١٠.

(٢) رواه عنه الربيع في مسنده ص٣٣٢، ولم يرد في تفسيره.

(٣) هو: المفضل بن لاحق الرقاشي، أبو بشر البصري، روى عن: ابن المنكدر، وأبي الجوزاء، ومكحول، وابن سيرين وغيرهم، وعنه: ابنه بشر، وابن المبارك، ومعاذ بن معاذ، وبدل بن المحبر، وأبو عاصم، ومسلم بن إبراهيم وعدة، قال ابن معين: ثقة.
انظر في ترجمته: المقتنى في سرد الكنى ١/ ١٠٩، وتاريخ الإسلام ٩/ ٦٣٨، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٤٧.

وقالَ عليُّ بنُ عاصِمٍ[١]: وسألْتُ عاصِمَ بنَ سليمانَ ـ وكانَ عالمًا بالتَّفسيرِ ـ عنْ قولِهِ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ قالَ: إنِّي لا أقولُ كما يقولُ هؤلاءِ الجُهّالُ، قلتُ: كيفَ تقولُ؟ قالَ: أخبرَنا عمرو عنِ الحسَنِ قالَ: أجْرَى اللهُ عليهِ عَلَمًا منْ أعلامِ يومِ القيامةِ فتَقَطَّعَ الجَبَلُ.

وإجماعُ أهْلِ التَّأويلِ علَى قولِهِ تعالَى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، ﴿فَأَتَىٰهُمُ[٢] ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ [الحشر: ٢] أنَّهُ يُرِيدُ أَمْرًا مِنْ أمرِهِ[٣].

فهذانِ التَّأويلانِ الصَّحيحانِ اللّائقانِ بصفةِ اللهِ تعالَى، وأهلُ السُّنّةِ[٤] يذهبُونَ

(١) هو: علي بن عاصم بن صهيب مولى قريبة بنت محمد بن أبي بكر الصديق رَضِيَ الله عَنْهُ، مسند العراق، الإمام الحافظ أبو الحسن الواسطي، ولد سنة خمس ومائة، وسمع من: سهيل بن أبي صالح،، وعطاء بن السائب، ويزيد بن أبي زياد، ويحيى البكاء، حدث عنه: أحمد بن حنبل، ومحمد بن يحيى الذهلي، وخلق كثير. قال ابن شيبة: كان من أهل الدين والصلاح والخير البارع وكان شديد التوقي، ومنهم من أنكر عليه كثرة الغلط والخطاء، توفي سنة إحدى ومائتين.
انظر في ترجمته: تهذيب الكمال ٢٠/ ٥٠٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣١٦، والكاشف ٢/ ٤٢.

(٢) في الأصل: وأتاهم، وهو تحريف.

(٣) انظر: الهداية لمكي ٦/ ٣٩٧٨، ١١/ ٧٣٧٩، والتفسير البسيط ١٣/ ٤٦، ٢١/ ٣٦٦، وأمالي ابن الشجري ١/ ٧٨، والكتاب الفريد ٤/ ١١١.

(٤) بصفة عامة، وفيه إشارة إلى الذين يتمسكون بسنة النبي ﷺ وهدي أصحابه من بعده، ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل، إذ المذهب في حد ذاته لا يخص بطائفة دون أخرى، قال ابن تيمية: «ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعًا عند أهل السنة والجماعة» منهاج السنة النبوية ٢/ ٦٠١. =

إلَى أنَّ معبودَهُمْ يظهرُ منْ شيءٍ قدْ كانَ يمنعُهُ منَ الظُّهورِ ويحجُبُهُ عمّا يريدُ مُباشرَتَهُ تعالَى الله عمّا يقولُونَ.

وممّا يُبْطِلُ تأويلَهُمْ ويُكَذِّبُ دعواهُمْ: قولُ اللهِ تعالَى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وكذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وقولُهُ تعالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ / إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]: / وأشْباهُ ذلِكَ. (١١٥)

ويُحَقِّقُ إبطالَ ما قالُوا قولُ عليٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ للجزّارِ الَّذي حَلفَ بالَّذي احتَجَبَ بالسَّبْعِ، فعلاهُ بالدِّرّةِ، وقالَ لهُ[1]: «أَيْ لُكَعُ، إنَّ اللهَ لا يَحْتَجِبُ عنْ خَلْقِهِ بشيءٍ، قالَ: أفَلا أُكَفِّرُ عنْ يمِيني يا أميرَ المؤمنِينَ؟ قالَ: إنَّكَ حَلَفتَ بغيرِ اللهِ». فلا القُرْآنَ يتدبَّرُونَ، ولا إلَى صحيحِ الأحاديثِ يَنْظُرُونَ، فَقَدِ ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٩].

= وقول المصنف «وأهل السنة يذهبون...» فهذا قول غريب على منهج المؤلف في كتابه؛ لأنه من بداية الكتاب ذهب إلى أن التأويل مذهب محمود، وهو مذهب الفرق المعتدلة -يقصد الأشاعرة إذ هو منهم، والمعتزلة الذين جرى على منهاجهم في تأويل الألفاظ الموهمة للتشبيه ردًا على المشبهة والمجسمة الذين يحملون الألفاظ على ظواهرها، ولم ينعتهم في كتابه إلا بـ«المشبهة»، وعليه فمن المستبعد أن ينعتهم بلقب (أهل السنة)، لانه لم يرد هذا اللقب في كل الكتاب في هذا الموضع، فلعله زيادة من الناسخ.

(١) ورد في مشكل الحديث وبيانه ص٢١٥.

الصُّورةُ

وأمّا ما ذهبُوا إليهِ فِي حَدِيثِ أبي هُرَيرةَ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ برجُلٍ منَ الأنصارِ وقدْ أَلقَى عبْدًا لهُ وعلاهُ منْ فوقِهِ ويضربُ وجهَهُ ويُقَبِّحُهُ، فَقالَ[1]: «لا تَضْرِبْ وجهَهُ ولا تُقَبِّحْهُ، فَتَقُولُ: قَبَّحَ اللهُ وجهَكَ ووَجْهَ مَنْ أشْبَهَ وجهَكَ، فإنَّ اللهَ خلَقَ آدمَ علَى صُورَتِهِ».

فقدْ فسَّرَهُ العلماءُ بتفسِيرَينِ، كلاهُما حسَنٌ فِي العقُولِ صحيحٌ فِي التَّأويلِ؛ فقالَ بعضُهُمْ: عنَى بذلِكَ صورةَ المقبَّحِ؛ لأنَّهُ منْ وَلَدِ آدَمَ فخلَقَهُ علَى صورتِهِ، فإذا قالَ الرَّجلُ: قبَّحكَ اللهُ وقبَّحَ مَنْ يُشْبِهُكَ كانَ مُقَبِّحًا لآدَمَ؛ لأنَّهُ علَى صورةِ آدمَ خُلِقَ.

وممّا يُبَيِّنُ ذلكَ ويُصَحِّحُهُ ما رُوِيَ عنِ الحسَنِ أنَّهُ مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ برجُلٍ منَ الأنصارِ وهوَ يضْرِبُ وجْهَ غلامٍ لهُ وهوَ يقولُ: قبَّحَ اللهُ وجهَكَ ووجْهَ مَنْ يُشْبِهُكَ، فقالَ النَّبيُّ عَلَيْهِ السَّلامُ: «بِئْسَ ما قُلْتَ، لا تَقُلْ: قَبَّحَ اللهُ وَجْهَهُ وَوَجْهَ مَنْ يُشْبِهُهُ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»، يَعْنِي: عَلَى صُورةِ المَضْرُوبِ[2].

(١) أخرجه عنه عبد الرزاق في مصنفه ٩/ ٤٤٥، وأحمد في مصنفه ٢/ ٢٥١. و أخرجه مسلم عنه في صحيحه ٤/ ٢٠١٧-حديث رقم (٢٦١٢) بلفظ: «إذا قاتَلَ أحدكم أَخاهُ فَلْيَجْتَنِبْ الوَجْهَ، فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ على صُورَتِهِ».

وأخرجه عنه ابن حبان بلفظ ١٣/ ١٨: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النبي ﷺ قالَ: لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ قَبَّحَ اللهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ». وكذا البخاري في الأدب المفرد ص٧١.

(٢) في صحيح ابن حبان ١٢/ ٤٢٠: «قالَ أَبُو حاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُرِيدُ بِهِ صُورةَ المَضْرُوبِ؛ =

وقالَ آخرُونَ: معناهُ أنَّ اللهَ تعالَى عَلِمَ ما يَخْلُقُ منَ البِقاعِ والصُّوَرِ والا
واصطَفَى منَ الصُّورةِ صُورةً خَلَقَ عليها آدَمَ، واصطَفَى منَ الأرواحِ روحًا
لهُ، فقالَ تعالَى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحج
[١١٤/ب] فجاءَ الخَبَرُ أنَّ اللهَ خلقَ آدمَ علَى صورتِهِ الَّتِي اصطفاها منْ تلكَ الصُّورِ/ (

وممّا يُبَيِّنُ صحّةَ ذلِكَ ويُصَحِّحُهُ ما رواهُ إسحاقُ بنِ عبدِ اللهِ قالَ: قلـ
عبّاسٍ: إنَّ أبا هريرةَ يقولُ: إنَّ اللهَ خلقَ آدمَ علَى صورَتِهِ الَّتِي كانَتْ فِي عِ
خالِقُهُ عليها، لَمْ يحوِّلْهُ إلَى صورةٍ غيرِها.

وما رُوِيَ أنَّهُ قيلِ لابنِ عُمَرَ: إنَّ رجُلًا يُحَدِّثُ أنَّ اللهَ خلقَ آدمَ علَى ص
فقالَ ابنُ عمرَ: إنَّ الشَّيطانَ قدْ يَئِسَ منْ عبادةِ الأصنامِ فِي أرضِ العرَبِ، أَ
يوسوسُ إليهِمْ ثُمَّ ينصبُونَهُ صَنَمًا باطِنًا، وإنَّ اللهَ تعالَى خلَقَ الصُّورَ كلَّها، فخ
علَى نفسِ صورةِ آدَمَ الَّتِي علِمَ أنَّهُ خالِقُهُ عليها.

وَقَدْ سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عنْ صِفةِ اللهِ تعالَى فلمْ يُحْرِ شَيئًا[٢] حتَّى أَتاهُ
فَقالَ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١].. السورة[٣].

فأيُّ شيءٍ أدلُّ مِنْ هذهِ الأحاديثِ علَى تنزيهِ اللهِ تعالَى عمّا ينتَحِلُهُ

= لأَنَّ الضّارِبَ إذا ضَرَبَ وَجْهَ أَخِيهِ المُسْلِمِ ضَرَبَ وَجْهًا خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ».
مفاتيح الغيب ١/ ١٠٨، وتفسير القرطبي ٥/ ٣٩٢، وفتح الباري ٥/ ١٨٣.

(١) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص٤٨، وأساس التقديس ص٧٠.

(٢) أي: لم يُقَدِّم ردًّا أو جوابًا، وقد سبق تفسيره.

المعانِدُونَ العادِلُونَ عنِ الحقِّ فيما يتأوَّلُونَ منْ أحاديثِ النَّبيِّ ﷺ علَى
اتِّباعًا لمذهَبِ اليهودِ ـ لعنَها الله ـ فِي تَشْبيهِها اللهَ بخَلْقِهِ[1].

وممّا يؤكِّدُ تكذيبَهُمْ فيما يذهبُونَ إليهِ، ويُحَقِّقُ ما عليهِ أهلُ
تعظيمِ اللهِ تعالَى عمّا يقولُ الظّالمُونَ ما رُوِيَ عنْ سعيدِ بنِ جُبَيرٍ قالَ: لمّ
ابنُ الأزرَقِ أنَّهُ لا يُسْأَلُ ابنُ عبّاسٍ عنْ شيءٍ إلّا أجابَ فيهِ قالَ لهُ: ما أَجْ
عبّاسٍ! قالَ: وما ذاكَ يا ابنَ الأزرَقِ؟ قالَ: أراكَ ما تُسْأَلُ عنْ شيءٍ إلّا
قالَ: ويلَكَ، غَيري أَجْرَأُ منّي، رجُلٌ كَتَمَ عِلْمًا وهوَ عندَهُ، ورجُلٌ تكلَّمَ ب
قالَ: أفكُلُّ ما تقولُهُ تعلَمُهُ؟ قالَ: نعَمْ، إنّا أَهْلَ بَيتٍ أُوتِينا الحِكْمةَ، قالَ:
إلهِكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ كيفَ هوَ؟ فسكَتَ عنْهُ ابنُ عبّاسٍ استعظامًا لما قال
أُخْبِرُكَ إنْ شاءَ اللهُ هوَ الواحِدُ بغيرِ تَشْبيهٍ، الدّائِمُ بغيرِ تكْوينٍ، الخالِقُ ب
القائِمُ بغيرِ مِثالٍ، المَوصُوفُ بغيرِ شبهٍ، الدّائمُ بغيرِ غايةٍ، المعروفُ بغ
الباقِي بلا نظيرٍ، العزيزُ القديمُ / لمْ يزَلْ عزيزًا ولا يزالُ، وَجِلَتِ القلو
وَذَهَلَتِ الألبابُ لعزَّتِهِ، وخَضَعَتِ الرِّقابُ لِقُدْرتِهِ، لا يَخْطُرُ علَى القُلُو
عَظَمَتِهِ، وَلا يَبْلُغُهُ العُلماءُ بألبابِها، ولا المتفكِّرونَ بتفكُّرِها، وَأَعْلَمُ الخ
الَّذِي لا يَصِفُهُ بصورةٍ ولا مِثالِ شبَحٍ، أوْ قالَ: شَبَهٍ يوقعُ التَّوهُّمَ عليهِ، قا
يا ابنَ عبّاسٍ[3].

وما رُوِيَ عنْ عائشةَ أنَّها قالَتْ[4]: سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ

(١) انظر: أبكار الأفكار ١/ ٤٦٦.

عَذابًا يومَ القِيامةِ قَومٌ يُضاهِئُونَ الرَّبَّ، فقُلتُ: بأبِي وأمِّي أنتَ يا نَبِيَّ اللهِ، كيفَ يُضاهِئُونَ؟ قالَ: يُشَبِّهُونَ اللهَ بأنفسِهِمْ يُضاهِئُونَ بذلِكَ قولَ اليهودِ؛ حيثُ زعمُوا أنَّ اللهَ علَى صورةِ آدَمَ».

وما رُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ قالَ: «مَنْ وصفَ اللهَ بحَدٍّ فهُوَ كافِرٌ، ومَنْ زعمَ أنَّ اللهَ خلَقَ آدَمَ علَى صورَتِهِ فهُوَ كافِرٌ، ألا إنَّ اللهَ تعالَى يقولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]».

وما رُوِيَ عنْ علِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «مَنْ مَثَّلَ بِهِ شَيئًا، أَوْ شَبَّهَهُ بشيءٍ فقدْ أشرَكَ».

ورُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ قالَ: «سترجِعُ أقوامٌ فِي آخرِ الزَّمانِ عندَ اختلافِهِمْ وصِفَتِهِمْ ربَّهُمْ بالبَشَرِ كُفّارًا، فقالَ لهُ بَعْضُ القَومِ: أَبالإحْداثِ أمْ بالإنكارِ؟ قالَ: بَلْ بالإنكارِ، ويصِفُونَ ربَّهُمْ بالصُّوَرِ والأمثالِ والأشباهِ، أولئِكَ لا خَلاقَ لهُمْ فِي الآخرةِ ولهُمْ عذابٌ أليمٌ»[1].

وَعَنْهُ، وعنِ الحسَنِ أيضًا فِي قولِهِ تعالَى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] قالَ[2]: «لا تخافُونَ لِلهِ عظمةً؛ إذْ يُشَبِّهُونَهُ بِخَلْقِهِ، يجعلُونَ لهُ أَشْباهًا».

(١) أخرجه بمعناه عنه الربيع في مسنده ص٣١٨.

(٢) انظر: تنوير المقباس ص٤٨٧. وفي النكت والعيون ٦/ ١٠١: «الثالث: لا تعرفون لله حقه ولا تشكرون له نعمه، قاله الحسن».

النَّفْسُ[1]

وممّا تأوَّلُوهُ علَى غيرِ التَّأويلِ وحَمَلُوهُ علَى لفظِهِ قَوْلُهُ تعالَى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وَقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وأنا مُبَيِّنٌ وُجُوهَ النَّفسِ والتَّأويلَ الَّذِي يَلِيقُ بِصِفةِ اللهِ تعالَى فِي ذلِكَ إنْ شاءَ اللهُ تَعالَى وَبِهِ التَّوفِيقُ.

النَّفْسُ: نَفْسُ الإنسانِ وغيرِهِ، الَّتِي تَكُونُ بها الحياةُ، ومنْهُ قولُهُ تعالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥، وغيرها].

والنَّفْسُ: / الشَّيءُ الَّذِي يُخْبَرُ عنهُ؛ كقولِهِمْ: فعَلَ ذلِكَ فلانٌ نفْسُهُ، إذا تولَّى فِعْلَهُ. [٤/١٦٦]

والنَّفْسُ: الأَنَفةُ، ومنْهُ قولُهُمْ: لَيْسَ لِفُلانٍ نَفْسٌ، أَيْ: أَنَفةٌ[2].

(١) تحرَّ في تفصيل الحديث عنه: الأشباة والنظائر في القرآن الكريم ص٢٧٠، ومختصر الوجوه في اللغة ص١٠٠، وجوه القرآن ص٣٣، والزاهر للأزهري ص٣٥٨، والغريبين ٦/ ١٨٩٦، وتصحيح الوجوه والنظائر ص٤٧٣، والإبانة في اللغة ٤/ ٣٩٧، والوجوه والنظائر للدمغاني ٢/ ٢٦٧، والمفردات ص٥٠١، والتكملة للصغاني ٣/ ٤٣٨، وشمس العلوم ١٠/ ٦٦٨٦، ونزهة الأعين النواظر ص٥٩٥، وعمدة الحفاظ ٤/ ٢٠٤، والتاج «ن ف س»، ورسالة في معاني لفظة «النفس» لمستحي زاده، مخطوط الأزهرية رقم (٩٧٧مجاميع)٦٤١٣٠بخيت-من ٩٨-١٠٤.

(٢) انظر: الإبانة في اللغة ٤/ ٣٩٧، والزاهر للأزهري ص٣٥٨.

والنَّفسُ: الإرادةُ [١]، ومنْهُ قولُهُمْ: نفسُ فلانٍ فِي كذا، أيْ: فِي إرادَتِهِ وشهوتِهِ.

والنَّفْسُ: العينُ الَّذِي تُصِيبُ الإنسانَ[٢]، يُقالُ: أصابَتْ فلانًا نفسٌ، أيْ: عينٌ[٣].

والنَّفسُ: مِقْدارُ الدَّبْغةِ منَ الدّباغِ[٤]، يُقالُ: أَعْطِنِي نَفْسًا أوْ نفسَينِ منَ الدّباغِ[٥].

والنَّفسُ: الغَيبُ، يقالُ: إنِّي لا أعلَمُ نفسَ فلانٍ، أيْ: غَيْبَهُ[٦].

والنَّفسُ: الضَّميرُ، ومنْهُ قولُهُمْ: أنا أعلَمُ ما فِي نفسِ فلانٍ، أيْ: ضَمِيرهُ وَما عِنْدَهُ.

والنَّفسُ: العقُوبةُ، يُقالُ: أُحَذِّرُكَ نَفْسِي، أَيْ: عُقُوبَتِي[٧].

فقولُهُ تعالَى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، أيْ: تَعْلَمُ غَيبِي وما عندِي، ولا أعلَمُ غيبَكَ[٨].

(١) انظر: التاج «ن ف س».

(٢) انظر: مختصر الوجوه في اللغة ص١٠٠، ومتخير الألفاظ ص١٧٩، والتاج «ن ف س».

(٣) انظر: الألفاظ لابن السكيت ص٤٠٣، والتقفية ص٤٦٢، والغريبين ٦/ ١٨٧٢.

(٤) انظر: مختصر الوجوه في اللغة ص١٠٠، والزاهر للأزهري ص٣٥٨.

(٥) انظر: إصلاح المنطق ص٨٢، وديوان الأدب ١/ ١١٤، والمجمل ٢/ ٨٧٩، وشمس العلوم ١٠/ ٦٦٨٦.

(٦) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص٣٢٠، واللسان «ن ف س».

(٧) ومن قوله عزوجل: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، أي: عقوبته. انظر: الأشباه والنظائر للدمغاني ٢/ ٢٦٩، وعمدة الحفاظ ٤/ ٢٠٤.

(٨) انظر: الوجوه والنظائر للدمغاني ٢/ ٢٦٩، وكان الأحرى بالمؤلف أن يذكر هذه الآية تحت معنى «الغيب» كما في الدمغاني وغيره، ولا سيما أن تفسيره لها يقرر ذلك. وهذا التفسير مرويٌّ عن ابن عباس في: التفسير البسيط ٧/ ٦٠١. وانظر: معاني الزجاج ٢/ ٢٢٣، والهداية لمكي ٣/ ١٩٤٧. =

ويُبَيِّنُ ذلِكَ ما رُوِيَ عنِ الحسَنِ في قولِهِ تعالَى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، أيْ: تَعْلَمُ غَيبِي ولا أعلَمُ ما فِي غيبِكَ[١]. ورُوِيَ عنْ مجاهدٍ عنْ أبِيهِ مثلُ ذلِكَ.

وقولُهُ تعالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] معناهُ: يُحَذِّرُكُم إيّاهُ[٢].

وقالَ بعضُ العلماءِ: معناهُ: يُحَذِّرُكُمْ عقوبَتَهُ[٣].

وقدْ جاءَ عنِ العلماءِ بالتَّأويلِ المعنَيانِ جميعًا؛ فمِنْ ذلِكَ ما رُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ في قولِهِ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] قالَ: عُقُوبَتَهُ[٤].

وعنِ الحسنِ قالَ: يحذِّرُكُمْ اللهُ عِقابَهُ ونِقْمَتَهُ[٥].

وعنْهُ، وعنْ مجاهدٍ أيضًا قالا: يُحذِّرُكُمُ اللهُ [اللهَ][٦].

= وحُملتْ في الآية على وجه آخر أفصح عنه الصغاني بقوله: «والنَّفْس: العِنْدُ، ومنه قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، أيْ: تعلم ما عندي، ولا أعلم ما عندك. وقيل: معناه تعلم غَيْبِي ولا أعْلَمُ غَيْبَكَ» التكملة والذيل والصلة ٣/ ٤٣٨. وانظر: الزاهر للأزهري ص٣٥٨.

(١) انظر: معاني النحاس ٢/ ٣٩١، والهداية لمكي ٣/ ١٩٤٧، والتكملة للصغاني ٣/ ٤٣٨.

(٢) هو قول الزجاج في معانيه ١/ ٣٩٧، وانظر: الهداية لمكي ٢/ ٩٠٩، والإبانة في اللغة ٤/ ٣٩٦، والغريبين ٦/ ١٨٦٩.

(٣) هو قول ابن عباس كما سيرد.

(٤) انظر قوله في: التفسير البسيط ٥/ ١٧٥.

(٥) انظر قوله في: المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٤٢٠، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٤٤٣. وورد بلا نسبة في: فتح القدير ١/ ٣٣١.

(٦) تتمة يقتضيها المقام من: الإبانة في اللغة ٤/ ٣٩٦، ونُسب فيها القول له.

فهذا التَّأويلُ الصَّحيحُ المُشْبِهُ لما وَصَفَهُ الله[١] تعالَى فِي جلالِهِ لا كما يقولُ المُشَبِّهةُ للهِ بخَلْقِهِ: إنَّ لمِعَبْودِهِمْ نَفْسًا مَنْفُوسةً تجري عليها الصِّفاتُ الجاريةُ علَى أنفُسِ المخلوقِينَ[٢]، تعالَى الله عمّا يَقُولُ القاسِطُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

(١) قال الواحدي: «النفس عند المتكلمين في صفة الله تعالى عبارة عن ذاته وحقيقة وجوده، والموجود يقال له: عين وذات ونفس، وهذا لا يوجب تشبيهًا» التفسير البسيط ٧/ ٦٠١.

(٢) انظر: إبطال التأويلات ١/ ٤٤٤.

وقال ابن فورك مقررًا كلام المؤلف: «ومنها: نفس بمعنى إثبات الذات، وهذا كما قال العرب: هذا نفس الأمر؛ يريدون به: إثبات الأمر، لا أن له نفسا منفوسة مجسمة، وعلى هذا المعنى يوصف الله تعالى بأن له نفسًا...» مشكل الحديث وبيانه ص٣١٩. وانظر: الحجة في بيان المحجة ١/ ١٠٤، ومجموع الفتاوى ٩/ ٢٩٢، وأقاويل الثقات ص١٨٧.

العَـينُ[1]

وممّا حملُوهُ علَى ظاهرِ اللَّفظِ وتأوَّلُوهُ بغيرِ التَّأويلِ قولُهُ تعالَى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، وقولُهُ تعالَى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[2] [هود: ٣٧].

وأنا أُفَسِّرُ «العَيْنَ» علَى كمْ معنًى تَقُولُها العَرَبُ وأُبَيِّنُ معنَى قولِ اللهِ تعالَى التَّأويلِ الصَّحيحِ، ولا قوّةَ / إلّا باللهِ. [١١٧]

العينُ: ذاتُ الحَدَقةِ[3].

(١) تحرَّ في تفصيل الحديث عنه: الأجناس من كلام العرب لأبي عبيد ص٨، والفاخر للمؤلف ص٤٤-٤٥، والزاهر لابن الأنباري ٢/ ٤٨، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٢٢٢، وديوان الأدب ٣/ ٣٠٧، ومختصر الوجوه في اللغة ص٧٨، ووجوه القرآن ص٣١١، والإبانة في اللغة العربية ٣/ ٤٨٣، وتصحيح الوجوه والنظائر ص٣٥٦، وفقه اللغة وسر العربية ص٢٦٢، والوجوه والنظائر للدمغاني ٢/ ٨٣، وشمس العلوم ٧/ ٤٨٤٨، ونزهة الأعين النواظر ص٤٤٣، وعمدة الحفاظ ٣/ ١٤٨، والمحكم، واللسان، والتاج «ع ي ن»، وقصيده في معاني لفظ العين للسجاعي، ومنه نسخة بالمكتبة الأزهرية برقم (٣٧٠ معارف عامة، ٧٣٣٠ أباظة)، لوحة ١٣-١٤.

(٢) في أبكار الأفكار ١/ ٤٥٦: «قالت المشبهة: هما عينان بمعنى الجارحتين».
وفي الإيضاح في أصول الدين ص٢٩١: «وقد امتنعت المعتزلة والأشعرية من أن يقال لله ـ تعالى ـ عين بظاهر هذه الآيات، وتأولوا هذه الآيات....». وانظر: شرح الأصول الخمسة ص٢٢٧، وغاية المرام في علم الكلام ص١٤٠.

(٣) وهو أصل معانيها. انظر: نزهة الأعين النواظر ص٤٤٣.

والعينُ: النَّقْدُ [١]، يقالُ: بِعْتُ الثَّوبَ بكذا عينًا ودَينًا، إذا كانَ بعضُهُ نَقْدًا.

والعينُ: الَّتِي تُصِيبُ الفاضِلَ فتُفْسِدُهُ [٢].

والعينُ: نَفْسُ الشَّيءِ، يقالُ: هوَ دِرْهَمِي بعينِهِ[٣].

والعينُ: الَّتِي تكونُ فِي المِيزانِ[٤].

والعينُ: الشَّمسُ[٥]، يقالُ: طلعَتِ العينُ، وغابَتِ العينُ[٦].

والعينُ: الدَّنانيرُ[٧].

والعينُ: عينُ الماءِ الَّتِي تَكونُ فِي البِئْرِ وأشباهِها[٨].

والعينُ: القناةُ[٩].

(١) انظر: الأجناس لأبي عبيد ص٨، وديوان الأدب ٣/ ٣٠٧، وفقه اللغة وسر العربية ص٢٦٢، وشمس العلوم ٧/ ٤٨٤٩.

(٢) انظر: عمدة الحفاظ ٣/ ١٤٨.

(٣) أي: بذاته ونفسه. قال المفضل: «فأما قولهم: هو درهمي بعينه، فالمعنى: بنفسه، وعين الشيء: نفسه» الفاخر ص٤٤. وانظر: المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٢٢٦، وديوان الأدب ٣/ ٣٠٧، وفقه اللغة وسر العربية ص٢٦٢، وشمس العلوم ٧/ ٤٨٤٩.

(٤) في ديوان الأدب ٣/ ٣٠٧: «ويُقالُ: في الميزان عَيْنٌ؛ إذا رَجَحَتْ إحدى كِفَّتَيه عن الأخرى». وفي مختصر الوجوه في اللغة ص٧٨: «الميل في الميزان».

(٥) انظر: عمدة الحفاظ ٣/ ١٤٨.

(٦) في التاج «ع ي ن»: «العَيْنُ: الشَّمسُ نفْسُها، يقالُ: طَلَعَتِ العَيْنُ وغابَتِ العَيْنُ، حَكاه اللِّحْيانيُّ تَشْبيهًا لَها بالجارِحةِ؛ لكَوْنِها أَشْرَف الكَواكِبِ، كَما هِيَ أَشْرَف الجَوارِحِ».

(٧) انظر: ديوان الأدب ٣/ ٣٠٧، وفقه اللغة وسر العربية ص٢٦٢.

(٨) ومنه قوله عزوجل: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ﴾.

(٩) في المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٢٢٦: «القناة التي تُعْمَلُ حتى يظهر ماؤها».

والعينُ: الفوّارةُ الَّتِي يفورُ منها الماءُ منْ غيرِ عمَلٍ(١).

والعينُ: مطرُ أيّامٍ لا يُقْلِعُ، يُقالُ: أصابَتْنا عينٌ منْ مطرٍ(٢).

والعينُ: ما عنْ يَمِينِ قِبْلةِ أَهْلِ العِراقِ(٣)؛ وهوَ مَهَبُّ الجَنُوبِ، يُقالُ: نَشَأَتْ سحابةٌ منْ قِبَلِ العَيْنِ(٤).

وَعَيْنُ القَوْمِ: رَئِيسُهُمْ والمَنْظُورُ إليهِ مِنْهُمْ، يُقالُ: هُمْ أَعْيانُ بَنِي فُلانٍ، أَيْ: أَشرافُهُمْ(٥).

والعينُ: الرَّقيبُ الَّذِي يُعَرِّفُ القومَ أخبارَ أعدائِهِم(٦).

والعينُ: المُراعاةُ لِلشَّيءِ والعنايةُ بهِ(٧)، ومنْهُ قَوْلُهُمْ: كلُّ شيءٍ تفعلُهُ بعينِي، أَيْ: أرعاهُ وأُعْنَى بهِ.

فقولُ اللهِ تعالَى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، أيْ: بكَلاءَتِي إيّاكَ وحفظِي لَكَ قيَّضْتُ لكَ مَنْ يُرَبِّيكَ وَيَغْذُوكَ(٨).

١) انظر: المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٢٢٦.

٢) انظر: مختصر الوجوه في اللغة ص٧٨، وفقه اللغة وسر العربية ص٢٦٢، وشمس العلوم ٧/ ٤٨٤٩.

٣) انظر: مختصر الوجوه في اللغة ص٧٨.

٤) انظر: ديوان الأدب ٣/ ٣٠٧.

٥) انظر: شمس العلوم ٧/ ٤٨٤٩، ونزهة الأعين النواظر ص٤٤٣.

٦) انظر: فقه اللغة وسر العربية ص٢٦٢.

٧) وفيه إشارة إلى الحفظ، ومنه قوله عزوجل: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾. انظر: تصحيح الوجوه والنظائر ص٣٥٨.

٨) انظر: النكت والعيون ٣/ ٤٠٢-٤٠٣، ومشكل الحديث وبيانه ص٢٦١.

ومما يُبَيِّنُ ذلكَ ويُصَحِّحُهُ ما رُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ في قَولِهِ تعالَى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ قالَ: «وَلِتُرَبَّى بِأَمْرِي»(١).

وعنِ الحسنِ أنَّهُ قالَ(٢): «وَلِتُغَذَّى بِعِلْمِي»(٣).

وكذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، أيْ: في كَلاءَتِنا(٤).

ويُبَيِّنُ ذلكَ ما رُوِيَ عنِ الضَّحّاكِ في قولِهِ تعالَى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] قالَ: «فإنَّكَ في حفظِنا وكلاءَتِنا»(٥).

وَعَنْ مُجاهِدٍ عَنْ أَبيهِ في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] قالَ: «بِعِلْمِنا يتقَلَّبُ»، وهوَ قَوْلُهُ تعالَى: ﴿ٱلَّذِى(٦) يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ ٢١٩]، وقَوْلُهُ تعالَى: ﴿[وَٱللَّهُ] يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وقولُهُ تعالَى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، أيْ: «بتعليمِنا إيّاكَ ذلكَ لِحِفْظِنا إيّاكَ ورِعايَتِنا أمرَكَ»(٧).

ويُبَيِّنُ ذلِكَ ما رُوِيَ عنْ [ابنِ] عبّاسٍ في قولِهِ تعالَى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ قالَ: «بتعليمِنا ووَحْينا/ »(٨). [١١٧ـ]

(١) انظر قوله في: مسند الربيع ص٣٣٤.

(٢) انظر قوله في: مسند الربيع ص٣٣٤.

(٣) هو قول أبي عبيده في مجازه ٢/ ١٩، والزجاج في معانيه ٣/ ٣٥٦. وانظر: زاد المسير ٥/ ٢٨٤.

(٤) انظر: أبكار الأفكار ١/ ٤٥٧.

(٥) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص٢٥٩.

(٦) في الأصل: وهو الذي، والصواب المثبت.

(٧) انظر: تفسير القرطبي ٩/ ٣٠، وزاد المسير ٤/ ١٠١، وعمدة الحفاظ ٣/ ١٤٨.

(٨) انظر: تنوير المقباس ص١٨٥، ولفظه: «﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بنظر منا، ﴿وَوَحْيِنَا﴾ بأمرنا».

قالَ: «فهبطَ الله جبريلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فعلَّمَهُ كيفَ يجعَلُ طولَها وعَرْضَها وسُمْكَها ورأْسَها وذَنَبَها؟» (١).

ورُوِيَ عنِ الحسنِ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] قالَ: «بِأَمْرِنا» (٢).

فهذا تأويلُ هذِهِ الحروفِ الصَّحيحُ اللّائِقُ بصفةِ اللهِ تعالَى (٣).

(١) بمعناه في: تفسير الطبري ١٢/ ٣٤.

(٢) هو قول الضحاك في: النكت والعيون ٥/ ٤١٢.

(٣) قال الواحدي: «... قول أصحاب الأثر والنقل يقولون: الأعين يُعنى بها العين، وعين الله لا تفسر بأكثر من ظاهرها، ولا يسع أحدًا أن يقول: كيف هي أو ما صفتها، وهذه طريقة السلف» التفسير البسيط ١١/ ٤١٠. وانظر: التوحيد لابن خزيمة ١/ ٩٦، وإبطال التأويلات ١/ ٣٤٨، والإبانة للأشعري ص ١٢٠، واللسان «ع ي ن».

الصَّمَدُ[١]

وممّا عَدَلَ فيهِ المُلْحِدُونَ بلفظِ حرفٍ إلَى حرفٍ آخَرَ ليُضِلُّوا بِهِ الجُهّالَ فَقَبلُوهُ منهُمْ جَهْلًا باللُّغةِ، وغيًّا عنْ تأويلِ القُرْآنِ؛ قولُهُ تعالَى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: ٢].

والصَّمَدُ فِي كلامِ العرَبِ: السَّيِّدُ المُطاعُ فِي قومِهِ ليسَ فوقَهُ أحَدٌ[٢].

والصَّمْدُ بالتَّسكينِ: ما صَلُبَ منَ الأرضِ[٣].

والصَّمْدُ: الأصَمُّ منَ الحجارةِ لا تَخَلْخُلَ فيهِ[٤].

(١) تحر في تفصيل الحديث عنه: الزاهر لابن الأنباري ١/ ٨٢، وتفسير أسماء الله الحسنى ص٥٨، ٥٩، واشتقاق أسماء الله الحسنى ص٢٥٢، وشأن الدعاء ص٨٥، والزينة ٢/ ٤٣، والأسماء والصفات للبيهقي ١/ ١٥٤، وشرح أسماء الله الحسنى لابن برجان ١/ ٩٨، والغريبين ٤/ ١٠٩٦، والمقصد الأسنى للغزالي ص١٣٤، وموارد ذوي الاختصاص إلى مقاصد سورة الإخلاص لابن بنت الميلق ص١١١، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ص٣١٥، ومنتهى المنى للبيضاوي ص١٩٥، وشرح أسماء الله الحسنى للقشيري ص٢١٨، ولزروق ص١٠٨، وعمدة الحفاظ ٢/ ٣٥٣، وشرح الأسماء الحسنى للقونوي ص١٤١، وللكافيجي ص١٩٧، وللسنوسي ص٥٥، والعجالة الحسنى ص٥٩.

(٢) نعته ابن الأنباري بأنه قول أهل اللغة أجمعين. انظر: الزاهر لابن الأنباري ١/ ٨٣. وانظر: مجاز القرآن ٢/ ٣١٦.

(٣) انظر: المجمل ٢/ ٥٤١، والمقاييس ٣/ ٣١٠، والغريبين ٤/ ١٠٩٦-١٠٩٧.

(٤) انظر: الصحاح ٢/ ٤٩٩.

ففسَّرَ الملحدُونَ لِهَؤلاءِ الجُهّالِ «الصَّمَدَ» بتفسيرِ «الصَّمْدِ»؛ فَقالُوا: هوَ المُصْمَتُ الَّذِي لا جَوْفَ لَهُ، فقبلُوهُ مِنْهُمْ [١]؛ لقلّةِ معرِفَتِهِمْ بكلامِ العربِ وجهلِهِمْ بصفةِ اللهِ تعالَى الَّتِي وصفَ بها نفسَهُ.

ومِمّا يُبَيِّنُ أنَّ الصَّمَدَ السَّيِّدُ الَّذِي لا أحدَ فوقَهُ ما رُوِيَ عنْ شقيقٍ[٢] قالَ[٣]: كانَ يقالُ: «الصَّمدُ: السَّيِّدُ الَّذِي قدِ انتَهَى فِي سُؤْدُدِهِ» [٤].

وما رُوِيَ عنِ ابنِ مسعودٍ أنَّهُ سُئِلَ عنِ الصَّمَدِ فقالَ: «هوَ السَّيِّدُ المَصْمُودُ[٥] إليهِ بالحَوائِجِ» [٦].

(١) قال ابن فورك: «واعلم أَن المشبهة قد تأولت (الصَّمد) على معنى أَنه مصمت لَيْسَ بأجوف، وَكَيف يَصح أَن يُقال: خرج مِنْهُ كَلامه على تَقْدِير خُرُوجه من الْأَجْسام المجوفة، فَعلمت بذلك تناقض قَوْلهم» مشكل الحديث وبيانه ص٢٨٩.
وقال الواحدي أيضًا: «.. لكن الصمد بهذا المعنى لا يجوز في صفة الله -تعالى-؛ لأن المصمت هو المتضاغط الأجزاء، وهذا تشبيه وكفر بالله» التفسير البسيط ٢٤/ ٤٣٨.

(٢) هو: شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي أدرك النبي ﷺ وليست له صحبة، ولد في السنة الأولى من الهجرة، وسكن الكوفة وكان من عبادها، وروى عن: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطائفة من الصحابة والتابعين، وروى عنه: منصور، والأعمش، وجامع بن أبي راشد، وحصين بن عبد الرحمن وغيرهم، مات بعد الجماجم سنة اثنتين وثمانين.
انظر ترجمته في: التاريخ الكبير ٤/ ٢٤٥، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣١٧، وصفة الصفوة ٣/ ٢٨.

(٣) انظر قوله في: النكت والعيون ٣/ ٣٧١، والكشف والبيان ١٠/ ٣٣٤، وموارد ذوي الاختصاص ص١١٣.

(٤) انظر: معاني الزجاج ٥/ ٣٧٧، والزينة للرازي ٢/ ٤٣.

(٥) أي: المقصود.

(٦) انظر: ديوان الأدب ١/ ٢٠٩، وشمس العلوم ٦/ ٣٨٢٠.

وما رُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ[١] أنَّ رجُلاً منْ صنادِيدِ العربِ أتَى النَّبيَّ ﷺ قالَ: يا محمَّدُ، أتَصِفُ لنا ربَّكَ؟ قالَ: «رَبِّي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَصِفَهُ»، فَأَنْزَلَ الله تَعالَى عَلَى نَبِيِّهِ قُلْ لهذا السّائلِ الَّذِي سأَلَكَ عنْ صفةِ اللهِ تعالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٢]، فليسَ معهُ شريكٌ، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ المصمُودُ إليهِ بالحوائجِ، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] فليسَ بوالِدٍ ولا مولودٍ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، أيْ: شَبِيْهٌ فَيُنسبُ إليهِ.

وما رُوِيَ عنْ عكرمةَ[٢] فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ قالَ: «السَّيِّدُ الَّذِي قَدِ انتهَى، فَلَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ[٣]».

وما رُوِيَ عنِ الحسَنِ قالَ[٤]:«﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الدّائِمُ».

وممّا يُبْطِلُ ما ادَّعاهُ هؤلاءِ المبطلُونَ ما رُوِيَ عنْ سعيدِ بنِ المسيّبِ قالَ[٥]: [١١٨أ] «ما وحَّدَ اللهَ عبدٌ يقولُ: إنَّ اللهَ مصمتٌ هوَ أعظمُ منْ أنْ يقعَ عليهِ الأوهامُ/ ، أوْ تدركَ كُنْهَ عظمَتِهِ العقُولُ، ولكنَّ الصَّمَدَ هوَ السَّيِّدُ».

(١) انظر: تنوير المقباس ص٥٢٢.

(٢) انظر قوله في: الكشف والبيان ١٠/ ٣٣٥، و التفسير البسيط ٢٤/ ٤٣٨.
ونُسب إليه قول آخر في غريب القرآن لابن قتيبة ص٥٤٢، وهو: «قال عكرمةُ ومجاهدٌ: هو الذي لا جَوْفَ له». ونُسب إليه هذا القول أيضًا في: النكت والعيون ٦/ ٣٧١.
وفي مسند الربيع ص٣٣٦: «قال عكرمة: الصمد: القاهر فوق عباده».

(٣) انظر: الزينة للرازي ٢/ ٤٣.

(٤) انظر قوله في: التهذيب: «ص م د»، والنكت والعيون ٣/ ٣٧١، والتفسير البسيط ٢٤/ ٤٣٨، وبصائر ذوي التمييز ٣/ ٤٤١.
وفي العين ٧/ ١٠٤: «الصَّمَدُ عن الحَسَنِ: الذي أصمدت إليه الأمورُ، فلا يعتني فيها أَحَدٌ غيرُه».

(٥) ورد في مسند الربيع ص٣٣٦.

فهذا الوصفُ الَّذِي يجِبُ علَى مَنْ آمَنَ باللهِ أنْ يصِفَهُ بهِ، نعوذُ باللهِ أَنْ نكُونَ منَ القاسطِينَ[1] عنِ الحقِّ، العانِدِينَ عنَ القَصْدِ.

(١) أي: الجائرون.

الصَّلاةُ[١]

وممّا حملُوهُ علَى لفظِهِ وشبّهتِ الملاحِدةُ عَلَيهِم فيهِ فمالُوا إليهِ لضَعْفِ عقولِهِمْ وفسادِ روياتِهِمْ؛ قولُ اللهِ تعالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].. الآية، فذهبُوا إلَى أنَّ اللهَ تعالَى يُصَلِّي كما يُصَلِّي عِبادُهُ تعالَى الله عمّا يقولُ الظّالمُونَ واحتجُّوا فِي ذلِكَ بحديثٍ رَوَوْهُ أنَّ جبرئيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أبطأَ علَى النَّبيِّ ﷺ، فلمّا جاءَهُ قالَ[٢]: «إنِّي وَجَدْتُ ربِّي يُصَلِّي».

وأنا مُفَسِّرٌ الصَّلاةَ علَى [أيِّ] وجْهٍ يكونُ، وما الأولَى بصفةِ اللهِ تعالَى[٣].

(١) تحر في تفصيل الحديث عنه: الأجناس من كلام العرب لأبي عبيد ص٥٤، والتصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائهُ وتصرفت معانيه ص١٦٦، والزاهر لابن الأنباري ١/ ٤٥، ووجوه القرآن ص٢٧٠، والإبانة في اللغة ٣/ ٣٣٧، والصحاح ٦/ ٢٤٠٢، وتصحيح الوجوه والنظائر ص٢٨٨، والغريبين ٤/ ١٠٩٤، وشمس العلوم ٦/ ٣٧٩٥، ونزهة الأعين النواظر ص٣٩٣.

(٢) ورد في مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص٣٤٣.

(٣) قال ابن فورك: «ومعنى قوله تعالى أبلغهم أني أصلي، أي: أني أرحم وأغفر وأستر... ولا يجوز أن يوصف الله -تعالى- بهذا النوع من الصلاة التي تتضمن هذه الحركات والهيئات؛ لاستحالة كونه جسمًا محدودًا يتحرك ويسكن، وجائز وصفه بالصلاة التي هي الثناء والدعاء والرحمة وما وصف به من ذلك، فعلى هذا المعنى لا على غيره» مشكل الحديث ص٣٤٤.

وفي التفسير البسيط ١٨/ ٢٨٨: «قال مقاتل: أما صلاة الرب فالمغفرة..».

الصَّلاةُ: ذاتُ الرُّكوعِ والسُّجودِ الَّتي أمرَنا الله تعالَى بها[١]، فقالَ: ﴿ وَأَقِيمُوا۟[٢] ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

والصَّلاةُ: الدُّعاءُ والاستغفارُ، ومنهُ قولُهُ تعالَى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي: ادْعُ لهُمْ واستغفِرْ لِذُنُوبِهم[٣].

ومنهُ قولُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ[٤]: «إذا دُعِيَ أحدُكُمْ إلَى طعامٍ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كانَ صائِمًا فَلْيُصَلِّ» أيْ: فَلْيَدْعُ لأَهْلِهِ وَيَنْصَرِفْ[٥].

والصَّلاةُ: الموضِعُ الَّذِي يُصَلَّى فيهِ[٦]، ومنْهُ قولُهُ تعالَى: ﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ ﴾ [الحج: ٤٠][٧].

والصَّلاةُ: الرَّحمةُ والرِّضوانُ، وهيَ صلاةُ اللهِ تعالَى علَى عبادِهِ، أيْ: رحمتُهُ إيّاهُمْ ورضاهُ عنهُمْ، وهوَ معنَى قولِهِ تعالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾

(١) في الهداية إلى بلوغ النهاية ٩/ ٥٨٤٧: «وسمي الركوع والسجود صلاة؛ للدعاء الذي يكون في ذلك».

(٢) في الأصل: أقيموا، والصواب المثبت.

(٣) انظر: معاني الزجاج ٢/ ٤٦٧، والتفسير البسيط ٣/ ٤٣١، وفقه اللغة للثعالبي ص٢٦١، وزاد المسير ٢/ ٢٩٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ١٠٥٤-حديث رقم (١٤٣١)، والترمذي في سننه ٣/ ١٥٠، وأحمد في مسنده ٢/ ٢٧٩، وابن حبان في صحيحه ١٢/ ١٢٠.

(٥) أي: ليدع لأرباب الطعام بالمغفرة والبركة.
انظر: حلية الفقهاء ص٦٥، والمقاييس ٣/ ٣٠٠، والغريبين ٤/ ١٠٩٤.

(٦) أي: سُمي المكان باسم ما يقع فيه. انظر: معاني الزجاج ٣/ ٤٣٠، وشمس العلوم ٦/ ٣٧٩٦.

(٧) انظر: وجوه القرآن ص٢٧٣، ونزهة الأعين النواظر ص٣٩٥.

[الأحزاب: ٥٦].. الآية، أيْ: إنَّ اللهَ راضٍ عنهُ غافِرٌ ذَنْبَهُ، والمَلائكةُ مُستغفِرةٌ لهُ داعِيةٌ بأنْ يرضَى اللهُ عنهُ، فأمَرَ المُؤمنينَ أنْ يَكُونُوا كالمَلائِكةِ، ويدعُوا للنَّبيِّ بأنْ يَرْضَى اللهُ عَنْهُ ويُبَلِّغَهُ ما وَعَدَهُ[١].

وقالَ بعضُ العلماءِ: الصَّلاةُ: الثَّناءُ والذِّكْرُ الحَسَنُ[٢].

ومِمَّا يُبَيِّنُ ذلكَ ما رُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٦].. الآية، قالَ: الصَّلاةُ / منَ اللهِ: الرِّضا والثَّناءُ، والصَّلاةُ منَ الملائكةِ: الاستغفارُ والدُّعاءُ، والصَّلاةُ منَ المؤمنينَ: ثناءٌ بعدَ ثناءٍ[٣]، وهوَ قولُهُ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. ورُوِيَ عنِ الحسنِ مِثْلُ ذلِكَ. [١١٨-ب]

فلوْ عقلَ هؤلاءِ القومُ لأَخذُوا بحديثِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ الَّذِي رواهُ عُبيدُ اللهِ ابنُ موسَى، عنْ أبي سهْلٍ، عنِ الزُّهريِّ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ[٤]: «ما مِنْ كَلِمةٍ إلّا وَلَها وَجْهانِ، فاحْمِلُوا الكَلامَ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِهِ»، فتأَوّلُوا كتابَ اللهِ وحديثَ رسولِهِ أحسنَ تأويلٍ، ولكنَّ الشَّيطانَ استحوَذَ عليهِمْ فَرانَتْ علَى قلوبِهِمُ الضَّلالةُ، واشتَملَتْ عليها الجهالةُ؛ فَهُمْ عَنِ الحقِّ عَمُونَ، وعنِ الهُدَى حائِدُونَ.

(١) انظر: تصحيح الوجوه والنظائر ص٢٩٠.

(٢) انظر: الإبانة في اللغة ٣/ ٣٣٨.

(٣) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص٣٤٤، والغريبين ٤/ ١٠٩٤، والمجموع المغيث ٢/ ٢٨٧، والمفردات ص٢٨٥، والنظم المستعذب ١/ ٦.

(٤) أخرجه الربيع في مسنده ص٣٣٩.

السّاقُ[١]

وممّا تأوَّلُوهُ أَقْبَحَ تَأْوِيلٍ وَحَمَلُوهُ علَى ظاهِرِ الكَلامِ المُتعارَفُ بَيْنَ الجُهّالِ دُونَ ما يَعْرِفُهُ العُلَماءُ فضَلُّوا وَأَضَلُّوا؛ قولُهُ تعالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] فذهبُوا إلَى أنَّ السّاقَ ذاتُ القَدَمِ[٢]، واعتمدُوا علَى حَدِيثٍ رَوَوْهُ[٣]: أنَّ ربَّهُمْ يَأتِيهِم يَوْمَ القِيامةِ فِي غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَهُ بها فَيَقُولُ: «أنا ربُّكُمْ»، فيقولُونَ لهُ: كذبتَ، لَسْتَ بربِّنا، وبينَنا وبينَهُ علامةٌ، قالَ: فَيَأتِيهِم فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَهُ بِها يَنْكَشِفُ لهُ عنْ ساقِهِ فَيَخِرُّونَ للهِ سُجَّدًا[٤]، تعالَى اللهُ عمّا يقولُونَ علُوًّا كبيرًا[٥].

وأنا مُفَسِّرٌ علَى كمْ معنًى يقالُ: السّاقُ، وما معنَى قولِ اللهِ تعالَى علَى صحّةِ التَّأويلِ، وباللهِ التَّوفيقُ.

السّاقُ: ذاتُ القَدَمِ.

(١) تحر في تفصيل الحديث عنه: الأجناس لأبي عبيد ص٣، ومختصر الوجوه في اللغة ص٥٧، ووجوه القرآن ص٢٥٧، والوجوه والنظائر للدمغاني ١/ ٤٣٨، والغريبين ٣/ ٩٥٣، ونزهة الأعين النواظر ص٣٤٠، وعمدة الحفاظ ٢/ ٢٣٧، والقاموس ص٨٩٥.

(٢) انظر: أبكار الأفكار ١/ ٤٦٠، وإبطال التأويلات ١/ ١٥٩، والرد على الجهمية لابن منده ص٣٧، ودفع شبه التشبيه ص١٢٠.

(٣) أخرجه المستدرك في الصحيحين ٤/ ٣٦٦، والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ٣٥٩.

(٤) في الأصل: ساجدا، والصواب المثبت.

(٥) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص٣٤٧، ٤٠٨، ٤١٢.

والسّاقُ: ساقُ الشَّجَرِ الَّذِي يَرْتَفِعُ عَلَيْهِ (١).

والسّاقُ: الشِّدّةُ، ومنهُ ساقُ الحربِ، يُقالُ: قامَتِ الحَرْبُ علَى ساقٍ وكشفَتْ عنْ ساقِها؛ إذا أظهَرَتْ شدَّتَها(٢).

والسّاقُ: اتِّصالُ الأمرِ بالأمرِ، وهوَ أنْ يخرُجَ الإنسانُ منْ شيءٍ إلَى غيرِهِ فيقَعَ فيهِ.

فمعنَى قَوْلِهِ تعالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أيْ: يظهَرُ أَمْرٌ شَدِيدٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ تعالَى (٣).

[١١٩/أ] وإنَّما وصَفَ اللهُ تعالَى فِي هذِهِ الآيةَ أهلَ النّارِ؛ وهوَ قولُهُ/ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].. الآية، ألا ترَى أنَّهُ قالَ: ﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ علَى النَّكرةِ، ولمْ يقُلْ: عنْ ساقِهِ.

أفلا يستحِيي هَؤُلاءِ المُشَبِّهةُ منْ أنْ يَصِفُوا اللهَ بفِعْلٍ فعَلَتْهُ صاحِبةُ سُلَيمانَ الَّذِي حكاهُ اللهُ تعالَى عنها فِي قولِهِ تعالَى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ [النمل: ٤٤].

أفلا يُفَكِّرُونَ فِي الحديثِ الَّذِي رَوَوْهُ فيقفُونَ علَى ضُرُوبِ الشِّرْكِ منهُ؛ منْ

(١) انظر: ديوان الأدب ٣/ ٣٣٦، ومفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٤.

(٢) انظر: الصحاح ٤/ ١٤٩٩، والمصباح المنير ١/ ١٢٧.

(٣) قال مكي: «... استعير الساق في موضع الشدة، وهو كثير في القرآن، وإنما هذا في أصل كلام العرب ثم خاطبهم الله على ما يعقلون في كلامهم وما اعتادوا منه» الهداية إلى بلوغ النهاية ٢/ ١٥٢٠. وانظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٨٩، والإبانة في اللغة ١/ ١٧٩.

ذلِكَ قولُهُمْ: «يأتيهِم فِي غيرِ الصُّورةِ الَّتِي يعرفونَ»، فيجعلونَ للهِ صورًا عِدّةً، ويحعلُونَهُ قدْ كانَ معروفًا عندَهُمْ فِي الدُّنيا فتَنَكَّرَ، تعالَى الله عنْ إفْكِهِم.

وَمِنْهُ: أَنَّهُ أرادَ أنْ يُعَمِّي أمرَهُ عليهِمْ كما يفعَلُ المُخادِعُ.

وَمِنْهُ: أَنَّهُمَ يقولُونَ لهُ: كَذَبتَ، كما يُخاطَبُ بِهِ شِرارُ الخَلْقِ.

وَمِنْهُ: أَنَّهُ إذا أتاهُمْ فِي الصُّورةِ الَّتِي يعرفُونَ كشفَ عنْ ساقِهِ، فلا يعرفُونَهُ وقدْ جاءَهُمْ فِي الَّتِي يعرفُونَ حتَّى يكشفَ عَنْ ساقِهِ. فالويلُ لهُمْ ممّا يصِفُونَ إذا جاءَهُمْ ما يعرفُونَ ما ألجأَتْهُ إلَى الكشفِ عنْ ساقِهِ، تعالَى الله ربُّ العزّةِ عمّا يَقُولُ الظّالمُونَ[1].

وممّا يُبَيِّنُ أنَّ معنَى ﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أيْ: يظهرُ منْ شدّةِ أمرِ اللهِ علَى الكفّارِ ما يستحقُّونَهُ[2]، ويُعَطِّلُ ما يدَّعِيهِ القاسِطُونَ ما رُوِيَ عنْ مجاهدٍ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قالَ[3]: «شِدّةُ الأمرِ وَجِدّهُ».

وقالَ ابنُ عبّاسٍ[4]: «هيَ أشدُّ ساعةٍ يومَ القيامةِ».

وقالَ أيضًا[5]: «﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أيْ: عنْ أمرٍ شديدٍ».

وقالَ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: «هيَ أشدُّ ساعةٍ يومَ القيامةِ»[6].

(١) انظر: أساس التقديس ص١٠٩.

(٢) انظر: أقاويل الثقات ص١٧٤.

(٣) ورد قوله في: تفسير الطبري ٢٩/ ٣٨-٣٩، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص٧٤٥.

(٤) انظر قوله في: تفسير الطبري ٢٩/ ٣٩، والرد على الجهمية لابن منده ص٣٨، والتفسير البسيط ٢٢/ ١١٢، ١١٣، والهداية لمكي ١٢/ ٧٦٤٥.

(٥) انظر قوله في: التفسير البسيط ٢٢/ ١١١.

(٦) نُسب أيضًا إلى ابن عباس ومجاهد في: التفسير البسيط ٢٢/ ١١٢، والتذكرة بأحوال =

وقالَ قتادةُ[١]: «﴿يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أيْ: عَنْ شدّةِ الأمرِ، ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ قالَ: بينَ كُلِّ مُؤمِنَيْنِ مُنافقٌ؛ فيسجُدُ المؤمنُونَ، ولا يستطيعُ المُنافقُونَ أنْ يسجُدُوا، فيكونُ ذلِكَ[٢] تَوبيخًا لهُمْ، قالَ اللهُ تعالَى: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣][٣].

هذا معَ ما رُوِيَ عنْ عاصمِ بنِ كُلَيبٍ، قالَ: رأيتُ سعيدَ بنَ المسيّبِ[٤] غضِبَ غضبًا شديدًا لمْ أرَهُ غضِبَ مثلَهُ، وسُئِلَ عنْ قولِهِ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أيُكْشَفُ عنْ ساقِهِ؟ قالَ: إنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا[٥]، إنَّما يَعْنِي: يُكْشَفُ عَنْ شدّةِ الأمرِ، أوْ قالَ: عَنِ الأمْرِ الشَّديدِ. [١١٩/ب] /

فأمّا قولُهُ تعالَى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩] فقدْ جاءَ فيهِ تفسيرانِ:

أحدُهُما: ما رُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ[٦] أنَّهُ قالَ: «أمْرُ الدُّنْيا بِأمْرِ الآخرةِ».

= الموتى وأمور الآخرة ص٧٤٥.

(١) انظر قوله في: تفسير الصنعاني ٣/ ٣١٠، والطبري ٢٩/ ٤٣، والهداية لمكي بن أبي طالب ١٢/ ٧٦٥١، والدر المنثور ٨/ ٢٥٦.

(٢) في الأصل: ذلك تعالى، والصواب المثبت.

(٣) انظر: التفسير البسيط ٢٢/ ١١٤.

(٤) في تفسير الطبري ٢٩/ ٣٩: سعيد بن جبير، ونقل القول المذكور. وكذلك نُقل عنه في: الكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ١٩، والتفسير البسيط ٢٢/ ١١٢. وكذا نُقل بنصه عن ابن عباس في: مسند الربيع ص٣٣٦.

(٥) في مسند الربيع ص٣٣٦: «يعني التشبيه الذي ذكروا».

(٦) تنوير المقباس ص٤٩٤. ونُسب إليه في: التفسير البسيط ٢٢/ ٥١٩، وزاد المسير ٨/ ٤٢٤.

وقالَ مجاهدٌ[١]: «التَّفَّتِ السّاقُ بالسّاقِ عندَ الموتِ، لزمَ الأمرُ الأمرَ فالتَفَّ أمرُ الدُّنيا بأمْرِ الآخرةِ».

وقالَ الضَّحّاكُ[٢]: «الدُّنيا بالآخرةِ».

والآخَرُ: ما رُوِيَ عنِ الحسَنِ قالَ[٣]: «هما ساقانِ فِي الكَفَنِ».

وقالَ الشَّعبيُّ[٤]: «ساقاهُ عندَ المَوتِ». علَى أنَّ بعضَ العلماءِ أنكَرَ هذا التَّفسيرَ.

ألا يُفَكِّرُ هؤلاءِ القومُ فَيُمَيِّزُوا بينَ صفةِ اللهِ وصفةِ المخلُوقينَ فَيَقْدُرُوا اللهَ قدْرَهُ، فقدْ أمرَ رسُولُ اللهِ ﷺ بمُعايَنةِ الأمورِ وتمييزِ بعضِها عَنْ بَعْضٍ.

فمِنْ ذلِكَ ما رُوِيَ عنِ ابنِ عمرَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَفَلا يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنَّهُمْ إذا وَصَفُوا مَعْبُودَهُمْ بِأَنَّهُ ذُو جَنْبٍ كالمَخْلُوقِينَ كان قَولُهُ تعالَى: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] لا معنَى لهُ؛ إذْ كانَ ليسَ للتَّفريطِ فِي الجَنْبِ وجْهٌ»[٥].

(١) انظر قوله في: تفسير الطبري ٢٩/ ١٩٦، والهداية لمكي ١٢/ ٧٨٩١، والدر المنثور ٨/ ٢٦٢.

(٢) أي: ساق الدنيا بساق الآخرة. وورد قوله في: تفسير الطبري ٢٩/ ١٩٦، ومشكل الحديث وبيانه ص٣٤٧. وفي الهداية لمكي ١٢/ ٧٨٩١: «قال الضحاك: معناه: أهل الدنيا يجهزون الجسد، وأهل الآخرة يجهزون الروح»، وحُكي عنه نحوه في: تفسير الطبري ٢٩/ ١٩٦، والدر المنثور ٨/ ٣٦٢.

(٣) انظر قوله في: التفسير البسيط ٢٢/ ٥٢٢، ومفاتيح الغيب ٣٠/ ٢٠٥.

(٤) انظر قوله في: التفسير البسيط ٢٢/ ٥٢٢، وزاد المسير ٨/ ٤٢٤.

(٥) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص٣٠٣، والغنية في أصول الدين ص١١٥، ودفع شبه التشبيه ص١٤٠، والبرهان للزركشي ٢/ ٨٤.

وَمِمّا يُكَذِّبُ دَعْواهُمْ ما رُوِيَ عنْ مجاهدٍ[١] فِي قولِهِ تعالَى: ﴿فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾، أيْ: «فِي أَمْرِ اللهِ»[٢].

(١) تفسيره ٢/ ٥٥٩، والنكت والعيون ٥/ ١٣٢، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٠/ ٦٣٦٤.

(٢) قال ابن حجر الهيتمي: «وأما الجَنْب.. فالمراد به: الأمر؛ إذ التفريط إنما يكون فيه» الفتح المبين بشرح الأربعين ص٤١٦. وانظر: معاني الزجاج ٤/ ٣٥٩، ومقالات الإسلاميين ١/ ٢١٨،-ونسب فيه هذا التأويل للمعتزلة-، والمفردات ص٩٩، وأبكار الأفكار ١/ ٤٥٨، والكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ٧/ ١١٠، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري ٨/ ١٢٩.

اللِّقاءُ[١]

وممّا حملُوهُ علَى ظاهرِ اللَّفظِ الَّذِي يتعاملُونَ بِهِ وجهِلُوا معناهُ قولُهُ تعالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقولُهُ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦] وأشباهُ ذلِكَ.

وأنا مُفَسِّرٌ الوُجُوهَ الَّتِي يتصرَّفُ اللِّقاءُ عليها، وَأُبَيِّنُ معنَى قولِهِ تعالَى الَّذِي يَلِيقُ بصفةِ اللهِ، وباللهِ العونُ.

اللِّقاءُ: مصدرُ لَقيتُ الرَّجُلَ؛ إذا واجهْتُهُ[٢].

واللِّقاءُ: مُقاساةِ الجَهْدِ والأذَى، ومنْهُ: لقيتُ منْ فلانٍ كلَّ أذًى، أيْ: تَأَسَّيْتُ ذلِكَ وبُلِيتُ بِهِ، ومِنْهُ قَولُهُ تعالَى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا / مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]: / . [١٢٠أ]

واللِّقاءُ: المَصِيرُ إلَى الشَّيءِ[٣]، ومنْهُ قَوْلُ القُحَيفِ العُقَيلِيِّ[٤]:

(١) تحر في تفصيل الحديث عنه: وجوه القرآن ص٣٦٧، والمقاييس ٥/ ٢٦٠، وعمدة الحفاظ ٤/ ٣٧.

(٢) انظر: عمدة الحفاظ ٤/ ٣٧.

وبهذا المعنى فُرّق بين اللقاء والاجتماع، فاللقاء: هو الاجتماع على وجه المقارنة، والاتصال. والاجتماع قد يكون على غير المقارنة والاتصال، فلا يكون لقاء؛ كاجتماع القوم في الدار، وإن لم يكن هناك اتصال.

(٣) انظر: التفسير البسيط ٢/ ٤٦٢، والنهاية لابن الأثير ٤/ ٢٦٦.

(٤) من الطويل، والأول منهما في شعره ص٢٤٨. وورد الثاني بلا نسبة في: المقصور =

خَلِيلَـيَّ، إنَّ الشَّـيْبَ لَـوْنٌ كَرِهْتُـهُ فَما أَحْسَنَ المَرْعَى، وَما أَقْبَحَ المَحْلا![1]

وَقَدْ زَعَمُـوا حِلْمًـا لُقاكَ، فَلَـمْ تَزِدْ بِحَمْدِ الَّذِي أَعْطَـاكَ حِلْمًا وَلا عَقْلا

أي: المصيرَ إليهِ.

فمعنَى قولِهِ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾، أيْ: صائِرُونَ إليهِ علَى جِهةِ التَّخويفِ بالمعادِ[2].

وكذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾، أيْ: فصائِرٌ إليهِ[3]، يُحقِّقُ ذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨]، ألا تراهُ أنَّهُ يُخبِرُ عنْ أمْرِ الآخرةِ.

وكذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق: ١٠].. الآية، فأَوْضَحَ عزوجل معنَى المَعادِ، ألا تَراهُ أنَّهُ أثْنَى علَى الَّذِينَ يُوقِنُونَ بالمعادِ فقالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦]، أيْ: يظُنُّونَ أنَّهُمْ صائِرُونَ إليهِ.

وقالَ تعالَى فِي وصفِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ المعادَ: ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا

= والممدود للقالي ص٢١٩، ودرة الغواص ص١٨١، واللسان «ل ق ى».

والقحيف هو: القحيف بن خمير بن سليم العقيلي، عدَّه الجمحيّ في الطبقة العاشرة من الإسلاميين، وكان معاصرا لذي الرمة، له تشبيب بمحبوبته «(خرقاء)، وعاش إلى ما بعد يوم (الفلج) الّذي قتل فيه يزيد بن الطثرية سنة سبع وعشرين ومائة ورثاه.

انظر في ترجمته: طبقات فحول الشعراء ٢/ ٧٧٠، والأغاني ٢٤/ ٧٧، والأعلام للزركلي ٥/ ١٩١.

(١) في الأصل: المجملا، والصَّواب ما أثبته، كما في مظان تخريجه.

(٢) انظر: الكشف والبيان ٢/ ١٦٣، والتفسير البسيط ٤/ ١٨٤.

(٣) انظر: الهداية لمكي ١٢/ ٨١٥٤.

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، وكذلِكَ كلُّ شَيءٍ يُتْلَى فِي القُرْآنِ يُذْكَرُ فيهِ لقاءُ اللهِ.

وممّا يُبَيِّنُ ذلِكَ بيانًا واضِحًا قولُهُ تعالَى: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ [السجدة: ١٤].

فهذا كلُّهُ يدلُّ علَى أنَّ لقاءَ اللهِ: المصيرُ إليهِ [١]، والمُشَبِّهةُ تَذْهَبُ إلَى أنَّ لقاءَ اللهِ تعالَى مُواجَهَتُهُ، وفيما مضىَ منَ الأخبارِ المرويّةِ عنِ النَّبيِّ ﷺ وأصحابِهِ أئمّةِ الهُدَى مِنْ أنَّ اللهَ لا يُرَى فِي الدُّنيا ولا فِي الآخرةِ دليلٌ علَى بُطْلانِ قَوْلِهِم وكَذِبِ دَعْواهُم.

(١) قال الزمخشري: «لِقاء الله: هُوَ المصير إِلَى الآخِرة وَطلب ما عِنْد الله» الفائق ٣/ ٣٢٥، وانظر: الهداية لمكي ٣/ ٢٠٠١، والنهاية لابن الأثير ٤/ ٢٦٦.

الصُّعودُ والعُرُوجُ إلَيهِ(١)

وَمِمّا حَمَلُوهُ علَى الظّاهرِ منْ لَفْظِهِ جَهْلًا بِمَعْناهُ؛ قَوْلُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] وَأَشْباهُ ذلِكَ، فَزَعَمُوا أنَّ اللهَ تعالَى فِي السَّماءِ دُونَ الأَرْضِ، وأنَّهُ اتَّخَذَ السَّماءَ مَسْكَنًا دُونَ الأرضِ، تَعالَى اللهُ عنْ ذلِكَ(٢).

وأنا مُبَيِّنٌ معنَى / ذلِكَ، وباللهِ التَّوفيقُ. [٢٠ب]

أقولُ: إنَّ مَعْنَى قولِهِ تعالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] أنَّ اللهَ قاهِرٌ فوقَ عبادِهِ، ومعنَى القاهِرِ: المُسْتَعْلِي المُحِيطُ بكلِّ شيءٍ، فلمّا وصفَ نفسَهُ بما هوَ أَهْلُهُ منْ أنَّهُ القاهِرُ فوقَ عبادِهِ كانَ حقُّ كلِّ ما يصِيرُ إليهِ تعالَى العُلُوَّ والارتِفاعَ (٣)، ومعنَى قَوْلِهِ تعالَى: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، أيْ: نَصِيرُ بِهِ إليهِ تعالَى منْ قولِهِم: ارتفَعْنا إلَى السُّلطانِ، أيْ: صِرْنا إليهِ، والمعنَى واللهُ أعلمُ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، أيْ: يَنْتَهِي إليهِ، ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، أيْ: إنَّما

(١) تحر في تفصيل الحديث عنهما: وجوه القرآن ص٢٨١، والمقاييس ٤/ ٣٠٢، والإبانة في اللغة ٣/ ٣٨٨، وعمدة الحفاظ ٣/ ٤٨.

(٢) انظر: التوحيد لابن خزيمة ١/ ٢٥٥، ومشكل الحديث وبيانه ص٣٩٠.

(٣) قال الواحدي: «معنى الصعود إليه: الارتفاع» التفسير البسيط ١٨/ ٤٠٦. وانظر: شمس العلوم ٧/ ٤٤٨٩.

يَقْبَلُ الله الكَلِمَ الطَّيِّبَ بالعَمَلِ الصّالحِ؛ لأنَّ كُلَّ مَنْ لَفَظَ بِحَرْفٍ مِنْ تَوحِيدِ اللهِ وَذِكْرِ عَظَمَتِهِ وَلَمْ يُصَدِّقْ ذَلِكَ عَمَلُهُ وَصِحّةُ نيَّتِهِ لمْ يَنْفَعْهُ ذلِكَ ولمْ يُقْبَلْ(١).

وَكَذَلِكَ مَعْنَى ﴿ تَعْرُجُ المَلائِكةُ والرُّوحُ ﴾، أيْ: تَصِيرُ إليهِ بِأَعْمالِ العِبادِ(٢)، وَلَمّا كانَ عزوجل القاهِرَ فَوْقَ عِبادِهِ كانَ أَوْلَى الصِّفاتِ بما يَصِيرُ إليهِ الصُّعُودَ والعُرُوجَ دونَ أنْ يوصَفَ بالنُّزُولِ إليهِ، ألا ترَى أنَّهُ إذا أنعَمَ علَى عِبادِهِ بِنِعْمةٍ ذَكَرَها بالنُّزُولِ وإنْ كانتْ فِي الأرضِ؛ لأنَّهُ لمّا كانَ القاهِرَ المُسْتَعْلِيَ كانَ ما يحدثُ منْ قِبَلِهِ تعالَى مَوصُوفًا بالنُّزُولِ؛ منْ ذلِكَ قولُهُ تعالَى: ﴿ لَقَدْ (٣)أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٢٥].. الآية، وليسَ بينَ الخَلْقِ اختلافٌ فِي أنَّ الحديدَ منْ معادِنِ الأرضِ، فعلَى هذا قولُهُ تعالَى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ ﴾ [فاطر: ١٠].

ومعنَى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾: خلقْناهُ لكُمْ(٤)، لا علَى ما يتأوَّلُهُ المُشَبِّهةُ منْ أنَّ اللهَ تعالَى فِي السَّماءِ دونَ الأرضِ مُخالَفةً لقولِهِ الَّذِي وصفَ بِهِ نفسَهُ؛ إذْ يقولُ تعالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤]، ولقولِهِ تعالَى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٣]؛ ولقولِهِ تعالَى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا / وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۚ ﴾ [الحديد: ٤]: / ، [١٢١] ولقولِهِ: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ ﴾ [المجادلة: ٧].. الآية، ولقولِهِ تعالَى: ﴿ لَا

(١) انظر: معاني الزجاج ٤/ ٢٦٥، والتبيان في تفسير القرآن للطوسي ٨/ ٤١٦.

(٢) انظر: مقاييس اللغة ٤/ ٣٠٤، والنكت والعيون ٦/ ٩٠، والتبيان في تفسير القرآن للطوسي ١٠/ ١١٤.

(٣) في الأصل: ولقد، والصواب المثبت.

(٤) انظر: مشكل الحديث وبيانه ص٢٠٣.

تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، ولقولِهِ تعالَى: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

أفلا يعقلُ هؤلاءِ القومُ؛ حيثُ يدَّعُونَ أنَّ اللهَ فِي سَماءٍ[1] واحدةٍ قدِ اتَّخَذَها مَسْكَنًا، واستخلَصَ فيها العرشَ مَسْكَنًا، وأنَّهُ فِي السَّماءِ وعِلْمَهُ فِي الأرضِ، إنَّ ذلِكَ محالٌ فِي العقلِ مُخالِفٌ للحقِّ، ولوْ أنَّ سائِلًا سألَهُمْ: متَى سكنَ اللهُ فِي السَّماءِ؟ أمِنْ قبلِ أنْ يخلقَها أمْ منْ بعدِ ما خلقها؟ فإنْ قالُوا: منْ بعدِ ما خلقَها، قيلَ لهُمْ: فأينَ كانَ يَسْكُنُ منْ قبلِ ذلِكَ، وقدْ كانَ تعالَى ولا سماءٌ ولا أرضٌ ولا هواءٌ ولا موضِعٌ، هلْ كانَ لهُ موضعٌ انتقَلَ منهُ إلَى غيرِهِ فخَلَّى موضِعًا كانَ آهِلًا، وعمَّرَ موضِعًا كانَ خاليًا، فحَواهُ موضِعٌ، وخلا منهُ موضِعٌ، تعالَى اللهُ عمّا يقولُ الجائِرُونَ.

وكذلِكَ لوْ سألَهُمْ عنْ علْمِ اللهِ الَّذِي يزعمُونَ أنَّهُ فِي الأرضِ، فقالَ: أينَ كانَ علمُهُ قبلَ أنْ يخلُقَ الأرضَ، وَحَيْثُ صارَ علمُهُ فِي الأرضِ هلْ خلا منهُ المَوضِعُ الَّذِي كانَ فيهِ؟ ماذا كانُوا يقولُونَ؟ أيَدَّعُونَ أنَّ عِلْمَهُ فِي موضعٍ دُونَ موضعٍ؟ وهوَ يعلمُ موضِعًا دوَن آخرَ؟ أمْ يقولُونَ: بعضُ علمِهِ فِي السَّماءِ وبعضُهُ فِي الأرضِ؛ فيكونَ علمُهُ بشيءٍ بخلافِ علمِهِ بشيءٍ آخرَ؛ فيختَلِفُ علمُهُ، تبارَكَ وتعالَى عمّا يشركُونَ.

وممّا يُكَذِّبُ دعْواهُمْ لِمُشاكَلَتِهِ قولَ اللهِ تعالَى أيْ: وصفَ بِهِ نفسَهُ ما رُوِيَ عنِ الحسنِ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ[2]: «التَقَى أَرْبَعةُ أمْلاكٍ، فَسَألَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ فَقالَ أَحَدُهُمْ: جِئْتُ مِنَ المَشْرِقِ مِنْ عِنْدِ رَبِّي، قالَ الآخَرُ: جِئْتُ مِنَ المَغْرِبِ مِنْ عِنْدِ

(١) في الأصل: السماء، والصواب المثبت.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٣/ ٣٠٠، والطبري في تفسيره ٢٨/ ١٥٤، ومكي في الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٥٥٨، وابن كثير ٤/ ٣٠٤، عن قتادة.

رَبِّي، وَقالَ الآخَرُ: جِئْتُ مِنَ السَّماءِ السّابِعةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّي، وَقالَ الآخَرُ: جِئْتُ مِنَ الأَرْضِ السُّفْلَى مِنْ عِنْدِ رَبِّي».

وما رُوِيَ عنْ عائشةَ أنَّها قالتْ: إنَّ هؤلاءِ الأَمْلاكَ جاءَ كلُّ واحدٍ فَسَلَّمَ علَى النَّبيِّ ﷺ / فَقالَ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ فيقولُ: مِنْ عِنْدِ ربِّي، قالَتْ: ثُمَّ تَلا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].. الآية.

وما رُوِيَ عَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ[1]: «إنَّ أَحَدَكُمْ إذا قامَ فِي صَلاتِهِ فَإنّما يُناجِي[رَبَّهُ]».

وما رُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ أَنَّهُ قالَ[2]: «لا يقطَعُ الصَّلاةَ شَيءٌ؛ لأَنَّهُ ليسَ يَمُرُّ بينَ يَدَيْكَ شيءٌ إلّا واللهُ أقربُ إليكِ منهُ».

وَمِثْلُ هذا كثيرٌ، كَرِهْتُ إطالةَ الكتابِ بِهِ إذ كانَ أشهَرَ منْ أن أحتاجَ إلَى ذِكْرِهِ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٦١-حديث رقم (٤٠٧).

(٢) أخرجه عنه أبو نعيم في: الطب النبوي ١/ ٢١٦، والمتقي الهندي في: كنز العمال ٧/ ١٤٤، ولفظهما عنه: «لا يقطع الصلاة شيء، والله -تعالى- دون كل شيء، وهو أقرب إليك من حبل الوريد»، وأردفه المتقي بقوله: «ابن السني وأبو نعيم معًا في الطب عن ابن عباس». أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن القاسم ١/ ٢٥١ بلفظ: «لاَ يَقْطَعُ الصَّلاةَ شَيْءٌ، اللهُ أَقْرَبُ كلّ شَيْءٍ».

الزِّيادةُ

وَمِمّا تَأَوَّلُوهُ علَى غَيْرِ تأويلِهِ؛ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]، فزعمُوا أنَّ الزِّيادةَ: النَّظرُ إلَى اللهِ؛ لأنَّهُ ليسَ بعدَ الحَياةِ شيءٌ، وهيَ عندَهُمُ الحُسْنَى(١).

قالُوا: فَلمْ يبقَ بَعْدَها شَيءٌ يُزادُونَ إلّا النَّظَرَ إلَى اللهِ تعالَى، واحتجُّوا بحديثٍ يُرفَعُ إلَى أبِي بكرٍ الصِّدِّيقِ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قالَ: «النَّظرُ إلَى وَجْهِ(٢) اللهِ تعالَى -»، فتأوَّلُوهُ علَى الوجْهِ المحدودِ ذِي العَينَينِ والأنْفِ.

(١) قال الأشعري: «قال الله عزوجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال أهل التأويل: النظر إلى الله عزوجل، ولم ينعم الله تعالى على أهل الجنة بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له» الإبانة ص٤٥.

(٢) في الأصل: وعد، والصواب المثبت، ويقرر ذلك قول الثعلبي: «سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، فقال: الذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى؛ وهي الجنّة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم»، وهو قول أبي بكر الصديق» الكشف والبيان ٥/ ١٢٩. ونُسب إليه أيضًا في: تفسير الطبري ١١/ ١٠٤، والاعتقاد للبيهقي ص١٢٥، والنكت والعيون للماوردي ٢/ ٤٣٢-٤٣٣، والهداية إلى بلوغ النهاية ٥/ ٣٢٥١، ومشكل الحديث وبيانه ص٤٢٩، والحجة في بيان المحجة ٢/ ٥٢٤، والمحرر الوجيز ٣/ ١١٥، والأربعين في صفات رب العالمين ص١٠٩، والدر المنثور ٤/ ٣٥٨، وفيه: «وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن المنذر، وأبو الشيخ، والدارقطني، وابن منده في الرد على الجهمية، وابن مردويه، واللالكائي، والآجري، والبيهقي كلاهما =

وإنَّما تَأْوِيلُ أبِي بَكْرٍ: النَّظرُ إلَى ثوابِ اللهِ؛ لأنَّ أبا بكرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ أَعْلَمُ باللهِ وَصِفاتِهِ وَأَعْلَمُ بِكَلامِ العَرَبِ مِنْ أَنْ يَذْهَبَ إلَى المعنَى الَّذِي أرادُوهُ.

وممّا يُحَقِّقُ أنَّ الوَجْهَ هوَ الثَّوابُ؛ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۞ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩-٢٠] أيْ: ثَوابِ ربِّهِ[١].

وممّا يُبْطِلُ تَأْوِيلَهُمْ ويرجِعُ وإنِ اختلَفَ ألفاظُهُ إلَى معنَى الثَّوابِ؛ ما رُوِيَ عنْ عليِّ بنِ أبِي طالبٍ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قالَ[٢]: «الزِّيادةُ غُرْفةٌ منْ لؤلُؤةٍ، لها أَرْبَعةُ أَبْوابٍ، فالغُرْفةُ هيَ منْ ثَوابِ اللهِ تَعالَى -».

وما رُوِيَ عنْ علقمةَ[٣] أنَّهُ قالَ: «الزِّيادةُ: الحسنةُ بعشرِ أمثالِها».

= في (الرؤية) عن أبي بكر الصديق رَضِيَ الله عَنْهُ في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله»، وفي هذا تصحيح لِما روي عن أبي بكر رَضِيَ الله عَنْهُ.

(١) انظر: معاني الزجاج ٥/ ٣٣٧، والتفسير البسيط ٢٤/ ٩٠، والنكت والعيون ٦/ ٢٩٠، وأمالي المرتضي ١/ ٥٩٣.

وقال ابن فورك: «فَإِن المُراد بِهِ: ابْتِغاء ربه الْأَعْلَى الَّذِي لَهُ الْوَجْه. فَأَما ما ذهب إِلَيْهِ الْمُعْتَزلة من تَشْبِيه ذَلِك بِوَجْه الثَّوْب وَوجه الْحائِط فغلط من التَّمْثِيل؛ من قبل أَن وَجه الثَّوْب والحائط لَيْسَ هُوَ نفس الثَّوْب والحائط، بل هُوَ ما واجه بِهِ وَأَقْبل بِهِ، وَكَذَلِكَ وَجه الْأَمر ما ظهر مِنْهُ فِيهِ الرَّأْي الصَّحِيح دون ما لم يظْهر، وَإِذا لم يجز فِي اللُّغَة استعمال معنى الوَجْه على معنى الذّات على الْحَقِيقَة فِي مَوضِع وَقد ورد إِطْلَاق الْكتاب والسّنة بذلك لم يكن لما ذهبت إِلَيْهِ الْمُعْتَزلة وَجه، وَوَجَب أَن يحمل الْأَمر فِيهِ على ما قُلْنا أَنه وَجه صفته، وَلَا يُقال هُوَ الذّات وَلَا غَيرهَا» مشكل الحديث وبيانه ص٣٥٧-٣٥٨.

(٢) انظر قوله في: الكشف والبيان ٥/ ١٣٠، والهداية إلى بلوغ النهاية ٥/ ٣٢٥٣، والدر المنثور ٤/ ٣٥٨.

(٣) أي: علقمة بن قيس، وانظر قوله في: تفسير الطبري ١١/ ١٠٧، والدر المنثور ٤/ ٣٦٠.

وما رُوِيَ عنْ عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي لَيْلَى[١] قالَ: «الزِّيادةُ: انتظارُهُمْ ما يزيدُهُم اللهُ منْ فضلِهِ وتُحَفِهِ».

[١٧٢] وما رُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ قالَ[٢]: «الحسنةُ / بالحسنةِ، والزِّيادةُ التِّسْعُ؛ لأنَّ اللهَ تعالَى يقولُ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]».

هذا كلُّهُ قَريبٌ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ، دالٌّ علَى أنَّ الزِّيادةَ منْ فضلِ اللهِ وجَزيلِ عَطائِهِ، وَكَريمِ ثوابِهِ، لا علَى ما يَذْهَبُونَ إليهِ، نَعُوذُ باللهِ منَ مُخالَفةِ الحَقِّ، والتَّهودِ[٣] فِي الجهْلِ.

(١) انظر قوله في: الدر المنثور ٤/ ٣٥٩. وروى عنه الطبري قولًا آخر بقوله: «.. عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النظر إلى وجه ربهم» تفسيره ١١/ ١٠٥. **وعبد الرحمن هو: عبد** الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري المدني ثم الكوفي، رأى عليا وعثمان، ويروي عن جماعة من أصحاب النبي ﷺ، روى عنه: الشعبي، ومجاهد، ولد لست سنين مضين في خلافة عمر، ومات سنة ثلاث وثمانين غرقًا، وقيل: إنه مات في ولاية مروان بن محمد، وقتل مروان سنة إحدى وثلاثين ومائة والأول أرجح.
انظر في ترجمته: الثقات ٥/ ١٠٠، والكاشف ١/ ٦٤١، وتقريب التهذيب ص٣٤٩.

(٢) انظر قوله في: الهداية إلى بلوغ النهاية ٥/ ٣٢٥٣، والنكت والعيون ٢/ ٤٣٣.

(٣) أي: التحرك، ففي التفسير البسيط ٢/ ٦٠٩: «التهود: تفعُّل، من الهيد بمعنى الحركة». وانظر: الصحاح ٢/ ٥٥٨، ومقاييس اللغة ٦/ ٢٣.

السَّمْعُ والبَصَرُ[١]

وَمِمّا يَتَأَوَّلُونَهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلِ الصَّوابِ، وَيَحْمِلُونَهُ علَى ظاهِرِ اللَّفظِ الَّذِي يَتعارَفُونَهُ؛ ولُهُ عزوجل: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فيذهبُونَ إلَى أنَّهُ سميعٌ بِسَمْعٍ، صِيرٌ ببصَرٍ، كما يُوصَفُ المخلوقُونَ تعالَى الله عمّا يقولُونَ[٢].

وإنَّما المعنَى فِي صفتِهِ سبحانَهُ أنَّهُ سميعٌ: أنَّهُ يدرِكُ الأصواتَ، فلا يخفَى عنهُ نها شيءٌ. وبصِيرٌ: أنَّهُ لا يخفَى عنهُ الأشخاصُ والألْوانُ وأشباهُ ذلِكَ، فقدْ أحاطَ ها عِلْمًا[٣].

(١) تحر تفصيل الحديث عنهما في: تفسير أسماء الله الحسنى ص٤٢، واشتقاق أسماء الله الحسنى ص٧٥، وشأن الدعاء ص٥٩، والاعتقاد للبيهقي ص٥٨، وشرح أسماء الله الحسنى لابن برجان ١/ ٤٠٨، والنعوت للنسائي ص٢٤٨، وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ص٢٣٨، وللقونوي ص٧٩، وللكافيجي ص١٦١، وللسنوسي ص٣٨، والعجالة الحسنى ص٤١.

(٢) انظر: التوحيد لابن خزيمة ١/ ٥٨، ومشكل الحديث وبيانه ص٢٥٢، ٤٣١، والاعتقاد للبيهقي ص٨١، والحجة في بيان المحجة ١/ ٢١٩.

(٣) قال الأفليشي: «وَسَمْعُ اللهِ تَعالَى وَصْفٌ ذاتِيٌّ لَهُ كَبَصَرِهِ وَعِلْمِهِ وَجَمِيعِ صِفاتِهِ الذّاتِيّة، لَمْ يَزَلْ سَمِيعًا قَبْلَ وُجُودِ المَسْمُوعاتِ، كَما لَمْ يَزَلْ عَلِيمًا قَبْلَ وُجُودِ المَعْلُوماتِ، فالمَسْمُوعاتُ مُتَجَدِّدةٌ، وَسَمْعُهُ قَدِيمٌ، وَما يدرِكُ سَمْعُهُ من المسمُوعاتِ فَبِغَيرِ مُقابَلةٍ وَلا انْطِباعِ صَوْتٍ في سَمْعِهِ، إذْ تَقَدَّسَ سَمْعُهُ عَنْ صِماخٍ وَأُذُنٍ، كَما تَقَدَّسَ بَصَرُهُ عَنْ مُقْلةٍ وَجَفْنٍ، فَكَما فارَقَتْ ذاتُهُ سائِرَ الذّواتِ، كَذَلِكَ فارَقَتْ صِفاتُهُ جَمِيعَ الصِّفاتِ، لا يَحْصُرُهُ=

وَيَكُونُ البَصِيرُ بمعنَى: العالِمِ؛ كَقَوْلِهِمْ: فُلانٌ بَصِيرٌ بالنَّحوِ وبالفِقْهِ، أيْ: عالِمٌ بذلِكَ[١]، أوَلا يعلَمُ هؤلاءِ أنَّهُمْ إذا قالُوا: سَمِيْعٌ بِسَمْعٍ، وَبَصِيرٌ بِبَصَرٍ، أنَّ السَّميعُ [جاهِلٌ] بالأَلْوانِ، والبصيرُ جاهِلٌ بالأصواتِ، وأنَّهُمْ عندَ ذلِكَ قدْ جَعَلُوا[٢] شيئًا فِي معبودِهِمْ يجهَلُ ما يعلمُهُ غيرُهُ منْهُ، تعالَى اللهُ عنْ ذلِكَ علُوًّا كبيرًا.

وممّا يُحَقِّقُ المعنَى فِي ذلِكَ أنَّهُ عالِمٌ بكلِّ شيءٍ، ولا يَفُوتُهُ عِلْمُ شَيءٍ.

وممّا يبطلُ ما ادَّعاهُ المُشَبِّهةُ ما رُوِيَ عنِ ابنِ عبّاسٍ[٣] فِي قولِهِ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠] قالَ: «السَّميعُ لمقالَتِكُمْ، البصيرُ بأعمالِكُمْ، لا يخْفَى عليهِ شيءٌ فِي الأرضِ ولا فِي السَّماءِ».

وما رُوِيَ عنْهُ أيضًا فِي قولِهِ تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١] كما قالَ: «يَعْلَمُ»[٤].

= عِلْمٌ، وَلا يَأْخُذُهُ تَقْدِيرٌ..» الإنباء في شرح حقائق الصفات والأسماء ٢/ ٩٦٧-٩٦٨ -بتحقيقنا-.

(١) قال الزجاج: «تقول: فلان بصير بالنحو والفقه، تُرِيدُ: عالِمًا بِهِما، ولم ترد بصر العَيْن» معاني القرآن ٥/ ٤٥. وانظر: الغريبين ١/ ١٨٣، والهداية لمكي ١١/ ٧٠٤٧.
وقال الشريف المرتضي: «ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾، أي: كنت غافلا عمّا أنت الآن عارف به، فلما أن كشفنا عنك الغطاء بأن أعلمناك وفعلنا فى قلبك المعرفة عرفت وعلمت» أماليه ١/ ٨٩.

(٢) في الأصل: جلوا، والصواب المثبت.

(٣) انظر: تنوير المقباس ص٤٠٦.

(٤) انظر: تفسير أبي السعود ٨/ ٢١٥.

القَدَمُ[١]

وَمِمّا يَتَأَوَّلُونَهُ علَى غيرِ تَأويلِهِ فيكفرُونَ فيهِ؛ ما رَوَوْهُ عنْ أبي هريرةَ[٢] فِي قولِهِ تعالَى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]: «فلا تَزالُ جَهَنَّمُ تَسْتَزِيدُ حتَّى يضَعَ الرَّبُّ عَلَيْها قَدَمَهُ، فتقولُ: قَطْ قَطْ[٣]».

وَرَوَوْهُ منْ وجْهٍ آخرَ عنْ أبي / هريرةَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ[٤]: «احْتَجَّتِ الجنّةُ [١٢٢/ب] والنّارُ، فقالَتِ الجنّةُ: يا رَبِّ، ما لِي لا يدخُلُنِي إلّا الفقراءُ؛ فقراءُ النّاسِ وسُقّاطُهُمْ، وقالتِ النّارُ: يا ربِّ، ما لِي لا يدخُلُنِي إلّا الجبّارُونَ والمتكبِّرونَ، فقالَ تعالَى للنّارِ: أَنْتِ عَذابِي، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشاءُ، وَقالَ للجَنّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أشاءُ، ولكُلٍّ واحدةٍ منكُما مِلْؤُها، فأمّا الجنّةُ فإنَّ اللهَ تعالَى يُنْشِئُ لها ما يشاءُ، وأمّا النّارُ فَيُلْقَونَ فيها وتقولُ: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ حتَّى يضَعَ قَدَمَهُ فيها، فهُنالِكَ تُمْلَأُ ويَنْزَوِي بعضُها إلَى بعضٍ، وتقولُ: قَطْ قَطْ».

(١) تحر في تفصيل الحديث: العين ٥/ ١٢٢، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٢٢٨، والزاهر له ١/ ٣٥٣، والمجمل ٢/ ٧٤٦، والهداية لمكي ٥/ ٣٢١٢، والصحاح ٥/ ٢٠٠٧، والغريبين ٥/ ١٥١٢، والإبانة في اللغة ٣/ ٧١٣، وعمدة الحفاظ ٣/ ٢٨٣.

(٢) أي: كفى كفى قد امتلأتْ، وَتَكْرارُها لِلتَّأْكِيدِ.

(٣) أخرجه عنه البخاري في صحيحه ٤/ ١٨٣٥-حديث رقم (٤٥٦٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٧١١-حديث رقم (٧٠١١)، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨٧ -حديث رقم (٢٨٤٦).

فذهبُوا إلَى أنَّها القَدَمُ ذاتُ الأصابِعِ، تعالَى الله عمّا يقولُ العانِدُونَ عنِ الحقِّ[١].

وأنا مُفَسِّرٌ ذلِكَ علَى حقِّهِ، وباللهِ التَّوفيقُ.

القَدَمُ: ذاتُ الأَصابِعِ، والعَقِبِ[٢] منَ الإنْسانِ.

والقَدَمُ: السّابِقةُ فِي الأمرِ[٣]، يقالُ: إنَّ لفلانٍ فِي الكرامِ قَدَمًا، أيْ: سابِقةً؛ ومنْهُ قولُهُ تعالَى: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، أيْ: ما قدَّمُوهُ منْ خيرٍ[٤].

فَمَعْنَى الحَدِيثِ: «حتَّى يضَعَ قَدَمَهُ»، أي: الَّذِينَ قَدَّمَهُم لها، وأخبَرَ أنَّهُمْ يَدْخُلُونَها[٥]؛ وهوَ قولُهُ تعالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فأولئِكَ قَدَمُهُ الَّذِينَ يضَعُهُمْ فِي النّارِ فتَمْتَلِئُ، وذلِكَ أنَّهُ لمّا حَقَّ القَولُ منْهُ وهوَ أصدقُ القائِلِينَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]، فقالَ لجهنَّمَ: ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ﴾، فلمّا قالتْ: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ قدَّمَ لها قَدَمَهُ الَّذِينَ جَعَلَهُمْ لها، فلمّا وضعَهُمْ فيها قالتْ: قَطْ قَطْ، قدِ امتلأْتُ.

وممّا يُحَقِّقُ ذلِكَ قولُ ابنِ عبّاسٍ[٦] وقدْ سألَهُ مُقْسِمٌ أوْ غيرُهُ عنْ ذلِكَ فقالَ:

(١) انظر: أبكار الأفكار ١/ ٤٧٠.

(٢) في المغرب للمطرزي ٢/ ٧٢: «(العَقِبُ- بِكَسْرِ القاف- مُؤَخَّرُ الْقَدَمِ». وانظر: خلق الإنسان للأصمعي ص٢٢٧، والقاموس ص١١٦.

وفي التفسير البسيط ٣/ ٣٨١: «سمي العقب عقبًا؛ لأنه يتلو القدَمَ».

(٣) انظر: المنجد في اللغة ص٥٨، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٢٢٩، وشمس العلوم ٨/ ٥٣٩٣.

(٤) انظر: معاني الأخفش ١/ ٣٦٩، والهداية لمكي ١١/ ٧٠٥٤، والتفسير البسيط ١١/ ١١٨، والغريبين ٥/ ١٥١٣، والمجموع المغيث ٢/ ٦٧٦، وباهر البرهان ١/ ٦٢٦.

(٥) انظر هذا التأويل في: مشكل الحديث وبيانه ص١٢٦.

(٦) تنوير المقباس ص١٦٩ -بتصرف يسير.

وما تُنْكِرُ؟ أما تقرأُ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، أيْ: ما قدَّمُوهُ فِي أعمالِهِمْ، فكذلِكَ لنْ تَمْتَلِئَ جَهَنَّمُ حتَّى يضَعَ الجبّارُ فيها قَدَمَهُ، أيْ: ما قدَّمَ لها منْ أهلِ الشّقاوةِ الَّذِينَ سبَقَ فِي عِلْمِهِ أنَّهُمْ صائِرُونَ إليها/ . [١٢٣]

أوَلا يعلَمُ هؤلاءِ القومُ القَوّالُونَ علَى اللهِ بغيرِ الحقِّ، المُشَبِّهُونَ لهُ بخَلْقِهِ أنَّ هذِهِ الصِّفةَ لا تليقُ باللهِ تعالَى منْ جهاتٍ:

أَحَدُها: أنَّهُ تعالَى قالَ فيما أَوْعَدَ إبْلِيسَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]، وقالَ تعالَى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، فإنْ كانَتْ جهنَّمُ لا تَمْتَلِئُ حتَّى يضَعَ فيها قَدَمَهُ الَّتِي هيَ جارِحةٌ منَ الجوارِحِ، فإنَّهُ منَ الجِنّةِ أوْ منَ النّاسِ الَّذِينَ أخبرَ أنَّهُ يملأُ جهنَّمَ منهُمْ أجمعِينَ. أوْ يكونُ قدْ قالَ قولًا فعَلَ غَيْرَهُ، تعالَى ربُّنا عنْ ذلِكَ، وهوَ يقولُ: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق:٢٩].

وإذا صحَّ أنَّهُ ليسَ منَ الجِنّةِ ولا منَ الإنْسِ، وأنَّهُ لا يُخْلِفُ الميعادَ فقدْ بطلَ ما ادَّعَوا، وصحَّ أنَّ القولَ ما قالَ ابنُ عبّاسٍ، وفسدَ ما ادَّعوا فِي ذلكَ منْ أنَّهُ كانتْ لربِّهِمْ جارحةٌ قدْ أشبَهَ المخلوقَ منْ جِهةِ الجوارِحِ، وقدْ مضَى فِي كتابِنا مِنْ تصحيحِ نفْيِ التَّشبيهِ عنِ اللهِ تعالَى ما فيهِ كِفايةٌ.

ونَذْكُرُ فِي هذا الموضِعِ حديثًا واحدًا فِي هذا المعنَى، وهوَ ما رُوِيَ عنْ عبدِ اللهِ قالَ[1]: «ما عرفَ اللهَ مَنْ شَبَّهَهُ بخَلْقِهِ».

وبطلَ ما ادَّعوا[2] أيضًا منْ جِهةِ أنَّ اللهَ تعالَى لا يُدْخِلُ النّارَ بعدَ مَنْ أعدَّ لها

(١) أخرجه الربيع عن عبد الله بن مسعود في مسنده ص٣٢١.

(٢) مستدرك من حاشية الأصل، وأشير إلى موضعه بعلامة الإلحاق.

مِنْ أعوانِها وزبانِيَتِها أحدًا إلّا بِجُرْمٍ ارتكَبَهُ أوْ ذنبٍ اقتَرَفَهُ، وهُمْ يزعمُونَ أنَّهُ يُدْخِلُ جارِحةً منْهُ تعالَى عمّا يقولُونَ النّارَ، أفَبِجُرْمٍ أجْرَمَتْهُ فَعَلَ ذلِكَ؟ فبعضُهُ يُذْنِبُ كما يُذْنِبُ الخلْقُ، أمْ بغيرِ ذلِكَ؟ فقدْ ظلَمَ تلكَ الجارِحةَ، وما الَّذِي اضطَرَّهُ إلَى أنْ خلَقَ نارًا أعظمَ مِنْ أنْ يَمْلأَها بمَنْ أعدَّ لها إلّا جعلَها علَى مِقْدارِهِم، أوْ حيثُ جعلَها تحتاجُ إلَى أكثَرَ مِمَّنْ خلَقَ لها، ما كانَ يَضُرُّهُ منْ أنْ يتركَها علَى ما فيها منَ الفَضْلِ، وأيُّ شيءٍ أحْوَجَهُ إلَى أنْ يَمْلأَها ببعضِهِ/ ، سبحانَ اللهِ عَمّا يُشْرِكُونَ. [١٢٣...]

وَمِمّا يُبْطِلُ دَعْواهُم أحاديثُ جاءَتْ فِي تأويلِ قَوْلِهِ تعالَى: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾؛ منْها: ما رُوِيَ عنْ مجاهدٍ[١] فِي قولِهِ: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾: أيْ: «هلْ وَفَّيْتُكِ؟ فقالَتْ: وَهَلْ مِنْ مسلَكٍ؟ أيْ: قدِ امتلأتُ فلمْ يبقَ فِيَّ مَسْلَكٌ».

وما رُوِيَ عنِ الحسَنِ[٢] قالَ: «يُوحِي إليها: هلْ أخَذْتِ أهْلَكِ؟ فتَقُولُ خَوْفًا: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ أيْ: ما أظُنُّنِي استقصَيتُ».

قالَ الحسَنُ: «وإنَّما تقولُ ذلِكَ؛ لأنَّهُ يُوحِي لها خُذِي أهلَكِ، فَتَقُولُ خَوْفًا: إنَّها لمْ تأخُذْ أهلَها فتغضبَ».

فَيَتْرُكُونَ أتباعَ التَّأويلِ الصَّحِيحِ، ويرغَبُونَ عنِ استفتاءِ الفقهاءِ فيما لا يفهمُونَ منَ الحدِيثِ حتَّى يعلمُوا حقَّهُ ويفقَهُوا سبيلَهُ، وهُمْ يَروونَ عنْ أبِي قيسٍ قالَ: سمِعْتُ شُرَيحًا يقولُ[٣]: «إنَّ للحديثِ جهابِذةً كجَهابِذةِ الوَرقِ»، ويُوَجِّهُونَ ذلِكَ إلَى أنَّ

(١) تفسيره ٢/ ٦١٢، وتفسير الطبري ٢٦/ ١٦٩، والتفسير البسيط ٢٠/ ٤٠٧، والهداية لمكي ١١/ ٧٠٥٢.

(٢) انظر قوله في: شفاء الصدور في التفسير للنقاش-مخطوط دار الكتب المصرية رقم (٦٣٤)، لوحة (٥٢).

(٣) انظر قوله في: دلائل النبوة ١/ ٣١، والآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ١٢٧.

جَهْبَذَةَ علمُ الأسانِيدِ ومعرفةُ الرِّجالِ، ولا يَعْلَمُونَ أنَّ عِلْمَ التَّأويلِ وَمَعْرِفةَ مَخارِجِ حَدِيثِ وَمَعانِيها ونفْيِ الرَّيبِ عنْها هوَ انتقادُها جِهْبذَتُها[1].

ورُوِيَ عنْ سعيدِ بنِ المسيّبِ أنَّهُ قالَ: «أَتَحْسَبُونَ أنَّ العِبادةَ فِي كَثْرةِ الصَّومِ لصَّلاةِ، إنَّما العِبادةُ الفِكْرةُ فِي اللهِ تَعالَى، والفِقهُ فِي دِينِ اللهِ تعالَى».

١) كذا بالأصل.

المَقامُ المَحْمُودُ

وَمِمّا رَوَوا واختارُوهُ فكَفَرُوا؛ ما رواهُ محمَّدُ بنُ فُضَيْلٍ[١]، عنِ ليثِ بنِ أبي سُلَيمٍ[٢] عنِ مُجاهدٍ[٣] فِي قولِهِ تعالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾

(١) هو: محمد بن فضيل بن غزوان، المحدث الحافظ: أبو عبد الرحمن الضبي مولاهم الكوفي، مصنف كتاب (الزهد) و(الدعاء)، روى عن: أبيه والأعمش وعطاء وخلق، وعنه: أحمد، وابن راهويه، وابنا أبي شيبة وخلق، مات سنة خمس وتسعين ومائة، وقيل: سنة أربع.

انظر في ترجمته: المعارف ص٥١٠، والجرح والتعديل ٨/ ٥٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣١٥، وطبقات الحفاظ ص١٣٦.

(٢) في الأصل: سليمان، وهو تحريف، والصواب المثبت؛ لأنه لم يثبت لليث هذا رواية عن مجاهد، ولا تلمذة ابن فُضيل له، ووردت ترجمة مؤجزة له في: تاريخ خليفة ١/ ٣٧١، وقبول الأخبار ومعرفة الرجال ٢/ ٣١٣، وتاريخ دمشق ٥٠/ ٣٨١.

أما ليث بن سُليم فهو: ليث بن أبي سُليم بن زنيم القرشي، أبو بكر الكوفي، روى عن: طاوس، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة وغيرهم، روى عنه: الثوري، والحسن بن صالح، ومحمد بن فضيل، ومعتمر بن سليمان وطائفة، توفي سنة ثمانٍ وأربعين.

انظر في ترجمته: تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٧٩، والأنساب ١/ ٧٦، ولسان الميزان ٧/ ٣٤٧.

(٣) في الأصل: عن النبي ﷺ، والأصح المثبت؛ لقوله بعد ذلك: «وذلِكَ أنَّ ليثًا ما زالَ عندَهُمْ مُخَلِّطًا ساقطَ الحديثِ، حتَّى رَوَوا عنهُ هذا الحديثِ فوَثَّقُوهُ، وادَّعوا أنَّهُ أسندَ عنْ مجاهدٍ». ويقرر ذلك ما في مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٣٠٥: «حدثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾، قال: يقعده على العرش»، ورواه الطبري =

[الإسراء: ٧٩]، قالَ[١]: «يُجْلِسُهُ معهُ علَى العَرْشِ»، تعالَى اللهُ عمّا يُشْرِكُونَ.

وهذا التَّأويلُ بحمدِ للهِ يَبْطُلُ منْ جِهاتٍ:

أُولاها: أنَّ اللهَ تعالَى يقولُ: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، وهُمْ يجعلُونَهُ مقعدًا، والمقعَدُ ضدُّ المقامِ.

ومنْها: أنَّ اللهَ تعالَى عندَهُ قاعدٌ؛ فيصفُونَهُ بصفةِ المخلُوقينَ.

ومنْها: أنَّ العَرْشَ أعظمُ منَ اللهِ، ففيهِ عنْهُ فضْلٌ يُقْعِدُ معَهُ عليهِ غيرَهُ، فلا معنَى / للقرآنِ يعلمُونَ، ولا ربَّهُمْ يُعَظِّمُونَ، ولا إلَى صحيحِ الأحاديثِ يرجعُونَ، وذلِكَ [١٢٤] أنَّ ليثًا ما زالَ عندَهُمْ مُخَلِّطًا ساقطَ الحديثِ[٢]، حتَّى رَوَوا عنهُ هذا الحديثِ فوَثَّقُوهُ،

= أيضًا تفسيره ١٥/ ١٤٥، وابن حرب في أخبار المكيين ص٢٦٩، والترمذي في نوادر الأصول ٣/ ٢٧٩، وأبو بكر الخلال في السنة ١/ ٢١٤، وأردفه بقوله: «إسناد ضعيف». وعقب عليه الطبري بقوله: «.. فإن ما قاله مجاهد من أن الله يقعد محمدا على عرشه قول غير مدفوع صحته؛ لا من جهة خبر ولا نظر، وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله ولا عن أحد من أصحابه ولا عن التابعين بإحالة ذلك» تفسيره ١٥/ ١٤٧. وورد نحوه في: الكشف والبيان ٦/ ١٢٦، ولاختلافهم في هذا الحديث قال الذهبي: «وعمل فيه المروذي مصَنفًا» العلو للعلي الغفار ص١٢٤.

(١) أخرجه: الطبري في تفسيره ١٥/ ١٤٥، والدر المنثور ٥/ ٣٢٦.

(٢) في الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٣/ ٢٩: «قال أحمد: مضطرب الحديث ولكن قد حدث عنه الناس. وقال السعدي: يضعف حديثه. وقال أبو حاتم الرازي، وأبو زرعة: لا يشتغل به، وهو مضطرب الحديث. وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره، فكان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل، ويأتي عن الثقات بما ليس من حديثهم تركه يحيى القطان، ويحيى بن معين، وابن مهدي وأحمد» وانظر: المجروحين لابن حبان ٢/ ٢٣١، ومن تكلم فيه الدار قطني ٣/ ١١٥.

وادَّعوا أَنَّهُ أسندَ عنْ مجاهدٍ[١]. وهُمْ يروُونَ عنْ شبلِ بنِ عبّادٍ[٢]، عنْ عبدِ اللهِ أبي نجيحٍ عنْ مجاهدٍ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قالَ[٣]: «شفاعةُ محمَّدٍ ﷺ يومَ القيامةِ».

وقدْ رُوِيَ عنِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ منْ غيرِ وجْهٍ[٤]: «أَنَّهُ الشَّفاعةُ».

(١) في زاد المسير ٥/ ٧٦: «والثاني يجلسه على العرش يوم القيامة... وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس، وليث عن مجاهد»، وانظر: الكشف والبيان ٦/ ١٢٦، ومشكل الحديث وبيانه ص٣٣٩.

(٢) هو: شبل بن عباد المكي القارئ، صاحب ابن كثير، ومقرئ مكة، روى عن أبي الطفيل، وعباس بن سهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أسلم، وعبد الله بن أبي نجيح، وعمر بن أبي سليمان، وعمرو بن دينار، وأبي الزبير وغيرهم. وعنه: ابنه داود، وسعد بن إبراهيم، وابن المبارك، وابن عيينة وغيرهم، قال: أحمد وابن معين ثقة، قال الذهبي: وقد أرخ بعضهم وفاته في سنة ثمان وأربعين ومائة، وأظنه وهمًا، فإن أبا حذيفة إنما سمع سنة نيف وخمسين.

انظر في ترجمته: الثقات ٨/ ٣١٢، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٢٩، وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٦٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٥/ ١٤٤، وزاد المسير ٥/ ٧٦، وهو قوله في تفسيره ١/ ٣٦٩.

(٤) ففي صحيح البخاري ٤/ ١٧٤٨-حديث رقم (٤٤٤١): «سمعت بن عُمَرَ رضي الله عنهما يقول: إِنَّ الناس يَصِيرُونَ يوم الْقِيامةِ جُثًا كُلُّ أُمّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّها يَقُولُونَ يا فُلانُ اشْفَعْ يا فُلانُ اشْفَعْ حتى تَنْتَهِيَ الشَّفاعةُ إلى النبي ﷺ فَذَلِكَ يوم يَبْعَثُهُ الله الْمَقامَ الْمَحْمُودَ».

وفيه أيضًا ٤/ ١٧٤٨-٤٤٤٢: «عن جابِرِ بن عبد اللهِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: من قال حين يَسْمَعُ النِّداءَ اللهم رَبَّ هذه الدَّعْوةِ التّامّةِ، والصَّلاةِ الْقائِمةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلةَ والفَضِيلةَ وابْعَثْهُ مَقامًا مَحْمُودًا الذي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ له شَفاعَتِي يوم الْقِيامةِ، رَواهُ حَمْزةُ بن عبد اللهِ عن أبيه عن النبي ﷺ».

وإنَّما ذكرتُ حديثَ مجاهدٍ وبدأتُ بهِ تَعَجُّبًا منْ جهلِهِمْ أنَّهُمْ يروُونَ عنْ رجُلٍ بإسنادٍ صحيحٍ لا شُبْهةَ فيهِ تأويلًا يوافِقُ ما رُوِيَ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ، فيتركُونَهُ ويميلُونَ إلَى حديثٍ مدخُولٍ عنْ رجُلٍ مُخْتَلِطِ العقلِ يُوهِمُهُمْ، لا لشَيءٍ إلّا لأنَّهُ بعيدٌ عنِ الحقِّ ويُضاهِي قولَ اليهودِ؛ ليُخالِفُوا علماءَ المسلمِينَ وفقهاءَ الدِّينِ.

فأمّا ما جاءَ فِي ذلِكَ عنِ النَّبيِّ ﷺ؛ فما رُوِيَ عنْ زيدِ بنْ أرقَمَ[1] عنِ النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قالَ: «المَقامُ المَحْمُودُ هوَ الشَّفاعةُ»[2].

وما رُوِيَ عنِ الحسَنِ عنِ أنسٍ قالَ[3]: «المَقامُ المَحْمُودُ هوَ الشَّفاعةُ».

وما رُوِيَ عنْ أبِي هريرةَ عنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ تعالَى عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ[4]: «هوَ الشَّفاعةُ».

(١) هو: زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، ونزل الكوفة روى عن النبي ﷺ وعن علي، وعنه: أنس بن مالك، وأبو الطفيل، وغيرهم، مات بالكوفة أيام المختار سنة ست وستين، وقيل: سنة ثمان، وقيل: سنة خمس وستين.
انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى ٦/ ١٨، والثقات ٣/ ١٣٩، وتهذيب التهذيب ٣/ ٣٤٠، والإصابة ٢/ ٥٨٩.

(٢) قال الزجاج: «الذي صحَّت به الرواية والأخبار في المقام المحمود أنه الشفاعة» معاني القرآن ٣/ ٢٥٦. وقال الرازي: «.. هو الشفاعة في إسقاط العقاب على ما هو مذهب أهل السنة، ولما ثبت أن لفظ الآية مشعر بهذا المعنى إشعارًا قويًّا، ثم وردت الأخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى وجب حل اللفظ عليه، ومما يؤكد هذا الوجه الدعاء المشهور: (وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، يغبطه به الأولون والآخرون)، واتفق الناس على أن المراد منه الشفاعة» مفاتيح الغيب ٢١/ ٢٧. وانظر: النظم المستعذب ١/ ٦٤.

(٣) أخرجه عنه البخاري من حديث طويل في صحيحه ٦/ ٢٧٠٨- حديث رقم (٧٠٠٢).

(٤) أخرجه عنه أحمد في مسنده ٢/ ٤٤١، ٤٤٤، والترمذي في سننه ٥/ ٣٠٣، وابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٣١٩، والطبري في تفسيره ١٥/ ١٤٥، والبيهقي في شعب الإيمان =

وما رُوِيَ عنْ حُذَيفةَ فِي قولِهِ تعالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ قالَ[١]: «يُجْمَعُ النّاسُ فِي صعيدٍ واحدٍ، يُنْفِذهُمُ البَصَرُ[٢]، ويسمعُهُمُ الدّاعِي، حُفاةً عراةً، ثُمَّ ينادِي محمَّدًا عَلَيْهِ السَّلامُ علَى رؤوسِ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ فيقولُ عَلَيْهِ السَّلامُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، والخَيرُ بَيْنَ يَدَيكَ[٣]، والشَّرُّ لَيسَ إِلَيكَ، وَعَبْدُكَ بَينَ يَدَيكَ، وَبِكَ وَإِلَيكَ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَى مِنْكَ إِلّا إِلَيكَ، تَبارَكْتَ رَبَّنا وَتَعالَيتَ، فَسُبْحانَ رَبِّ البَيتِ، فَذَلِكَ المقامُ / المحمودُ». [١٢٤ـب]

ورُوِيَ عنْ حُذَيفةَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أَتَمَّ مَتْنَ الحديثِ إِلَى قولِهِ[٤]: «لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَى مِنْكَ إِلّا إِلَيكَ، فَذَلِكَ المَقامُ المَحْمُودُ، الَّذِي يَغْبِطُ[٥] بِهِ الأَوَّلُونَ والآخِرُونَ».

= ١/ ٢٨٢، والنحاس في معانيه ٤/ ١٨٤، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٤٨٤، والسيوطي في الإتقان ٢/ ٥١٩.

(١) مخرَّج عنه في: مسند البزار ٧/ ٣٢٩، والسنن الكبرى للنسائي ٦/ ٣٨١، وتفسير الطبري ١٥/ ١٤٥، والكشف والبيان ٦/ ١٢٤، والمطالب العالية ١٨/ ٥٧٧.

(٢) في غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٥٢: «قالَ أَبُو زيد: ينفذهم البَصَر إنفاذا؛ إذا جاوزهم. قالَ الكسائي: يُقال: نفَذني بَصَره يَنْفُذُني أَي بَلغني وجاوزني. قالَ أَبُو عبيد: فالمَعْنى أَنه ينفذهم بصر الرَّحْمَن عزوجل حَتَّى يَأْتِي عَلَيْهِم كلهم وَيسْمعهُمْ داعيه». وانظر: الغريبين ٦/ ١٨٦٨.

(٣) أثبت الناسخ في الحاشية من نسخةأخرى: بيديك.

(٤) انظر قوله في: تفسير الطبري ١٥/ ١٤٥، والهداية إلى بلوغ النهاية ٦/ ٤٢٦٩.

(٥) في الأصل: يغيظ، والأصح المثبت، لأنه لا يُناسب مقام النبوة، ولما يترتَّب عليه من خطأ نحوي، ويقرَّر ذلك ما مصنف عبد الرزاق ٢/ ٢١٣: «ابعثه مقامًا محمودًا يَغْبِطُ به الأولون والآخرون»، وما في المعجم الكبير ٩/ ١١٥: «ابْعَثْهُ مَقامًا مَحْمُودًا يَغْبِطُهُ بِهِ الأَوَّلُونَ والآخَرُونَ».

جعَلَنا الله وإيّاكُمْ مِمَّنْ يُفَكِّرُ فِي أَمْرِهِ فيُعَظِّمُهُ حقَّ عَظَمَتِهِ، ويُفَقِّهُهُ فِي دِينِهِ، وَيَسْلُكُ سَبِيلَ مَرْضاتِهِ، والحَمْدُ للهِ حتَّى يَرْضَى، وَصَلَّى الله علَى مَنِ اصْطَفَى، وَحَسْبُنا الله وَكَفَى.

[كلمةُ النّاسِخ]

تمَّ كتابُ «جلاءِ الشُّبَهِ»، منْ تأليفِ المُفَضَّلِ بنِ سلَمةَ بنِ عاصِمٍ، وكلُّ ما ذَكَرَهُ فيهِ مِمّا يتَضَمَّنُ نفْيَ التَّشبيهِ عنِ القدِيمِ فهُوَ صحيحٌ مستقيمٌ، وما سِوَى ذلِكَ مِمّا اختلَفَ فيهِ أهلُ القِبْلةِ منَ الأشعَرِيّةِ والجَبْرِيّةِ والقَدَرِيّةِ والمعتزلةِ فقدْ نَحا فيهِ المفضَّلُ ابنُ سلَمةَ ناحِيةَ المُعْتَزِلةِ، والصَّحيحُ فيهِ ما ذهَبَ إليهِ أَهْلُ السُّنّةِ والجماعةُ أَعْنِي الأشعرِيّةَ المُثْبِتِينَ لصِفاتِ ذاتِ اللهِ تبارَكَ وتعالَى.

سَوَّدَهُ الفَقِيرُ الحَقِيرُ المُحْتاجُ إلَى رحمةِ ربِّهِ القديرِ: مُصْطَفَى بنُ الحاجِّ عبدِ المؤمِنِ الجرّاحِ، فِي اليومِ الحادِي عشْرَ مِنْ جُمادَى الآخِرَ[ة] لسنةِ ثَمانٍ وَمائةٍ وَأَلفٍ.

٢

المُذَكَّرُ وَالمُؤَنَّثُ لِأَبِي الطَّيِّب الوَشَّاء